



ترجمات عبرية

- العرب فى السياسة الإسرائيلية : إشكاليات الهوية
- التطبيع والتسوية : مؤتمران على ضفاف النيل
- سوريا / إسرائيل : إتفاق على مبادئ التسوية

كتابات عربية

- طموحات الوسط العربى فى المساواة داخل إسرائيل



السنة الخامسة - أغسطس ١٩٩٩
AUG. 1999

مجلة شهرية يصدرها مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية

السنة الثالثة ـ العدد السادس والخمسين ـ أغسطس ١٩٩٩



مختارات إسرائيلية

Israeli Digest

رئيس مجلس الإدارة
ورئيس التحرير
إبراهيم نافع

مدير المركز
د. عبد المنعم سعيد

مدير التحرير
د.عماد جاد

المنسق
أيمن عبد الوهاب

المدير الفني
السيد عزمي

الاخراج الفني
حامد العويضي

وحدة الترجمة
أحمد الحملي
د. جمال الرفاعي
عادل مصطفى
محب شريف
محمد إسماعيل
منير محمود

مؤسسة الأهرام شارع الجلاء القاهرة
جمهورية مصر العربية
ت: ٥٧٨٦٣٠٠/٥٧٨٦١٠٠/٥٧٨٦٢٠٠
فاكس: ـ ٥٧٨٦٠٢٣

مطابع الاهرام بكورنيش النيل

مقدمة

استحقاقات التسوية ومتطلبات السلام

فى زيارته الأولى لمصر، بعد تشكيله الائتلاف الحكومى، طلب رئيس الوزراء الإسرائيلى ايهود باراك، مهلة من الوقت يرتب خلالها أوراقه التفاوضية، ثم يشرع بعدها فى استئناف المفاوضات على المسارات الثلاثة المتبقية، أى الفلسطيني والسورى واللبناني. وبدا واضحاً من خطوات باراك وتصريحاته المتتالية حول مكونات التسوية على المسارات المختلفة، أنه - أى باراك - مازال بعيداً عن دائرة التسوية الشاملة التى تقود إلى سلام حقيقى. فالملاحظ أن باراك تعمد إطلاق مجموعة من التصريحات المتناقضة ما بين الرغبة فى استئناف المفاوضات على كافة المسارات، وأخرى تحدث فيها عما يمكن تسميته "شروط إسرائيلية" لا يمكن أن تقود إلى سلام، بقدر ما تؤدى إلى مجموعة من التسويات الجزئية التى تترك كافة المسارات فى منطقة ما بين الصراع والسلام.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، تبدو محاولات "باراك" لإحداث نوع من التناقض بين المسارات الثلاثة، واضحة فى تكثيف الرسائل الإعلامية المباشرة وغير المباشرة تجاه القيادة السورية، وذلك لاحداث نوع من التناقض بين المسارين السورى واللبنانى، إضافة إلى إشاعة "جو من عدم الثقة" بين الأطراف العربية المعنية بهذه المفاوضات.

والمؤكد أن ما يقوم به "باراك" ليس خافياً على المتابعين للشأن الإسرائيلى ولمسيرة الصراع وجهود التسوية فى المنطقة، وإذا وضعنا ذلك فى إطار النسق الفكرى لرئيس الوزراء الجديد والذى تجلى بوضوح فى "الخطوط العامة للحكومة"، سوف نجد أن اهتمام باراك الرئيسى ينصب على إخراج الجيش الإسرائيلى من "الوحل" أى من الشريط الحدودى المحتل فى الجنوب اللبنانى، ولأنه يدرك واقع الارتباط "العملى" بين الشأنين السورى واللبنانى، فقد أقر بان الخروج من لبنان يبدأ عبر بوابة دمشق، وهذه البوابة لا يمكن طرقها دون الإقرار بالحقوق السورية المشروعة فى استعادة مرتفعات الجولان بالكامل، وانسحاب قوات الاحتلال إلى حدود ما قبل عدوان الخامس من يونيو ١٩٦٧. وفى هذا الإطار تتعدد الأفكار المطروحة حول ترتيبات أو ضمانات أمنية يمكن التوصل إلى اتفاقات بشأنها بناء على المفاوضات السابقة فى عهد حكومة رابين، والتى شارك فيها باراك شخصياً عبر لقاءين مع رئيس الأركان السورى بالعاصمة الأمريكية واشنطن.

وتمثل هذه الصفقة أساساً سليماً للتسوية على المسارين السورى واللبنانى، ولكن يبقى بعد ذلك المسار الفلسطينى والذى يتوقع أن يشهد مناورات ومراوغات من "باراك"على غرار ما قامت به حكومة نتنياهو، والجديد هنا أن "باراك" يراهن على فك الارتباط النهائى بين مسارات التفاوض المختلفة، وبين المسار الفلسطينى. ويمكن لباراك أن يحقق ما يسعى إليه من الناحية الشكلية، ولكن من الناحية الموضوعية ستظل مسيرة التسوية عاجزة عن بلورة أسس واضحة لسلام حقيقى، فالقضية الفلسطينية هى لب الصراع العربى - الإسرائيلى، كانت وستظل كذلك ودون التوصل إلى تسوية كاملة على هذا المسار، لا يمكن الحديث عن سلام شامل، فدفع استحقاقات التسوية على المسار الفلسطينى تمثل الشرط المسبق لتشكيل بيئة إقليمية جديدة يسودها الاستقرار وينمو خلالها السلام الحقيقى. وبالتالى يمكن القول أن انجاز اتفاقات للتسوية على المسارين السورى واللبنانى يمثل خطوة متقدمة على طريقة التسوية، ولكن ما نود التأكيد عليه هنا، هو أن دفع استحقاقات التسوية على المسار الفلسطينى عبر تنفيذ قرارات الشرعية الدولية يمثل أول لبنة على طريق تدشين مصالحة تاريخية فى المنطقة سرعان ما تقود إلى سلام حقيقى، ودون ذلك ستظل المنطقة فى منتصف الطريق ما بين الصراع والتسوية.

د. عماد جاد

دراسة ١

من كتاب / العرب فى السياسة الاسرائيلية :

اشكاليـــات الهـــوية

بقلـم : كيـس فيـرو

هوية وانتمـاءات فـرعيـة لدى الدروز فى إسـرائيل

ان عنوان الدراسة مأخوذ من متن ابحاث العلوم الاجتماعية التى تحاول النظر فى الانتماءات الجماعية للمجموعات العرقية فى وقت ومكان محددين . وما اقصده هنا هو محاولة دراسة العوامل الاجتماعية الاقتصادية والسياسية التى أثرت على الصورة الذاتية للدروز كجماعة فى دولة اسرائيل . تلك العوامل التى تركت اثرها على الدروز فى الماضى ومازالت تؤثر عليهم فى الحاضر ، وتأتى محاولتى لدراسة الهوية الدرزية فى منظور تاريخى . ولم تكن كذلك . انها تتمتع بشكل محدد يتجدد ويتغير كنتيجة لسياسة الهيئة الحاكمة، التى تمضى بشكل نمطى تقريبا للحيلولة دون تطور هوية جماعية مرورا بالهوية الانتقائية الطائفية التى ميزت طوائف دينية كثيرة مشابهة فى الشرق الاوسط قبل ظهور دولة قومية حديثة .

وللحفاظ على الهوية الطائفية الخاصة اتبعت المؤسسة الحاكمة، منذ ١٩٤٨ ، سياسة حماية هويات فرعية، مثل التضامن القبائلى والتكتلى ، الذى كان قائما فى المجتمع التقليدى . وأى تنظيم سياسى يتجاوز التكتلية القبلية ، يبدو فى نظر المؤسسة الحاكمة عاملا يمكن ان يؤدى الى تطوير هوية فوق - طائفية بين الدروز . وبهذا المفهوم انتهجت المؤسسة الحاكمة سياسة تسييس طائفى جنبا الى جنب مع سياسة تنفى كل ما يمكن ان يؤدى الى هوية فوق طائفية .

هذا الادعاء يتأسس على بحث شامل ، ودراسة وافية لمادة ارشيفية ثرية فى ارشيف الدولة وفى ارشيف جيش الدفاع، وفى الارشيف الدرزى بجامعة حيفا ، ومادة ضخمة من الصحافة الدرزية والاسرائيلية ، بالاضافة الى كمية هائلة من المؤلفات التى تشرح التطور الاقتصادى والسياسى لابناء الطائفة الدرزية فى اسرائيل .

ان الادعاء بشأن تسييس طائفى وعدم التسييس الذى يتجاوز الطائفة ، يطرح اسئلة اساسية امام باحثى العرقيات : هل الهوية الدرزية الطائفية والانتماءات القبلية المحافظة هى نتاج علاقات اصيلة لا يمكن للمؤسسة الاسرائيلية تغييرها ؟ أم هل تستفيد المؤسسة - بالتعاون مع الزعامة الدرزية التقليدية - من تضامن وعزلة الطائفة الدرزية كأداة لتحقيق أهداف اخرى، مثل منع التضامن الدرزى مع بقية العرب ، او للحفاظ على مصالح الزعامة الدرزية المرتبطة بالمؤسسة ؟

والمادة الارشيفية التى تعرض سلوك الزعامة الدرزية وموظفى الحكومة من الدروز ، تظهر ان الهوية الطائفية للدروز كانت وسيلة وأداة فى ايدى المؤسسة الحاكمة وصفوة الشخصيات الدرزية . وهذه الذرائعية لم تبدأ من الصفر . فموظفو الحكومة وزعماء الطائفة استغلوا التميز العرقى للدروز لكى يحققوا مآربهم السياسية. غير انهم من خلال ذلك لم يحتفظوا فقط بهوية نقية كانت موجودة فى الماضى التاريخى ، بل اضافوا اليها عناصر ثقافية جديدة، او اخذوا من العناصر الثقافية للماضى واخترعوا قيما تتوافق مع المتطلبات الجديدة لدولة اليهود.

بهذا المفهوم ، فان الفجوة بين النظرية الاصلية وتلك الذرائعية أو الحديثة مرتبطة بتفسيرات الباحثين المعنيين بالاعراق . وطبيعة التعامل مع المشكلة العرقية قد يؤدى الى تقليص الفجوة بين النظريتين حسب ما اورده ، أورى رام : "بعد ان يتفق المفسرون على ان الماضى هو بناء حاضر اختيارى يمكن تأويله ، وبعد ما يتفق الحداثيون على ان الحاضر يجب ان يستند على خلفية ثقافية من ماضى جماعى، فربما تصبح الفجوة بين الاثنين صغيرة بالفعل ".

ولا يمكن استخلاص ، ان عملية اعادة تكون الهوية الدرزية قد تمت على ايدى السياسيين متخذى القرارات من الدروز واليهود فحسب. ففى هذه العملية تشترك ايضا عناصر كثيرة ، تعمل احيانا على تقوية أو اضعاف عمل متخذى القرارات . ولكى نميز تأثير هذه العناصر ، يمكن على سبيل المثال دراسة قانون الخدمة الالزامية فى جيش الدفاع،

وانعكاساته على منظومة التشغيل والتعليم ، وتشكيل الصورة الذاتية المتوافقة مع الطائفة ، والتى تبدو فى نظر المؤسسة والمجتمع اليهودى "مشاركة فى مصير الدولة"
لقد جرى تطبيق التعبئة الالزامية على الدروز فى عام ١٩٥٦ ، كنتيجة لصفقة بين زعماء الطائفة وحكومة اسرائيل. ومنذ ذلك الحين وحتى الان تطور اندماج الدروز فى الاقتصاد الاسرائيلى حسب نموذج يختلف عن نموذج بقية العرب أو اليهود. فما يقرب من ٥٠٪ من قوة العمل بين الرجال الدروز مندمجون فى قطاعات لا يتقبل اليهود العمل فيها، ولا يقبل العرب المسلمون بها. ما يقرب من ٤٠٪ من الرجال الدروز المنخرطين بسوق العمل يشتغلون فى مجالات الدفاع والامن المختلفة، ومايقرب من ١٠٪ يعملون فى مصانع بتروكيماويات ، وفى الموانىء وشركات صيانة وكذلك فى أماكن عمل لا يمكن قبول ابناء اقليات اخرى بها . ومثل هذا النوع من التشغيل يتطلب من الدرزى ان يتوافق مع عمله. وفى خضم عملية التوافق تلك يتبنى تصورا شخصيا يقوم على الاندماج فى التصور الذى تريد الاغلبية اليهودية ان تراه فى الدرزى .
ان الصورة التي تشكلت من خلال العناد بين الدرزى الذى ينتمى إلى جماعة الأقلية وبين اليهودي الذى ينتمى الى جماعة الاغلبية الحاكمة، تبرز فى تصريحات مسؤلين ، ووزراء وشخصيات عامة كثيرة منذ حقبة الخمسينيات ، وكذلك فى الصحافة والاذاعة والتلفزيون، وسأحاول فى المثال التالى ان أجسد صورة الدرزى كما أوجدتها وأقامت بنائها الاغلبية اليهودية . ففى عام ١٩٩٤ طلب منى رئيس تحرير مجلة"طبيعة الاشياء" – وهى مجلة دورية عبرية – ان أكتب مقالة عن الدروز وأن اختار واحدد الصور المطلوبة للمقالة بناء على توجيهاتي. وبدون مراجعات تصحيحية ، وجدت مقالتي تظهر تحت عنوان "تحالف الحياة وتحالف الدماء" ، وهو ما يخالف العنوان الذى وضعته . وكانت الصور التى اختارها المحرر تركز على الجندى الدرزى.
واضاف رئيس التحرير مقدمة من عنده ، تعرض الدروز فى الشرق الاوسط ، كشعب يعيش منعزلا . انهم اقلية ، ظلت دائما اقلية ، شعب يحتفل باعياده حسب التاريخ المسيحى بينما التقويم السنوى السرى له يبدأ بخلق العالم. انه شعب – طائفة – دين (...)" والى جانب الاخطاء التاريخية التى اوردها رئيس التحرير ، فقد اضاف تأويلات لم تكن موجودة بالمقالة الاصلية. وفى اعتقادى انه اراد بذلك ان يقرب مقالتى من صورة الدرزى التى بنيت منذ عام ١٩٤٨ ، قد كانت المقالة بهذه الكيفية تطرح روئى لم أكن مستعدا لكتابتها . وفى خطاب اعتذاره لى، اعترف رئيس التحرير بالتشوية الذى حدث لمقالتى ، مبررا، بانه قصد "إنصاف طائفة مخلصة للدولة لم تحصل على حقوقها".
ان عبارات "شعب يعيش منعزلا" ، و"شعب – طائفة – دين" المنسوبة فى المقالة للدروز ، لا تختلف عن وصف الشعب اليهودى ، كما يظهر فى اكثر الكتابات الصهيونية . ووصف الدروز من قبل رئيس تحرير "طبيعة الاشياء" هو من قبيل تصور مماثل لشعب وطائفة ودين اليهود . كما عبر عنه يتسحاق بن تسافى ، عندما كتب عن الدروز فى الخمسينيات . ان الوصف التاريخى الذى اورده بن تسافى يميز غالبية التأريخ الاسرائيلى ، الذى يشيد ماضى الدروز وطبيعة علاقاتهم مع اليهود من خلال موائمة هذا الماضى بالحاضر. هذا التاريخ شدد على المزايا الانتقائية للدروز ، التى يجب الحفاظ عليها . وتكشف المادة الارشيفية التى جرى الإفصاح عنها، ان النشطاء الصهاينة ومنذ عام ١٩٣٠ أوصوا بتشجيع الانتقائية الدرزية ، لمنع أى تعاون درزى فلسطينى . وابان حقبة الخمسينيات طرح حاييم بلنك هذا السؤال : هل الدروز عرب ؟ وكانت اجابته :
كما يبدو ذلك (هذا السؤال) لا اجابة له، نظرا لان تعبير "العرب" بصورة متداعية يغطى مدلولات وافره (...) ومع ذلك ، من الناحية الثقافية، فالدروز ليسوا فقط "عرب" بل ، يبدو انهم ، "عرب بالمعنى الكامل للكلمة" .
ولكن وفق اعتقاد بلنك ، فإن النقاء الدرزى اقوى من أى هوية منافسة . ومفتاح التعرف على هذا النقاء هو الاستخدام الذى يمارسه الدروز لمبدأ "التقية" ، الذى يسمح لهم بان يكونوا مسيحيين مع المسيحيين ،. ومسلمين مع المسلمين ، ويهودا مع اليهود . وبذلك ، يدعى بلنك ، ان الدروز يمكنهم التوائم مع الهوية الخاصة لاى نظام سياسى. من هنا يمكن – حسب اعتقاده – تفهم موقفهم تجاه اليهود .
وبعد عدة سنوات من كتابة هذه الكلمات ، دعى بلنك من قبل مستشار الشؤون العربية لكتابة مؤلفه الدروز ، الذى اصبح بمثابة مرجع لمسئولى الحكومة تتأسس عليه سياستهم تجاه الدروز . كما اصبحت "التقية" لدى جميع الباحثين الاسرائيليين تقريبا هى المبدأ الاصيل ، الذى بواسطته فقط يمكن فهم الدروز . وليس المقام هنا مناسبا للتدليل على هؤلاء الباحثين، الذين يعتقدون ان مبدأ التقية ماهو الا نوع من "الانتهازية السياسية" الذى يميز الدروز.
ان الاستناد المبالغ فيه على مبدأ التقية، سواء لدى متخذى ومنفذى السياسة أو لدى الباحثين الاسرائيليين ، يتجاهل كلية عناصر اجتماعية – اقتصادية وسياسية ساهمت فى تشكيل هوية الدروز فى دولة اسرائيل . واستخدام التقية لدى الاسرائيليين جعلها ، وبصورة متناقضة، أداة ممتازة ليس للبحث فى أمر الدروز ولكن لبحث منفذى السياسات والباحثين الاسرائيليين .
لقد كانت الاتصالات الاولى لنشطاء الحركة الصهيونية مع الدروز ، منذ عام ١٩٣٠ وخلال حقبة الثلاثينيات ، محدودة على عدد من الزعماء من عائلات ذات وضع أقل تواضعا من بين العائلات التى توجه المسار الدرزى . وفى عام ١٩٣٠ وقع معظم زعماء الدروز على البيان الذى يعلن ، ان موقف الطائفة الدرزية من النزاع اليهودى الفلسطينى هو موقف محايد . ومنذ قيام الدولة وحتى عام ١٩٥٤ ، على الاقل ، حاولت السلطات المعنية بالدروز ، مثل المستشار العام لشئون العرب، وقادة "وحدة الاقليات" التى أنشئت عام

١٩٤٨ ، حاولت هذه السلطات ابعاد زعماء العائلات المتزعمة مثل عائلة طريف ، وتصعيد زعامة هؤلاء الذين "تعاونوا مع الصهيونيين وكان لهم الفضل في ان ينجح النشطاء الصهيونيين في اقامة علاقات مع الدروز وتجنيد طلائع الجنود الدروز بجيش الدفاع الاسرائيلي عام ١٩٤٨".
وأدت هذه المحاولة الى انشقاق تكتلى بين الزعامة الدرزية وفي عام ١٩٥٦ ، عدلت الزعامة التقليدية خطها مع هؤلاء الذين اقاموا العلاقات الاولى مع الحركة الصهيونية . وعن طريق نخبة نشطة ومتورطة من العائلات الدرزية، وهي النخبة التي تعمل وسط ابناء الطائفة السلبيين – أو ، بمصطلح الباحثين ، وسط "غير النخب، وهم السلبيين غير المنظمين" – نجح واضعو السياسة من الاسرائيليين في بدء تطبيق قانون التجنيد الاجبارى على ابناء الطائفة ، واتخاذ قرار بشكل منفرد، عام ١٩٥٧ باستبدال القومية ببطاقة الهوية لكل درزى ، وبالاعتراف في الوقت المناسب بالطائفة الدرزية كطائفة مستقلة، لها محاكم خاصة بها وتنظيم سلطة روحانية مؤسسة.
ان فحص المادة الارشيفية المنسوبة الى تنظيم الطائفة في اعوام ١٩٥٧ – ١٩٦٤ يظهر ، ان انشاء محاكم ، ومؤسسات للطائفة ، واختيار مرشحين دروز للكنيست وتعيين موظفين في الهستدروت وفي جهات أخرى ، يأتي جميعه ارضاءاً للنخبة الدرزية المتورطة والمشوشة . وقد تم طرد معلمين من وظائفهم لمنع ظهور طبقة تملك الاختيار من المتعلمين والمثقفين ، أما تنظيمات المثقفين المعترضين على سياسة الزعامة التقليدية فقد وصفوا من قبل المؤسسة بانهم "قوى سلبية" من المخربين في منظومة العلاقات بين الدروز والدولة. حتى المنظمات الدرزية الموالية للاسرائيليين ، مثل منظمة الرابطة الدرزية ، التي عملت في أعوام ١٩٦٧ – ١٩٧٢ من اجل المساواة ودمج الدروز ، تحظى بعلاقة سلبية من جانب مستشار الشؤون العربية ومن جانب عرب الحزب الحاكم آنذاك .
وفي فترة التغييرات الاقتصادية، التي تميزت بانتقال التشغيل الى مجالات غير الزراعة ، وذلك بمصادرة الاراضي في اطار "قوانين وتنظيمات الاراضي"، وبعدم تخصيص كميات مياه كافية لزراعات مربحة، بقى اعتماد قوة العمل الدرزية ، ليس فقط في سوق العمل بل ايضا في الزعامة التقليدية.
واصبح تجنيد جنود مسرحين في الشرطة، لخدمة السجون وفي حرس الحدود هو طريق الوسطاء والسماسرة بين الزعامة التقليدية ، وتعيين المتعلمين في النظام التعليمي او في مصالح حكومية اخرى اصبح ايضا هو طريق هؤلاء الوسطاء. والشباب المعترض على سياسة المؤسسة والزعامة التقليدية وصفوا بانهم "قوى سلبية" يتفقون في الرأى مع العرب . وقد نعتتهم وسائل الاعلام الاسرائيلية بالقوى السلبية التي لا تعبر عن الهوية العرقية الدرزية.
ولوقف صعود القوى السلبية بدأ المستعربون في مكاتب الحكومة وفي الحزب الحاكم التشاور لانشاء نظام تعليم مستقل ، هدفه الاهتمام بالهوية الدرزية الاسرائيلية " . وقد بدأت هذه الدعوة لانشاء نظام تعليم مستقل عام ١٩٤٨ ، وتحققت في نهاية الستينيات ، واصبحت مشكلة ملحة بعد ١٩٧٣، عندما اقتربت نسبة المقترعين لركاح بين الدروز ما يقرب من ٢٠٪ .
وفي نفس الوقت هدد احتجاج الدروز ضد مصادرة الاراضي وضد التجنيد في جيش الدفاع الاسرائيلي ، هدد بافشال سياسة عدم تسييس الشبان الدروز.
وقد تشكلت لجنتان للتحقيق في وضع الدروز عام ١٩٧٤ ، الاولى بمعرفة مستشار الشؤون العربية والثانية بمعرفة الكنيست . ومن بين توصيات عديدة اوصت بها اللجنتان تم تنفيذ توصية واحدة لاغير ، فصل التعليم الدرزى عن التعليم العربي . وفور بدء هذا الفصل بدأ متعلمون دروز ، بتوجيه من خبراء يهود، اعداد برامج تعليم تأخذ بالاعتبار " هوية درزية اسرائيلية" . وهكذا تحول الرقص المترابط والخبز الفلسطيني ، ومعدات العمل الزراعية وغيرها، تحول كل ذلك الى جزء من التراث الدرزى . و لكن بعد ان اتضح لبعض الدروز ان ايجاد مثل هذه الهوية يعد عملية رسمية حكومية ، بينما مساواة الحقوق في دولة اليهود تبدو بعيدة المنال ، تبنوا بانفسهم هوية فوق طائفية ، تتشابه مع هوية الاقلية العربية الاسرائيلية وبعد ما يقرب من خمسين عاما منذ قيام دولة اسرائيل بات الدروز منقسمون على الأقل بين ثلاث هويات : هوية طائفية انتقائية، هوية عربية فلسطينية ، وهوية عربية اسرائيلية .

المسيحيون في اسرائيل : بين الدين والسياسة
بقلم : دفنا تسمحوني

صحيح ان هذا البحث يتعامل مع أزمات او اشكاليات الهوية في الوسط العربي . الا انه عندما يتعلق الامر بالمسيحيين ، فذلك يعني اشكالية مزدوجة ، اشكالية اقلية داخل أقلية. فالمسيحيون يشكلون اليوم حوالى ١٥٪ من اجمالي العرب في دولة اسرائيل – وهي اقلية لها وزنها ، اذا انها اكبر بكثير من الدروز . وفي الاحصاء السكاني الذي اجراه الانتداب البريطاني عام ١٩٣١ في ارض اسرائيل ، تحددت هوية الغالبية الساحقة من المسيحيين كفلسطينيين يتحدثون اللغة العربية. ومنذ بدأت موجة الهجرة من دول الكومنولث الجديد، والتي اشتملت عددا لا بأس به من المسيحيين ، تشير بيانات الدائرة المركزية للاحصاء الى ظاهرة جديدة ولافتة للنظر، وهي ازدياد عدد المسيحيين في اسرائيل كنتيجة لميزان هجرة ايجابي. وقد برزت لهذه الهجرة، آثار هامة، فبفضلها حدث ازدياد سنوى للسكان المسيحيين بنسبة تقترب من ١٠٪ تقريبا . وتمخض عن ذلك ان حوالي ٢٠٪ الى ٣٠٪ من المسيحيين في دولة اسرائيل ليسوا عربا . وعلى اية حال ، فانني ساتعرض في هذه الدراسة للعرب المسيحيين فقط.
ان العرب المسيحيين يختلفون عن المسلمين والدروز في

دينهم أولا . وبخلاف الدين ، فانهم يشكلون جماعة مستقلة من الناحية الاجتماعية والثقافية ، وبدرجة ما من الناحية الاقتصادية ايضا. وفى هذا المجال فان المسيحيين اكثر قربا من اليهود عن المسلمين. وفى السنوات الاخيرة تلاشت الفروق فى هذه المجالات بين المسيحيين والمسلمين ، وبخاصة فى المدن وبين المثقفين . ولكن بين سكان القرى مازالت هذه الفروق قائمة . فمنذ القرن التاسع عشر، وبفضل نشاط الكنائس الغربية بينهم، اصبح التعليم لدى المسيحيين غربيا اكثر وارتفعت النسبة فى المتوسط عنها بين المسلمين ، وازداد بصورة اكبر مستوى التمدين ، وكذلك الازدهار الاقتصادى . ومع ذلك مازال هناك بين اوساط المسيحيين فى دولة اسرائيل شعور الارتباط بالمجتمع المسلم المحيط بهم ، وهذا الشعور هو نتاج مئات من السنين عاشوها تحت الحكم الاسلامى . ولم يفلح العيش فى دولة يهودية فى محو هذا الشعور الراسخ .

وقد بدأ ظهور المسيحيين فى النشاط السياسى بالمجتمع الفلسطينى مع نمو الحركة القومية العربية الفلسطينية فى بداية فترة الانتداب البريطانى على ارض اسرائيل. ولعب المسيحيون دورا بارزا باعتبارهم متحدثين باسم الحركة بصورة خاصة ، وكهمزة اتصال بينها وبين سلطة الانتداب البريطانية، وكممثلى المشكلة العربية الفلسطينية امام المجتمع الغربى. وبدرجة معينة يلعب المسيحيون دورا مشابها ايضا اليوم، وخاصة داخل سلطة الحكم الذاتى الفلسطينية .

من خلال نشاطهم فى الحركة القومية الفلسطينية فى مراحلها الاولى، طمحوا الى اقامة مجتمع علمانى، يمكنهم ان يكونوا متساوين فيه. غير ان زيف هذا الأمل اتضح سريعا، فى ظل توثق العلاقات بين مؤسسات الحركة القومية الفلسطينية وبين المؤسسات الاسلامية. ولم تؤد خيبة الامل تلك الى انسحاب المسيحيين من الحركة . ورغم ابعادهم الى هوامشها ، فقد استمروا فى الاتفاق مع اهداف وغايات الحركة القومية الفلسطينية فيما يتعلق بصراعها مع الصهيونية ، مع التحفظ والخوف تجاه علاقات الحركة بمؤسسات اسلامية، والتخبط بالنسبة للحدود والاشكاليات المرتبطة بهويتهم المسيحية .

لقد أعادت حرب ١٩٤٨ وانشاء دولة اسرائيل المسيحيين الى بؤرة العمل السياسى . وزادت نسبتهم بين السكان العرب من ١٠٪ فى فترة الانتداب الى ٢١٪ من اجمالى العرب الذين ظلوا داخل حدود دولة اسرائيل عام ١٩٤٩ - وهى زيادة كبيرة دون شك . اضف الى ذلك ، مع غياب النخبة الاسلامية الحضرية اثناء الحرب ظهر فراغ قيادى - اجتماعى ، وقد ملأ المسيحيون هذا الفراغ . وهكذا ، منذ الخمسينيات وحتى منتصف السبعينيات برز المسيحيون على المستوى السياسى بما يتجاوز بكثير وزنهم بين السكان العرب. وقد جرى نشاطهم بين ثلاثة اتجاهات ١ - العمل فى اطار الاحزاب المصاحبة للاحزاب الصهيونية ، وخاصة مباى - المعراخ ، عندما كان اسلوب تعيين المرشحين العرب يقوم بصفة عامة على معايير طائفية ، فى اطار الاحزاب العربية التابعة للحزب .

٢ - العمل فى الحزب الشيوعى فى اطواره المختلفة .

٣ - محاولات لانشاء منظمات مسيحية مستقلة - اتجاه لم يستمر طويلا .

فى هذا السياق لا استطيع التوسع فى الحديث عن التدخل السياسى للمسيحيين فى الخمسينيات والستينيات . أذكر فقط، انه فى تلك السنوات كان المسيحيون يشكلون حوالى نصف اعضاء الكنيست العرب. نقطة هامة أخرى هى ، انه فى كل مسار لنشاطهم السياسى منذ الخمسينيات وحتى اليوم لم يعمل المسيحيون فقط كممثلين لانفسهم لاغير أو من أجل المسيحيين فحسب ، لقد عملوا دائما من أجل كافة مواطنى اسرائيل العرب . ويتجلى هذا الأر فى نشاط المطران مكسيموس حكيم رئيس الطائفة اليونانية الكاثوليكية فى اسرائيل . فرغم انه كان قبل كل شئ رجل دين ، تاق المطران حكيم الى زعامة تتجاوز الطائفة الدينية، وسعى الى لقب مقاتل من اجل حقوق العرب جميعا فى دولة اسرائيل، سواء فى قضية مصادرة الاراضى أو القضايا الاخرى. وبسبب فشل مبادراته لاقامة تمثيل مسيحى مستقل ، توصل المطران حكيم الى اتفاق مع مباى ، فى اواخر الخمسينيات ، وضع الحزب بمقتضاه احد كبار شخصيات الطائفة اليونانية الكاثوليكية فى ترتيب متقدم بقائمة هذا الحزب.

وعندما ألغيت القوائم العربية المصاحبة للاحزاب الصهيونية، خلال السبعينيات ، انتهى ايضا التمثيل الطائفى فى اطار مباى - المعراخ، وتقلص عدد اعضاء الكنيست المسيحيين . وجرت محاولة اخرى للترشيح للكنيست على اساس مستقل فى انتخابات الكنيست العاشر عام ١٩٨١، قام بها حنا حداد، وهو يونانى كاثوليكى من طورعان - ضابط كبير على الاستيداع بالشرطة - وكان يحظى باحترام كبير فى المجتمع العربى واليهودى على السواء . وتوجهت القائمة التي شكلها بالاساس، الى اصوات العرب المسيحيين ، ونجحت فى تعبئة ١٠٪ فقط من الاصوات العربية، وبالتالى لم تحقق النسبة المطلوبة.

ابرز النشاطات السياسية المسيحيين فى اسرائيل ماجرى فى اطار الحزب الشيوعى باطواره المختلفة. وقد عمل المسيحيون كالمسلمين فى اطار الحزب باعتبارهم عربا، دون أى تميز لدين أو لطائفة دينية . غير ان طابع الحياة الاجتماعية فى الشرق الاوسط لم يسمح بالغاء الميل الطائفى - الدينى - رغم رغبة أو تصريحات الفرد . فهوية الشيوعيين المسيحيين وعلاقاتهم الاجتماعية مع ابناء طائفتهم لم تنقطع .

لقد برزت انشطة المسيحيين فى الحزب الشيوعى حتى فى فترة الانتداب، فقد كانوا فى معظمهم ، وليسوا بالصدفة، عرب من ابناء؛ البطريركية اليونانية الاثوذكسية بالقدس . لقد بهرتهم الايديولوجية الشيوعية التى تلوح بالعلمانية

وتنفى اى ميل الى الدين . وينبع تطلعهم لهوية علمانية بدرجة كبيرة من الصراع المتواصل لرجال الكنيسة الاثوذكسية من العرب لابعاد رؤساء البطريركية اليونانية وتحويلها الى كنيسة عربية قومية ، وقد بدأ قبل نمو الحركة القومية العربية الفلسطينية ، بيد أنه لم يحقق اهدافه حتى اليوم . وقد دفع الاحباط من فشل الصراع - لا كثيرين من ابناء الطائفة الى البحث عن هوية عربية علمانية تتجاوز الهوية الطائفية .

بعد قيام الدولة بوقت قصير تم تنظيم الحزب الشيوعي من جديد كحزب يهودي - عربي ، والى حد كبير ملأ هذا الحزب الفراغ الذى بقى فى الحياة السياسية للمجتمع العربي بعد ذهاب الزعامة التقليدية التى كانت فى معظمها مسلمة حتى حرب ١٩٤٨ . وفى سنوات الخمسينيات والستينات كان الحزب الشيوعي هو الوحيد فى اسرائيل الذى عبر عن التطلعات القومية للعرب فى الدولة ، والذى كافح للدفاع عن حقوقهم . وكان ايضا هو الحزب الوحيد الذى ضم تمثيلا جيدا للعرب بجانب اليهود. وفى هذه السنوات برز المسيحيون فى الحزب، سواء فى زعامته أو بين ناخبيه . وكان كل من توفيق طوبى (ارثوذكسى) واميل حبيبى (انجيلى - انجليكانى) عضوين بالكنيست من قبل الحزب منذ تأسيس الكنيست وحتى السبعينيات (جيبى) واخريات الثمانينات (طوبى) .

وفى الخمسينيات اعتبرت المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة الحزب الشيوعي كحزب متطرف يتآمر ضد كيان الدولة . ذلك رغم حقيقة ان الشيوعيين العرب كانوا الجماعة السياسية الوحيدة فى ارض اسرائيل وفى الدول العربية التى اعترفت بقرار التقسيم الصادر من الامم المتحدة وبحق اقامة دولة يهودية. وهكذا اعتبرت المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة المسيحيين فى طابور المتطرفين فيما يتصل بعلاقتهم بدولة اسرائيل اكثر من بقية المجتمع العربي. وتغيرت الصورة واستمرت بالتغير منذ السبعينيات . وتحول المسيحيون ليصبحوا العنصر المعتدل فى المجتمع العربي، واصبحت المواقف الاكثر تشددا تأتى من منظمات اسلامية اصولية . وفى نفس الوقت حدث انحسار للمسيحيين فى المجال السياسي وفى مجالات اخرى، كنتيجة لتطورات سكانية، وبخاصة التراجع فى نسبتهم بين السكان العرب وظهور جيل من الشباب المسلمين المثقفين .

وقد بدأ انخفاض تدريجي لمكانتهم فى الحزب الشيوعي ابتداء من سنوات السبعينيات ، وارتبطت المسيرة بتبادل الاجيال وتحوله الى حزب الجماهير . هذه العملية كان معناها ايضا انتقال مركز الثقل للحزب من المسيحيين الى المسلمين، وابتدأ ذلك فى المراتب المتدنية ثم تصاعد بعدها الى طريق الزعامة . وحدثت تغييرات مشابهة إنتقل النشاط الى المسلمين ايضا فى احزاب اخرى وفى هيئات مختلفة تعمل فى الوسط العربي، مثل الهستدروت .

وقد برز المسيحيون خلال السبعينيات بانشاء منظمات عربية فى العموم تمثلهم فى مجالات مختلفة فى دولة اسرائيل ، مثل منظمة رؤساء المجالس العربية، لكن بروزهم هذا أخذ فى التقلص منذ الثمانينيات وماتلاها . وقد ارتبطت هذه العملية دون شك بتدنى ثقلهم الديموجرافي فى الوسط العربي .

وبينما كان إنحسار التأثير فى المجال السياسي عملية طبيعية كان من المقرر ان تحدث على ايه حال ، فاننا نشهد منذ الثمانينيات تطورا اخر، اكثر تشددا : إنهيار الامن الشخصي للمسيحيين فى دولة اسرائيل، كنتيجة لتطورات محلية ودولية فى آن واحد . ويمكن الاشارة الى ثلاثة تطورات رئيسية تركت اثرها فى هذا الاتجاه : (أ) نمو الحركة الاسلامية فى اسرائيل (ب) تدهور التوازن الطائفى بين الاقلية العربية فى اسرائيل (ج) تفتت الاتحاد السوفيتي واندحار الشيوعية. وسيتركز نقاشنا فيما يلى على التعامل مع التطور الاول.

كان العامل الرئيسي الذى يثير مخاوف المسيحيين هو صعود الحركة الاسلامية فى اسرائيل . ان التصريحات الرسمية للحركة فى اسرائيل صيغت بحذر شديد وتحدثت عن المشاركة فى المصير بين المسيحيين والمسلمين فى اسرائيل . وتؤكد التصريحات على الاخوة مع "اخواننا المسيحيين" وتتحدث عن التعاون معهم فى النضال القومي المشترك . ومع ذلك ، لم يقم أى نقاش أو حوار علنى بشأن وضع المسيحيين فى نفس الكيان الذى يتوق الجميع الى قيامه ، والذى سيحكم فيه الاسلام. ولكن لا يشك رجل واحد، مسيحى أو مسلم ، فى وضع المسيحيين فى مجتمع تحدد فيه الاحكام الاسلامية معايير المجتمع والسلطة ، ووضع المسيحيين باعتبارهم - زميين - رعايا . زد على ذلك ، فى اعقاب تزايد قوة الحركة فى السنوات الاخيرة، والى جانب التصريحات الرسمية الرصينة للحركة الاسلامية فى اسرائيل ، يمكن ان نميز التعامل مع المسيحيين ايضا فى بيانات وتصريحات المساجد ، وايضا حملات هجوم كلامية تستهدفهم .

مثال ذلك ، هو ما نشره عكرمة الفايد فى الصحيفة الناطقة باسم الحركة الاسلامية "صوت الحق والحرية" فى ١٤ فبراير ١٩٩٢ تحت عنوان " عطا الله منصور والماريجوانا الطائفية " . والمقال جاء ضمن حملة تشهير شخصية ضد الصحفى المسيحى العربي المخضرم عطا الله منصور ، فى اعقاب عدة كتابات نشرها منصور فى الصحافة العبرية والعربية (خاصة فى الصنارة ٧ فبراير ١٩٩١ ، وفى عال هامشمار فى ١٠ فبراير ١٩٩٢) وانتقد فيها حقيقة الاطار الاخلاقى لبعض نشطاء سياسيين مسلمين فى الوسط العربي . وقد اتهم منصور بترويج اكاذيب ، تستهدف تشويه الاسلام والاصوليين الاسلاميين والنيل من مكانة سيدات مسلمات . واتهم المقال منصور بالعنصرية وبمحاولة " اثارة نزاعات طائفية فى الوسط العربي" . ودعا رئيس تحرير "الصنارة" الى إقالة منصور، لانه حول الصحيفة الى "منبر للاثارة والعنصرية" ، ودعاء الزعماء الدينيين المسيحيين الى كبح جماحه ، لانه لا يضر فقط بالمسلمين بل بالمسيحيين

ايضا .

وبعد ان رفضت هيئة تحرير الصحيفة الاعتذار ، تقدم منصور بدعوى قذف قضائية ومدنية ضد صحيفة صوت الحق والحرية وكتابها . وقد ألزم قاضي محكمة السلام بالناصرة ، يجال جريل، الذي عرضت عليه الدعوى، ألزم الصحيفة في ٢٢ يونيه ١٩٩٣ بنشر صيغة اعتذار ، تتراجع فيه عن كل الاتهامات الموجهة ضد منصور وان تعتذر عن هجومها عليه . وقد تم نشر هذا الاعتذار بالفعل . وفي مذكرة القاضي الغيت الدعوى الجنائية وانتهت القضية في ٤ نوفمبر ١٩٩٣ ، بالحكم الذي الزم المدعى عليهم بدفع تعويض مالي لمنصور بقيمة ٢٤,٠٠٠ شيكل ، بالاضافة الي اتعاب المحامي (محكمة السلام بالناصرة ، تل أبيب ٩٢ / ١٦٧٩ ، حكم القاضي يجال جريل) .

ان دولة اسرائيل هي دولة قانون ، لكن ليس كثيرون من المسيحيين مثل منصور ممن يتوجهون للقضاء كرد فعل على حملات التشهير ضدهم . فالكثير من المسيحيين يخشون من الضرر الذي سيلحق بهم خاصة في واقع دولة اسرائيل . انهم يشيرون الى حقيقة انه في اسرائيل التي هي دولة ديموقراطية وفيها حرية تعبير ، لا تسجن السلطة الأشخاص نتيجة نشر افتراءات مسلمين ضد مسيحيين ، كما يفعلون في الاردن وفي مناطق الحكم الذاتي الفلسطيني مثلا .

ان حملات الهجوم اللفظية على المسيحيين تجد احيانا منفذا للتعبير ليس فقط في الصحافة بل في دعايات المساجد وفي منشورات الحركة الاسلامية الموجهة للجمهور الاسلامي . وقد اثار بيان تم توزيعه عشية عيد الاضحى في خريف ١٩٩٦ في أم الفحم ، اثار الفتنة ضد السلوك الضال للشباب " الذين يقلدون الكفار اليهود والمسيحيين" . ووصل البيان أو المنشور الى الناصرة واثار هناك ردود فعل غاضبة في اوساط بعض المسيحيين ، الذين وجدوا منفذا للتعبير في مقالات مقابلة في الصحف العربية المحلية - كل العرب والصنارة - التي يعمل بها جزء كبير منهم . وفي ردودهم على هذا المنشور ، كما في مناسبات اخرى ، شدد المسيحيون على عروبتهم ومساهمتهم في الثقافة والقومية العربية، وأدانوا الهجوم عليهم بسبب كونهم غير مسلمين . وقد انضم الى ردود الفعل المضادة تلك ، مسلمون مثقفون ايضا .

وبصفة عامة ، فان ردود فعل المسيحيين صيغت باعتدال وخاطبت العقل مباشرة، وليس في مقدروها ان توقف حملات هجوم الحركة الاسلامية عليهم . ان كون المسيحيين مطالبين مرارا وتكرارا باثبات عروبتهم يدفعهم الى موقف الدفاع عن انفسهم . وهم مطالبون بوحدة الصف في كفاح العرب مع دولة اسرائيل من اجل مساواة كاملة، وهوية قومية معترف بها وحكم ذاتي قومي. وعلى الرغم من دورهم البارز في هذا الصراع فان عليهم ان يتمالكوا أنفسهم تجاه حملات هجوم المسلمين الاصوليين . ولان ظهور الاقلية العربية في اسرائيل كمجتمع تعددي، يضم بين طياته كل انواع الطوائف والاديان ، فانه يعتبر طائفيا جديرا بأي ادانة ويعد مخربا للصراع القومي. هذا الواقع يدفع كثيرا من المسيحيين الى التفكير ، بانه من الافضل عدم طرح اشكالية هويتهم العربية المسيحية وعلاقتهم بالمسلمين ، اذ ان طرح مثل هذه القضايا للنقاش سيؤدي الى تفاقم العلاقات بين المسيحيين والمسلمين ، ولن تكون هناك أية فائدة ترجى من مثل هذا النقاش .

(المحور الثاني) الدين كعنصر في الهوية الجماعية

الحالة التالية تؤيد كلامي . ففي شهر يونيو ١٩٩٦ اجرى دكتور عربي مسيحي من الرملة استطلاعا للرأي بين تلاميذ الثانوي المسيحيين في الناصرة ، في إطار بحثه لدرجة الدكتوراه في علم النفس الذي كان يعده لجامعة بريطانية ، كان موضوعه يدور حول مكونات هوية المسيحيين في اسرائيل. وكانت استمارة الاستطلاع مستقاه من نموذج استمارات وعينات اجتماعية ونفسانية معمول بها في الغرب، وتم تجربتها ايضا في الشرق الاوسط ، بما في ذلك مصر والسعودية . وقد جرى توزيع هذه الاستمارة بين تلاميذ مدارس ثانوية عربية مسيحية في الرملة وحيفا ، بدون اي معوقات . غير ان اجراء الاستطلاع في المدارس المعمدانية في الناصرة اثار موجه هجوم حادة وشاملة من جانب مسيحيين ومسلمين على السواء ، ووصلت اصداءها الى الصحافة العربية وكذلك الى محطات اذاعة صوت اسرائيل باللغة العربية . وكانت احدى الشخصيات المسيحية قد ردت على حملات الحركة الاسلامية بمقالات حادة في الصحافة العربية، حيث نشرت هذه الشخصية مقالا يدين اجراء استطلاع الرأي ، "أنه ينشر سموم العنصرية ويحلم بزرع الفرقة بين العربي المسلم والعربي المسيحي" . وقد هاجم كاتب المقال بالأخص "المسئولين عن المدرسة" ، الذين سمحوا بتوزيع استمارة الاستطلاع (فرج سلمان - صحيفة كل العرب ٢٨ / ٦ / ١٩٩٦).

في هذا الجو المشحون تحول نزاع حول الاراضي في الناصرة ، عقب انشاء مسجد فوق موقع اسلامي جليل ، الى نزاع يهدد العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في المدينة. فقد اقيم المسجد بدون تصريح منذ فترة رئيس المدينة الراحل توفيق زياد - علي احدى الربوات المطلة علي مدينة الناصرة بالقرب من دير ، وحصل علي تصريح بناء بعد انتهاء العمل . وقد إدعى اعضاء الحركة الاسلامية مؤخرا ملكية منطقة قريبة من المسجد تقدر مساحتها بـ ٢١٣ دونم، تعتبر من وجهة نظرهم وقفا اسلاميا، بينما تقول بلدية الناصرة، ان هذه المنطقة تنضوي تحت ملكيتها . وكان هذا الجدل حريا به ان يكون جدلا عاديا بين مجموعة مواطنين والبلدية ، لكنه تحول الى نزاع ذي شعارات دينية - طائفية (انظر مثلا لما كتب في الصحيفة المتحدثة بلسان الحركة الاسلامية "صوت الحق والحرية" في ٢٢ نوفمبر ١٩٩٦) . وكان خوف المسيحيين هو مما ترى لهم كهدف الحركة الاسلامية- اختراق مدينة الناصرة ومحيطها

التقليدى المسيحى، بعد ان فقدت ميزة الاغلبية المسيحية . كما وان الناصرة هى المدينة العربية الاكبر فى اسرائيل ، وتشكل بؤرة النشاط الوطنى للعرب فى الدولة .

رد فعل آخر على نشاط الاصوليين الاسلاميين تمثل فى محاولة انشاء تنظيم مسيحى مستقل فى الناصرة. وقد حدثت محاولات اقامة مثل هذا التنظيم فى فترة الانتداب خلال الخمسينيات ، وكانت تعتبر شرعية ، وان لم يكن لها اى تمثيل مسيحى مستقل فى الكنيست . ويثير استئناف هذه المحاولة فى السنوات الاخيرة رد فعل معاد للغاية . وهناك مسيحيون فى اسرائيل يعتقدون ان التلويح براية العروبة العلمانية واقصاء الطائفية من جانب المسيحيين قد عادت اليهم كما ترتد القذيفة الى راميها فى نهاية الأمر . واليوم يشتد ساعد الدين كاطار تنظيمى توحيدى بالنسبة للمسلمين ، بينما ليس لدى المسيحيين بالمقابل أى قاعدة مشابهة للاتكاء عليها .

هناك مشكلة أخرى ، تسببت فى تقويض الامن الشخصى للمسيحيين هى اختلال ميزان القوى التقليدى بينهم وبين الدروز . فالعلاقات بين الطائفتين تحمل طابع حياة الجوار الطيبة عبر مئات السنين فى قرى مشتركة ومشاعر المصير المشترك بالعيش فى مناطق ذاتية الحكم فى جبال لبنان، وجنبا الى جنب مع الدين الاسلامى ، ولكن ليس تحت حكمه المباشر . وقد تأسست قرى مختلطة كثيرة فى الجليل جمعت بين المسيحيين والدروز ، بفضل سياسيين من ابناء الطائفتين منذ الحرب الاهلية عام ١٨٦٩. انهم مازالوا يحافظون على عرف العيش سويا فى تعاون ، شابه احيانا تدهور الى حد النزاعات الدامية ، التى تحركها عناصر خارجية . ان العلاقات بين الطائفتين فى اسرائيل هى بصفة عامة جيدة ، ولكنها تتعرض لبعض المنغصات فى ظل حروب اسرائيل ، وخاصة عند تورطها فى الصراعات الطائفية فى لبنان . وهناك عامل هامة فى الاحتكاكات بين الطرفين – المسيحيين والدروز – يتمثل فى حقيقة ان الدروز كطائفة يخدمون فى جيش الدفاع الاسرائيلى ، بينما المسيحيون لا .

كانت ذروة هذه الاحتكاكات ماحدث من وقائع دامية فى قرية ياسيف عام ١٩٨١ . تطورت هذه الاحداث نتيجة نزاع محلى – شخصى ، وانتهت بهجوم دروز على مسيحيين بقرية ياسيف ، والتعرض لأناس ابرياء لم تكن لهم ايه صلة بالنزاع ، وشمل ذلك سرقة واصابات وقتل . وكان الهجوم بمثابة صدمة عميقة بين المسيحيين ، ليس فقط فى قرية ياسيف بل فى الجليل كله ، بسبب مداها وبسبب حقيقة انه فى اثناء الاحداث استخدم سلاح من جيش الدفاع الاسرائيلى . اضف الى ذلك ان الشرطة لم تستطع ضبط المتهمين بالهجوم بعد وقوعه ، والذين كان يجب محاكمتهم . وأدت هذه الاحداث بمسيحيين كثيرين الى الشعور بانهم يستحقون حماية النظام الحاكم فى دولة اسرائيل ، التى بانوا فى حاجة اليها كاقلية .

ومن نواح كثيرة شكلت الحرب الاهلية فى لبنان منعطفا للمسيحيين فى اسرائيل . فقد تمزقوا بين شعور الاتفاق مع الحكم الذاتى المسيحى الوحيد فى الشرق الاوسط وبين توافقهم مع معاناة اخوانهم الفلسطينيين فى لبنان ، وبخاصة بالنسبة لحقيقة ، ان اللبنانيين لم يتعاملوا مع المسيحيين الفلسطينيين بطريقة مختلفة تماما عن طريقتهم مع المسلمين الفلسطينيين . وقد أدى هذا الأمر الى شعور فظيع بفشل الدولة الوحيدة فى الشرق الاوسط التى كان المسيحيون فيها ضمن النخبة الحاكمة .

ان تفكك الاتحاد السوفيتى وانقشاع الشيوعية اطاح بأمل المسيحيين ، وخاصة لدى العرب الأرثوذكس ، فى خلق مجتمع مؤسس على ايديولوجيا علمانية ، وتقوض ما كان يبدو كسند لهم من جانب الاتحاد السوفيتى. كل هذا دعم وقوى بين المسيحيين فى اسرائيل الشعور بالارتباط بالمجتمع المسلم المحيط بهم.

محصلة كل هذه التطورات فى صناديق تصويت المسيحيين فى انتخابات الكنيست . ويمكن ان نميز صندوقين رئيسيين للتصويت : تصويت طائفى محلى وهو يمر بمرحلة تدهور ، وتصويت شامل الايديولوجية والقومية فى عموم البلاد ، والذى يعد المسيحيون فى طليعته . وصندوق التصويت الطائفى مرتبط بسياسة تعبئة الاصوات العربية لصالح الاحزاب الصهيونية وعلى رأسها ماباى فى حقب الخمسينيات والستينيات . أما انهيار التمثيل الطائفى المسيحى فى السبعينيات فمن اسبابه الضعف القاعدى للطوائف المسيحية ، وتبعثرها بين السكان المسلمين وارتباطها بهم . بالمقابل ازداد اتجاه التمثيل العام القومى .

ان الخط المتواصل- رغم معطيات الدائرة المركزية للاحصاء – هو التصويت للاحزاب الشيوعية باطوارها المختلفة ، وكذلك لاحزاب اليسار . وقد تأكد هذا المسعى فى انتخابات ١٩٩٦ للكنيست الـ ١٤ ، عندما حصلت حداش وبلد (الجبهة الديموقراطية للسلام والمساواة – والتحالف القومى الديموقراطى) على ٤٨٪ من الاصوات فى القرى ذات الاغلبية المسيحية ، مثل قرية ياسيف ، معيلاى ، بسوته ، رامه ، جوش ، وعلفون . بالمقابل ، كان نصيب دعم (القائمة العربية الموحدة) بزعامة دهامشة ودراوشة ، والتى تقوم قاعدتها فى المثلث وفيها تمثيل للجناح المعتدل بالحركة الاسلامية، كان نصيبها اصوات معدودة فقط فى تلك القرى. واصاب المعراخ انخفاضا ملحوظا فى هذه التجمعات السكنية – من ٢٣٪ الى ٢٢٪ . وكانت نسبة التصويت للاحزاب الدينية ولاحزاب اليمين الصهيونية منعدمة . وكان من ابرز محصلات هذه النتائج الانتخابية الصعود الملحوظ لميرتس فى القرى التى تتمتع بأغلبية مسيحية – اذ حصل على ١٦,٢١٪ مقابل ١١٪ فى انتخابات ١٩٩٢ . انها نسبة تتعدى بنسبة ١٠,٥٪ الاصوات التى حصلت عليها ميرتس فى الوسط العربى كله، والجدير بالذكر أن نسبة التصويت لميرتس فى الوسط العربى كانت ايضا اكثر بكثير مما حصلت عليه فى اوساط المجتمع اليهودى، اذ حصلت ميرتس هناك على ٨٪ فقط من اجمالى الاصوات .

ان اتجاه التصويت لحزب صهيونى يفند تصور المسيحيين

فى اسرائيل كقوميين متشددين بين العرب، حسب ما اعتقدته المؤسسة اليهودية فى الخمسينيات والستينيات . ويمكن التدليل على عدة عوامل ادت الى هذا التصاعد فى اتجاه التصويت لمصلحة ميرتس فى قرى ذات اغلبية مسيحية :

(أ) حقيقة ان مشاركة ميرتس فى الحكومة فتحت لكثير من العرب الباب لمهام ومناصب عامة لم تكن متاحة اما مهم قبل ذلك ، خاصة بالنسبة للمتعلمين من بينهم .

(ب) الخدمات التى حاول وزراء ميرتس بالحكومة السابقة تطويرها فى التجمعات السكنية العربية، وبخاصة فى مجال التعليم .

(ج) حقيقة ان ميرتس هى الحركة التى تحمل لواء العلمانية. ان النسبة المرتفعة نسبيا فى التصويت لميرتس تكشف الى حد كبير عن التطلع الذى سعى اليه النشاط السياسى للمسيحيين منذ بداية فترة الانتداب . الا وهو تحقيق المساواة فى مجتمع لا يحتل فيه الدين المكانة العليا .

ويعبر تمثيل المسيحيين بالكنيست ايضا عن التطورات التى سبق واستعرضتها . فبعد ان كان نصف أعضاء الكنيست العرب من المسيحيين فى الخمسينيات والستينيات – وهو اكثر للغاية من ثقلهم السكانى – بدأ فى السبعينيات انخفاض تدريجى فى عدد اعضاء الكنيست المسيحيين . وفى انتخابات الكنيست الـ ١١ والـ ١٢ (١٩٨٤ و١٩٨٨) انتخب مسيحى واحد للكنيست – هو توفيق طوبى من حداش ، الذى لم يعتبر نفسه ممثلا مسيحيا بل كممثل للحزب الشيوعى . وفى انتخابات الكنيست الـ ١٣ لم ينتخب اى مسيحيين على الاطلاق . وفى منتصف الدورة البرلمانية أدخل الى الكنيست مسيحيان : صالح سليم من حداش ورئيس مجلس محلى أعفلين وذلك بعد وفاة توفيق زيادة فى حادث طريق عام ١٩٩٤ ، وحنا حداد من العمل ، فى أعقاب استقالة افرهام بورج من الكنيست بعد تعيينه رئيسا لادارة الوكالة اليهودية عام ١٩٩٥ . وذلك بالطبع بعد ان كان حداد قد فشل فى تنظيم قائمة مستقلة موجهة الى المجتمع المسيحى.

فى الانتخابات التى جرت عام ١٩٩٦ للكنيست الـ ١٤ انتخب مسيحيان من قبل كتلة حداش – بلد : صالح سليم ، الذى كان عضوا بالكنيست الـ ١٣ وعزمى بشارة المحاضر بجامعة بيرزيت . وجدير ان نذكر المرشحة المسيحية من قبل المعراخ ، نادية حيلو ، التى جاء ترتيبها فى مرتبة متقدمة بقائمة الحزب لانتخابات الكنيست . ورغم ان حيلو لم تنجح فى التأهل للكنيست فقد حفرت لها تاريخا ، اذا انها المرأة العربية الاولى التى تنافست فى انتخابات الكنيست الـ ١٤ فى حزب العمل دون معيار طائفى ، بل بناء على معيار مساواة مكانة المرأة ذات الكفاءة بالرجل . لقد نجحت فى الوصول الى ترتيب متقدم فى حزب صهيونى ، بأصوات لم يكن بينها مسيحيون ولا عرب ، بل باصوات يهود .

ورغم ان عزمى بشارة لم يبرز هويته الطائفية المسيحية ، فان الاغلبية المسلمة لم تنسها . وبعد نجاحه فى الانتخابات خرج بشارة بسابقة جديدة : تقدم بالترشيح كعربى فى انتخابات رئاسة الحكومة – وحسب اقواله ، فانه عمل تكتيكى من شأنه ان يؤدى الى جولة انتخابات ثانية ، اكثر منه خطوة فعلية (فى مقابلة معه بجريدة هآرتس ٣٠ – ١ – ١٩٩٧) واثارت هذه الخطوة رد فعل عنيف وحاد فى المجتمع العربى وفى اللجنة القطرية لرؤساء المجالس المحلية العربية ، المعنيين بدعم ورعاية الشؤون اليومية فى الوسط العربى اكثر من الخطوات الاستعراضية . واعتبروا مبادرة بشارة بمثابة عرض جاء فى غير أوانه ، ويتحدى دون ضرورة، قطاع من المجتمع اليهودى، وبذلك يسئ علاقتهم بالقطاع العربى.

والحقيقة ان معارضة ما أعلنه بشارة صيغت بمصطلحات طائفية ، ففى ادانته لبشارة ، اوضح حسين سليمان متحدث اللجنة القطرية للسلطات المحلية العربية، فى مقابلة مع شبكة (تيفل) ان :"ليس لدى بشارة ماضى قيادى قومى مناسب وأقصى ما يستطيعه ان يتزعم الطائفة الأثوذكسية" (برنامج بانوراما ١٤ –٢–١٩٩٧، هآرتس ١٦–٢–١٩٩٧) وقد ادى هذا الكلام الى رد فعل من جانب حداش ، التى طالبت باستقالة سليمان ، الذى "بكونه عضوا بحزب المعراخ الصهيونى (...) فانه يستخدم العائلية والطائفية اللتين تستغلهما الاحزاب الصهيونية لزرع الفرقة والشقاق بين صفوف شعبنا".

وفى حوار مع ابراهيم نمر حسين رئيس بلدية شفا عمرو ورئيس لجنة المتابعة العليا لشؤون السكان العرب فى اسرائيل ادعى سليمان، ان تصريحه " جاء بشكل شخصى ولا يمثل اللجنة" واعلن ايضا ، ان توحد ابناء شعبنا بجميع طوائفه مهم بالنسبة لى جدا ، وانه عارض ماإتخذ بشارة "ليس بسبب مسيحيته بل لانه ليس الشخص المناسب لذلك بسبب سجله الخاص" (بانوراما ١٤–٢–١٩٩٧) .

وفى محاولة لتهدئة النفوس ، نشر ابراهيم نمر حسين بيانا رسميا حذر فيه من ان الخلاف بين حسين سليمان وبشارة يمكن ان ينزلق الى "حافة مواجهة طائفية" ودعا الاثنين الى التصرف بمسئولية قومية والتوقف عن الجدل . واضاف نمر حسين موضحا ، ان بشارة كان يجب ان يقدم الاقتراح للنقاش فى لجنة المتابعة ، قبل ان يتسرع ويطلع وسائل الاعلام عليه" . وبالنسبة للمطالبة باقالة سليمان ، شدد على ان الامر يتصل بمنصب ينتخب شاغله، "وان المؤسسة التى اختارته للمنصب هى فقط التى يمكنها اقالته" (بانوراما ١٤–٢–١٩٩٧ ، هآرتس ١٩–٢–١٩٩٧) .

وتشير انتخابات الكنيست الـ ١٤ الى يقظة ما فى تمثيل المسيحيين فى الكنيست . ومن هذه الناحية كانت الانتخابات استمرارا لمرحلة تفتح عهدا جديدا فى الشرق الاوسط، وتبشر باجواء مختلفة فى الوسط العربى عموما ، ولدى المسيحيين خصوصا . وقد عبرت العملية الانتخابية عام ١٩٩٦ عن روح المبادرة واستعادة المسيحيين لنشاطهم فى المجال السياسى ، وهو ما تأثر بالتقدم الذى حدث فى المسيرة السلمية ، وبالشعور انه مع تقدم العملية السلمية

يمكن ان يتم التغلب على المشكلات القائمة ومشكلات الهوية. وكان الأمل ان تقل الهجرة - التى تمثل عنصرا هاما فى عدم الامن للمسيحيين - فى اعقاب الفرص الجديدة وجو الامان الذى خلقته العملية السلمية.

الآن نعود ونسأل نفس السؤال ، الى أى مدى يشكل التغيير الذى حدث فى صناديق الاقتراع ونتائج الانتخابات الاخيرة ، نقطة تحول ، والى أى مدى يصبح الامر عرضيا ومؤقتا فحسب . وفى اعتقادى ، الأمر مرتبط تماما بالعملية السلمية. اذا استمرت هذه العملية ووصلت الى النتائج المأمولة ، فان أى مكانة للمسيحيين ، سواء كمساهمين فى العملية أو كمدعومين بها ، ستكون بارزة وهامة. ومن شأن نجاح العملية السلمية ان تضعف القاعدة التى ينمو عليها الحزب الاسلامى ، والذى يعد عاملا رئيسيا فى تقويض أمن المسيحيين . ولكن اذا تدهور الموقف وقويت الحركة الاسلامية، سيتعاظم الشعور بالتعرض للاذى لدى المسيحيين . وهناك من يعربون عن الخوف من انخفاض عدد المسيحيين لدرجة تؤدى الى اندثار كيانهم . ليس المقصود هنا الكنائس - فهى دائما ما تقام - بل المقصود هو اندثار الهوية الثقافية الموحدة للمسيحيين فى المنطقة، الهوية التى تتجاوز العقيدة الدينية. ويأمل كثير من المسيحيين ، بل يلقون حملهم ورهانهم على استمرار العملية السلمية .

المحور الثالث : الدين كعنصر فى الهوية الجماعية الاسلام السياسى فى اسرائيل وارتباطه بالحركة الاسلامية فى المناطق .

بقلم : إيلى ركيس

من خلال تطور الارتباط أو العلاقة بين الحركة الاسلامية فى اسرائيل ونظيرتها فى المناطق يمكن تمييز اربع فترات: سنوات البدء الاولى (١٩٦٧ - ١٩٧٨) ، سنوات البناء (١٩٧٩ - ١٩٨٧) ، مرحلة الانتفاضة (١٩٨٨ - ١٩٩٠) ، مرحلة التأثير غير المباشر (١٩٩١ - ١٩٩٦) ومرحلة العملية السلمية (١٩٩١ - ١٩٩٦) . وتركز هذه الدراسة على مظاهر المرحلة الرابعة .

وهذه المرحلة تحمل سمة تأسيس الحركة الاسلامية فى اسرائيل كتنظيم سياسى . وأحد دلائل التأسيس البارزة فى المجال السياسى والذى تنامى بين مراكز قوى متنافسة فى صفوف الحركة - صراع حمل ايضا طابعا ايديولوجيا دينيا . وفى مطلع التسعينيات بدأ يظهر شقاق فى الحركة ، تجلى فى جانب منه فى محاولة كتل متنافسة الفوز بوضع ومكانة بارزين وبشرعية سياسية سواء داخل حدود اسرائيل أو على الساحة الفلسطينية عموما . وكانت احدى الوسائل الاساسية التى استخدمتها كتل الحركة الاسلامية فى اسرائيل فى سباق الحصول على الشرعية، هى الاتصال بالمنظومة السياسية فى المناطق ، وبالاسلام السياسى على وجه الخصوص .

على المستوى الخارجى القت عملية السلام بظلال عميقة على تطورات الحركة الاسلامية فى اسرائيل ، وايضا على ارتباطها بالتيار الاسلامى فى المناطق ومنذ عام ١٩٩١ تفجر حوار حاد فى الضفة الغربية فى قطاع غزة وفى قيادة منظمة التحرير الفلسطينية وحماس خارج المناطق ، فيما يتعلق بمسألة ما اذا كان على الفلسطينيين ان ينضموا الى المفاوضات السياسية ووصلت اصداء هذا الجدل والحوار داخل الخط الاخضر . ونتج عن ذلك وضع مثير ، خلافات فى الرأى سياسيا وايديولوجيا بالنسبة لتحديد الاهداف القومية للشعب الفلسطينى ، نشأت فى الساحة الفلسطينية الخارجية، وانكشفت كما هى معروضة فى الساحة الاسلامية داخل اسرائيل.

على هذه الخلفية بدأ يتبلور فى الحركة الاسلامية معسكران ، تيار معتدل نسبيا ، ابدى موقفا برجماتيا ، مشجعا للتيار الرئيسى فى منظمة التحرير بزعامة عرفات ومؤيدا لتسوية سياسية بين الفلسطينيين واسرائيل. ومقابله تيار رديكالى فعال ، تبنى خطا سياسيا متعنتا ، بمعارضة العملية السلمية بمعيار أوسلو وتأييد جزئى لموقف المعارضة الفلسطينية ، وبخاصة الاتجاه الاسلامى بها . وعلى رأس التيار المعتدل يقف الشيخ عبد الله نمر درويش ، وبين مؤيديه جرى تعيين قادة الحركة الاسلامية فى جنوب المثلث : رئيس المجلس المحلى بقرية قاسم (كفر قاسم) ، الشيخ ابراهيم صرصور ، رئيس المجلس المحلى بقرية برا - الشيخ كامل ريان، رئيس المجلس المحلى جلجوليا - توفيق الخطيب ، وآخرون و من بين ممثلى التيار المضاد عن رئيس بلدية أم الفحم - الشيخ رياض صلاح ، والشيخ كمال الخطيب ، وهو ناشط اسلامى بارز من قرية كانا.

وكلما مضت عملية السلام ، بنجاحاتها واحباطاتها ، تماسكت الصفوف. وقد كان بدء المفاوضات المباشرة بين اسرائيل ومنظمة التحرير فى صيف ١٩٩٣ اشارة الى نقطة تحول فى تعميق الشقاق. وقد أدى الحوار الفلسطينى الداخلى حول اتفاقات اوسلو بين تيار الوسط البرجماتى فى قيادة فتح وبين المعارضة فى زعامة حماس، أدى الى ولادة خلاف مواز داخل الحركة الاسلامية فى اسرائيل. فالتيار البرجماتى ساند موقف تيار الوسط بمنظمة التحرير ، بينما أيد التيار الراديكالى موقف حماس. مع ذلك لم تكن تلك لعبة لا طائل منها . فرغم ان التيار البرجماتى أيد العملية السياسية السلمية وعرفات، فانه لم ينفصل عن حماس او تنكر لها ، بالعكس ، فان انتقاد التيار الراديكالى لاتفاق اوسلو لم يجد صدى له بمقاطعة عرفات أو عزله ، على الاقل ليس فى بداية المرحلة التى نتناولها . زيادة على ذلك ، ففى قضايا سياسية معينة ، مثل مشكلة القدس ، ساد اتفاق أو تطابق فى الرأى بين الكتلتين ، بل وفى مجالات بعينها تعاون الطرفان سويا.

وعلى الرغم من ذلك ، كلما تقدمت العملية السلمية ازداد عمق الشقاق الداخلى . ويتضح هذا الاتجاه فى اربعة مجالات : فى الموقف تجاه اتفاقات اوسلو وتطبيقها ، فى المواقف من الصراع المسلح والانشطة الارهابية ، فى

محاولات التوسط بين حماس ومنظمة التحرير ، وفى مساعدة الحركة الاسلامية لسكان المناطق .

المواقف تجاه اتفاقات أوسلو وتطبيقها :

لقى توقيع اتفاق المبادئ بين منظمة التحرير واسرائيل فى سبتمبر ١٩٩٣ ترحيبا من التيار الذى يتزعمه الشيخ عبد الله نمر درويش . ولم يتردد درويش فى المشاركة فى مؤتمر تأييد احتفالى تم عقده بعد وقت قليل من توقيع الاتفاق - فى الناصرة الى جانب ممثل بارز لحزب العمل ، هو وزير السياحة عوزى برعام. والواقع ان متحدثى التيار البرجماتى شرطوا تأييدهم للاتفاق ، فقط ، بضمان ان تفى النتائج المأمولة بالطموح القومى الفلسطينى. "اذا كان اتفاق غزة - اريحا أولا سيؤدى الى انشاء دولة فلسطينية تكون عاصمتها القدس الشرقية ، فربما تكون هذه الخطوة فى الاتجاه الصحيح" ، صرح بذلك الشيخ درويش ، (الديار ١-١٠-١٩٩٣) . وبطريقة مشابهة اوضح ابراهيم صرصور ، الذى صرح بان الحركة الاسلامية تؤيد الاتفاق ، بشرط ان يؤدى الى تقرير مصير الفلسطينيين (جوروزاليم بوست ١٠-٩-١٩٩٣).

ان تطبيق اتفاقات أوسلو ، واقامة السلطة الفلسطينية ودخول عرفات الى غزة جعل التيار البرجماتى قويا ومنطقيا فى تأييده للمسيرة السلمية. ومع ذلك ، فقد تمسك متحدثو التيار باعلان موقف متزن وعدم توجيه انتقاد لاذع للمعارضة الاسلامية . واضافة الى هذا ، وبشكل متوازى بذلت شخصيات كبيرة فى التيار جهودا ملموسة للتوفيق والتوسط بين حركة حماس ومنظمة التحرير الفلسطينية . ولكن بصفة عامة كانوا يميلون من كل قلبهم الى دعم قبضة السلطة الفلسطينية ومواقفها فى العملية السلمية. فمثلا ، فى صيف ١٩٩٥ وصف الشيخ عبد الله العملية السلمية بانها مصالحة بين العرب واعدائهم ، والتى - حسب اقواله - تعد تطورا مرتبطا وثابتا بالفكر الاسلامى على الدوام (الحياة - لندن ١٣ - ٨ - ١٩٩٥) . وفى انتخابات الكنيست الـ ١٤ التى جرت فى مايو ١٩٩٦ ، عندما تشكل ائتلاف بين الحزب الديموقراطى العربى بزعامة عضو الكنيست عبد الوهاب دراوشة وبين التيار البرجماتى للحركة الاسلامية - القائمة العربية الموحدة - تضمن برنامجه صياغة الهدف الفلسطينى من المسيرة السلمية متوائما مع الاتفاق الواسع فى الرأى للتيار الفلسطينى الرئيسى : "لتحقيق السلام العادل والشامل ، الذى يضمن انهاء الاحتلال وتفكيك المستوطنات ، وكذلك اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس" .

هناك فكرة معكوسة تقريبايذهب إلى أن موقف حماس فى اساسه معارض تماما للاتفاق ، مع تأييد غير رسمى له ، هذه الفكرة روجتها عناصر المتحدثين بلسان متشددى الحركة الاسلامية . ومقابل الشيخ درويش الذى شارك فى مؤتمر تأييد لاتفاق أوسلو ، فضل الشيخ رياض صلاح فى نفس الشهر ان ينضم الى مظاهرة اضخم واوسع من حيث المشاركين نظمتها جبهة المعارضة لعرفات فى قطاع غزة. وهناك عرف صلاح الاتفاق بانه " عمل من أعمال الخيانة" ، ودعا الى السعى لالغائه بالطرق الديمقراطية (الديار ١-١٠-١٩٩٣) ، كذلك رأى صديقه الشيخ كمال الخطيب ، فى الاتفاق "خيانة لحق الشعب الفلسطينى" ، وخاصة تأجيل النقاش والتفاوض حول القدس (كل العرب ٣-٩-١٩٩٣).

وأعرب التيار المعارض للحركة فى اسرائيل عن معارضته ايضا بوسائل غير مباشرة ، مثل نشر مقالات تنتقد بشدة اتفاق اوسلو من قبل صحفيين أو شخصيات فى المناطق محسوبين مع التيار الاصولى وبهذه الطريقة حقق قادة هذه المجموعة انجازا مزدوجا : انهم روجوا واشاعوا بطريقة واسعة الخط السياسى لحماس من جانب ، ونجحوا فى ان ينقلوا لجمهور قرائهم رسالة غير مباشرة تتفق مع هذا الخط من جانب آخر . ومع المتطوعين الدائمين من المناطق تحدد خالد عميرة من الخليل ، فواز شاهين من حنين واسماعيل الجمل من أريحا . أما المجلة الاسبوعية صوت الحق والحرية التى كان من الممكن ان تؤثر على المجموعة المعارضة فى اسرائيل ، فقد تحولت الى منبر رئيسى لكتاب علم الاجتماع السياسى من مؤيدى التيار الاسلامى فى المناطق ، حتى انه تولد انطباع فى بعض الاحيان ، بان النسخة الاسرائيلية ليست إلا المتحدث الرسمى بلسان حماس .

كانت الوسيلة الاخرى التى استغلها التيار المعارض هى نشر مقالات صحفية مع رجالات حماس . بدأ ذلك فى عدد ٢٩-١٠-١٩٩٣ من جريدة صوت الحق والحرية اذ نشرت مقابلة مع الشيخ محسن ابو عيطة وخالد الهندى ، وكلاهما من خيرة التيار الاسلامى فى قطاع غزة . اذ قال ابو عيطة فيها : "صفقة غزة - أريحا ، هى بمثابة جنين ولد ميتا . انها فى نظرى وجبة عشاء دسمة اندس السم فيها" وفى مقابلة صحفية اخرى قال الشيخ حامد البتاوى احد نشطاء حماس فى نابلس لصوت الحق والحرية فى ١٤-١-١٩٩٤ : " ان اتفاق غزة اريحا يسلب (الجانب الفلسطينى) لانه يمنع مليار مسلم من زيارة الاقصى ". وعندما سئل بيتاوى ماذا يقول لليهود ، اجاب . "اننا ندعوهم للاسلام انهم تعساء وحياتهم عسيرة ، ونحن ايضا كذلك والحل بالنسبة لنا ولهم - هو الاسلام".

حتى بعد انشاء السلطة الفلسطينية واعادة انتشار جيش الدفاع الاسرائيلى إستمر متحدثو التيار المعارض فى إسرائيل فى التمسك بمناوئة اتفاقات اوسلو ، مع التأكيد على اتفاق الاراء بينهم وبين المعارضة الفلسطينية العامة . وقد اختفى الشيخ رياض بشكل دعائى من وفد زعماء عرب اسرائيل. الذى توجه لتهنئة عرفات بمناسبة دخوله غزة ، فى يوليو ١٩٩٤. كما امتنع الشيخ رياض بصورة معلنة عن مقابلة رئيس السلطة الفلسطينية، وجرت اول مقابلة من هذا النوع - فقط - فى بداية اغسطس ١٩٩٤ ، على الرغم من سعى عرفات ، وفى اطار محاولات توسط ممثلى الحركة الاسلامية فى النزاع الذى نشب بين السلطة وحماس.

وقد عرف الشيخ كمال الخطيب سياسة التيار النشط تجاه اتفاق اوسلو - في صيف ١٩٩٥ :
ان الموقف المعارض لاتفاق أوسلو ليس قاصرا على الحركة الاسلامية في اسرائيل ، بل هو جزء بارز من توجهات الزعامات الفلسطينية التي ادركت انه لو نجحت عملية اوسلو فانها ستكون المسمار الاخير في نعش المشكلة الفلسطينية . فالتغييرات والتنازلات هي دائما لصالح الجانب الاسرائيلي ، على حساب الجانب الفلسطيني الموجود في الموقف الاضعف . اننا نؤمن بدون شك بطريق السلام، ولكن في التوقيت المناسب. ان اختيار موعد أوسلو كان في فترة ضعف وشقاق في العالم العربي والاسلامي (...) . ان اوسلو هي سلام القوي مع الضعيف ، انها استسلام وليست سلام (١١-٨-١٩٩٥).
وقد تماشى هذا الموقف تقريبا حرفيا مع تصريحات اعضاء حماس.

المواقف من الصراع المسلح وعمليات الارهاب :
ان اختلاف وجهات النظر بين المعسكرين في الحركة الاسلامية برزت بوضوح ايضا في التعامل مع مسألة الارهاب ، وخاصة دور حماس ومنظمة الجهاد الاسلامي في هذا النشاط . في فبراير ١٩٩٢ هاجم اربعة نشطاء اسلاميين مواطنين اسرائيليين من منطقة أم الفحم - معسكر مبتدئين تابع لجيش الدفاع بالقرب من كيبوتس جلعاد - وقاموا بقتل ثلاثة جنود بواسطة فؤوس ، ثم هربوا . بعد وقت قصير تم القبض على الخلية واتضح ان اعضاءها كانوا على صلة بالحركة الاسلامية في اسرائيل ، ولكن لم يعملوا بأوامر منها ، بل اقاموا حركة سرية متطرفة تسمى الجهاد الاسلامي، عملت بشكل منفرد .
واثارت عملية القتل في جلعاد مرة أخرى جدلا عاما حول ، الى أي مدى تعتبر الحركة الاسلامية في اسرائيل متورطة في عمليات الارهاب. وقد سارع زعماء الحركة في اسرائيل بادانة هذا الفعل وتنكرت لمنفذيه ، وانكروا أي صلة لهم بالحركة . ولم تتكرر حالة جلعاد . وقد كتب المحلل العسكري زئيف شيف في يوليو ١٩٩٣، بالرغم من ذلك ، ان "هذه الحركة تستخدم على مايبدو لانضاج الاحداث الخطيرة ومخزنا لتعبئة رجال حماس". (هآرتس ٢٣ - ٧ - ١٩٩٣) .
وقد اظهر التيار المعتدل في الحركة الاسلامية تماسكا بموقفه السلبي تجاه الارهاب . وعندما اختطفت الرقيب نسيم توليد ينو علي ايدي رجال حماس ١٩٩٣، استجاب الشيخ عبد الله للطلب الذي تلقاه من جهات رسمية (عن طريق مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية السيد / شموئيل توليدينو) بمحاولة التأثير على خاطفي الرقيب بألا يلحقوا به الضرر، وخرج الى وسائل الاعلام بنداء متأثر الى حماس للحفاظ على حياة المخطوف. لأن القرآن ينهى عن المساس بالابرياء . وبنداء مماثل خرج درويش في اكتوبر ١٩٩٤ لمختطفي الجندي نحشون فاكسمان.
وعندما حدثت موجة الهجمات الشديدة من انتحاريين في حماس والجهاد الاسلامي بالقدس وتل أبيب في شهري فبراير - مارس ١٩٩٦، والتي راح ضحيتها عشرات القتلى من مواطني اسرائيل ، لقيت ادانة شديدة من جانب التيار البرجماتي في الحركة الاسلامية . وأكدت الحركة علانية مجددا ان المواطن الاسرائيلي العربي الذي ساعد الانتحاري - منفذ الهجوم في شارع ديزنجوف بتل ابيب في ٤ مارس ١٩٩٦ - لا ينتمي الى صفوفها وادان الشيخ عبد الله درويش بحدة الهجمات الانتحارية ، ودعا علماء الشريعة من المسلمين ان يعربوا بوضوح عما اذا كانت هذه الهجمات جائزة أم محظورة من الناحية الدينية .
واصر متحدثو التيار المتشدد ايضا على انهم لا يتفقون مع منفذي الهجمات أو مع من يرسلونهم . وبرز في ماقالوه تأكيدهم بانهم يعملون في اطار القانون، وليس لاعضاء الحركة ان يتورطوا في عمليات ارهابية . ومع ذلك فقد كان لهم توجه معين في التعامل مع قضية الارهاب . فعلى خلاف التيار البرجماتي ، امتنع التيار الراديكالي المتشدد عن ادانة لاذعه وصريحة للعمليات الهجومية، ورغم عدم موافقته على مثل هذه الاعمال وتحفظه على العنف ، أبدى احيانا تفهما لدوافعها .
هذه العلاقة المتناقضة برزت في اسلوب التقرير المتعاطف ، بصورة غير مباشرة ، الذي نشر في "صوت الحق والحرية" حول الهجمات الارهابية . فمثلا ، في العدد الذي صدر بعد انفجار الاتوبيس في مايو ١٩٩٤ والذي قتل فيه ستة اشخاص ، ونشر في الملحق الخاص بالجريدة بعد قتل "المهندس" يحيى عياش في بداية ١٩٩٦. هذه العلاقة المزدوجة برزت ايضا في رد فعل زعماء التيار تجاه هجمات مختلفة . كما هو الحال - على سبيل المثال - في اعقاب انفجار الاتوبيس في رامات جان في يوليو ١٩٩٥ اذ اعرب الشيخ كمال الخطيب عن تفهمه للدوافع التي تقف وراء هذه العمليات . وفي اعتقاده ، فان الانفجار في رامات جان تمخض من اليأس المتصاعد لدى الفلسطينيين من النتائج السلبية للعملية السلمية، أي الاغلاق المستمر المفروض على المناطق والموقف الاسرائيلي المتعنت في المفاوضات مع الفلسطينيين (هآرتس ٢٥-٧-١٩٩٥) وبعد مرور اربعة اشهر ، وفي ابريل ١٩٩٥ ، ابدى الخطيب رأيا مشابها عندما قال انه يعارض العنف المعتمد على عمليات ارهابية للحركة الاسلامية المحظورة في الجزائر ، لكنه يتفهم اسبابها.

محاولات التوسط بين حماس ومنظمة التحرير الفلسطينية :
مجال واحد هو الذي تعاون فيه ممثلو الحركة الاسلامية في اسرائيل هو محاولة التوسط بين السلطات الاسرائيلية وحركة حماس (مثلما حدث في قضية الجندي المخطوف نحشون فاكسمان) ومحاولة اقامة جسر بين قيادة "فتح" وحماس في المناطق . هذا النشاط الذي بدأ في ١٩٩٢، وصل الى ذروته في ١٩٩٤ - ١٩٩٥ ، بعد تشكيل السلطة الفلسطينية في غزة ، على ضوء ثقافة النزاعات والمواجهات

العنيفة بين قيادة السلطة والمعارضة الاسلامية . وقد ساهم في عمليات التوسط ايضا بعض ممثلي تيارات سياسية اخرى في اسرائيل : اعضاء كنيست عرب وممثلون كبار للجنة رؤساء المجالس العربية .
من ناحية الحركة الاسلامية في اسرائيل ، كان المعروف ان مبادرات الوساطة تهدف قبل كل شئ الى تهدئة النزاع بين الجانبين . ولكن في نفس الوقت سعت الحركة الاسلامية للحصول على شرعية واعترافا سواء من قبل التيار الرئيسي بمنظمة التحرير أو من قبل التيار الاسلامي في المناطق. ان دور الوساطة الذي تحمله عرب اسرائيل عموما ، والحركة الاسلامية خصوصا ، خدم مصلحة القيادات الفلسطينية في المناطق . وكانت وفود الوساطة من عرب اسرائيل اكثر تفاهما وسلاسة، ولم تثر مزيد من العقبات والمشاكل لدى سلطات الامن الاسرائيلية ، مثلما كان من الممكن ان يحدث اذا دعيت عناصر وساطة عربية من خارج المناطق التي تسيطر عليها اسرائيل . وقد ضمن ربط ممثلي المعسكر القومي العربي في اسرائيل بممثلي التيار الاسلامي لعرب اسرائيل – ضمن ذلك – ان تكون مصالح جميع التكتلات المعنية بالخلاف مأخوذة في الاعتبار .
فقط تجدر الاشارة باختصار الى تدخل ممثلو الحركة الاسلامية بمبادرات وساطة. فقد شاركوا في مؤتمر المصالحة "لعرب اسرائيل الذي اقيم في يوليو ١٩٩٢ ، في محاولة لوضع حد للنزاع الدامي الذي نشب بين "فتح" وحماس في قطاع غزة. وفي اغسطس ١٩٩٤ توجه عرفات الى الحركة الاسلامية بطلب الوساطة بين السلطة الفلسطينية وحماس في القطاع ، وفي نوفمبر من نفس السنة ، وبعد حادث اشتعال بالقرب من مسجد فلسطين بالقطاع ، حاول ممثل كبير للحركة هو الشيخ درويش ، حاول مجددا التوسط بين الجانبين ، ومعه د . أحمد طيبي .
وبعد حادث المسجد توقف ممثلو التيار المتشدد عن محاولات التوسط. ومن ثم بدأ هؤلاء في توجيه انتقاد لاذع للعلاقة بين السلطة الفلسطينية وحماس ، مع مساندة بارزة لموقف الجانب الاسلامي. في شهور اغسطس وسبتمبر ١٩٩٥، مع تعمق الفجوة بين السلطة وحماس ، صعدت وسائل اعلام الحركة الاسلامية في اسرائيل – الواقعة بالطبع تحت سيطرة التيار المتشدد – حدة الانتقاد تجاه السلطة . وبدأت "صوت الحق والحرية" وملحقها "منبر الحق" هجوما قاسيا ، واحيانا دون ضابط أو رابط ، على اجهزة الامن والاستخبارات في السلطة الفلسطينية وعلى عرفات شخصيا.
وحدث تصعيد آخر في انتقاد التيار المتشدد للسلطة الفلسطينية في اعقاب عمليات انتحارية تمت في فبراير – مارس ١٩٩٦ ، وبعد اجراءات وقائية انتقامية نفذها عرفات ضد عناصر حماس . وكان وقوف التيار الراديكالي المتشدد الى جانب حماس قد بات واضحا . ولم يتأخر رد فعل السلطة . ففي بداية اغسطس ١٩٩٦ منعت السلطة توزيع صوت الحق والحرية داخل نطاق الحكم الذاتي .

وكانت سياسة التيار البرجماتي تجاه الخلاف بين منظمة التحرير وحماس في نهاية المرحلة التي نتحدث عنها، مختلفة تماما. فقد حرص متحدثو هذا التيار على اتخاذ موقف محايد ، واحتفظوا بعلاقة مع الجانبين ، سواء مع السلطة أو مع حماس ايضا ، ومواصلة اداء دور الوسيط . ويمكن ان نجد ذلك الموقف فيما قاله الشيخ درويش في اغسطس ١٩٩٥ . ان الحركة الاسلامية تتوسط بين السلطة برئاسة ياسر عرفات وبين عناصر المعارضة وعلى رأسها حماس بزعامة الشيخ أحمد ياسين، بهدف ايجاد قاعدة للحوار ارحب من الصدم ، من اجل بناء دولة فلسطينية عاصمتها القدس." (الحياة – لندن – ١٣-٨-١٩٩٥) .

مساعدة سكان المناطق :

في بداية التسعينيات قويت العلاقة المتطورة بين التيار الاسلامي على جانبي الخط الاخضر ، عندما وسعت الحركة الاسلامية المساعدة الاجتماعية – الانسانية والاقتصادية لسكان المناطق ، وبخاصة لمؤيدي وجودها في المناطق. كانت تلك هي ساحة النشاط الذي بدأ مع اندلاع الانتفاضة ، وكان اساسه الرغبة في تخفيف الازمة الاجتماعية الاقتصادية الطاحنة التي اجتاحت سكان المناطق . واستمرت فروع الحركة الاسلامية في اسرائيل في جمع الغذاء والكساء وتنظيم قوافل سيارات النقل ، التي ارسلت الى المناطق بصورة متعاقبة احيانا. وعندما اتسع وزاد نطاق النشاط أنشأت الحركة تنظيما قطريا "لجنة المساعدة الاسلامية" والتي بدأت جمع اجهزة واثاثات واغذية من اجل ضحايا الانتفاضة في المناطق ، بصورة منتظمة .
وقد اقامت اللجنة نظاما لتقديم مساعدات ثابته للاطفال (خاصة يتامى شهداء الانتفاضة، وايضا الاطفال الصم والبكم ، والذين يعانون الشلل أو امراض المخ) وللاسر المحتاجة في المناطق، عن طريق تبني اي يتيم أو اسره بواسطة متبرعين محددين في اسرائيل . وازداد نطاق المساعدات بسرعة. في ١٩٩٥ وصل عدد الاطفال المدعومين الى ٧٠٠٠ طفل تقريبا ، وعدد الاسر التي تستحق المساعدة الى ١٠٠٠ أسرة تقريبا ، بالاضافة الى ذلك قدمت اللجنة مساعدات مالية لمن هم في حاجة الى علاج او عمليات طبية وللمعاقين . وفي ١٩٩٥ دفعت اللجنة في المتوسط مبلغا شهريا يقدر بـ ١٠٠ شيكل جديد لليتيم و ٢٠٠ شيكل جديد للاسرة . يتضح من هنا ، ان اجمالي المساعدات السنوية لهذين البندين قد وصل الى حوالي ١٢ مليون شيكل جديد .
وفي نهاية ١٩٩٥ داهمت قوات الشرطة مكاتب اللجنة ، وصادرت الوثائق والملفات والاجهزة واصدرت أمرا باغلاقها . وادعت الشرطة ان التبرعات التي جمعتها اللجنة قد أعطيت لأسر اعضاء حماس الذين قتلوا في عمليات ارهابية . وقد انكرت اللجنة هذه الاقوال جملة وتفصيلا ، واوضحت انها لا صلة لها بحماس ، وانها تعمل بشكل معلن وقانوني وتحمل طابعا انسانيا ، وان هناك شفافية كاملة في جمع اموال المساعدات . وفي اغسطس ١٩٩٥ رفضت محكمة

العدل العليا طلب الحركة الاسلامية وقررت ، ان لديها ما يكفى من الادلة على ان لجنة المساعدة الاسلامية تقدم المساعدات لنشطاء حماس . ولم يمنع اغلاق مكاتب اللجنة الحركة الاسلامية من مواصلة نشاط المساعدات في اطار كيان آخر باسم : "لجنة المساعدات الانسانية" ولكنها اغلقت ايضا فيما بعد .
والجدير بالذكر، انه بخلاف العلاقة على المستوى الانسانى اقام نشطاء الحركة الاسلامية في اسرائيل اتصالا بعناصر اسلامية في المناطق في السياق التعليمي . وهناك تعبير آخر عن العلاقة الوطيدة بين التيار النشط والاسلام بالمناطق برز في اكتوبر ١٩٩٦ ، عندما اتضح ضلوع نشطاء اسلاميين من اسرائيل في ترميم واصلاح رواق سليمان في المسجد الاقصى وتحويله الى مكان للصلاة . وعلى مدى اربعة اشهر اشتغل حوالى ١٦٠ متطوع من اسرائيل في اخلاء القمامة التي تجمعت في المكان ، ورصفوا الارضية بالرخام ، واصلحوا البنية الاساسية الكهربائية ، وتحسين الصوت وتكييف الهواء . وقد تمت هذه الترميمات والاصلاحات بتبرعات المتطوعين ووصلت الى ٢ مليون شيكل .
كان لدور رجال الشق الراديكالي في ترميم المبنى دلالة خاصة تجاه الحملة التي انطلقت بعد افتتاح نفق حائط المبكى . ففى ١١ اكتوبر ١٩٩٦. اجتمع اعضاء التيار المعارض في مؤتمر حاشد في أم الفحم "لانقاذ المسجد الاقصى والاماكن الاسلامية المقدسة في القدس" . وقد شارك في المؤتمر ما بين ٣٠ و ٥٠ ألف شخص . والقى الخطبة الرئيسية الشيخ حسن طهبوب ، مسؤل الوقف الاسلامي في السلطة الفلسطينية الذى اثنى على النشاط المتناسق للمسلمين في اسرائيل مع الفلسطينيين في المناطق ، للدفاع عن الاماكن المقدسة. وفي المؤتمر أعلن عن حملة جديدة لجمع التبرعات لمواصلة اعمال الترميم في منطقة المسجد الاقصى وقد تم جمع اكثر من نصف مليون شيكل فورا انتهاء المؤتمر .
وقد غاب عن مؤتمر أم الفحم متحدثو التيار البرجماتي . ويقول احد التقارير انهم لم يتلقوا أى دعوة للحضور . وفي خطاب القاه كمال الخطيب في المؤتمر اتهم "اشخاص "بالخداع" ، الذى اساسه منح شرعية اسلامية لاغلاق رواق سليمان مقابل فتح مسجد في الكنيست ، يخدم اعضاء الكنيست الجدد من الحركة الاسلامية ، هذا الاتهام ، الذى القى على رجال درويش ، ولد حملة تبادل التصريحات والاقوال اللاذعة بين ممثلى التيارين .
كان لمؤتمر ام الفحم واعمال ترميم رواق سليمان أثرها في اضافة ميزة لزعامة الخطيب على حساب الكتلة المنافسة. وفي الصراع على الشرعية والاعتراف من جانب الزعامة السياسية في المناطق ، وخاصة من جانب التيار الاسلامي هناك ، لاشك ان يد الخطيب كانت هى العليا.

الختام :
ان الاستنتاج الاول الذى يطرحه التحليل ، وهو استنتاج يفهم من تلقاء نفسه ، ان هناك ارتباط قوى بين الاسلام السياسي على جانبي الخط الاخضر . الاستنتاج الثاني هو على المستوى التصنيفي فالحركة الاسلامية في اسرائيل هى فرع للاسلام السياسي الفلسطيني العام . ومن نواح متعددة فان ميلادها ونموها مرتبطان بوضع الحركة الاسلامية في المناطق . وكثير من المظاهر الفكرية للحركة الاسلامية في اسرائيل يتشابه وتطابق مع مثيلاتها في المناطق . ومع ذلك فالاسلام السياسي في اسرائيل طور خطوط متميزة خاصة به ، نتيجة الواقع الخاص التي يعمل فيه.
الاستنتاج الثالث هو ، ان هناك تشابه واضح بين طرق العمل واساليبه لدى الحركة الاسلامية في اسرائيل والحركة في المناطق ، خاصة في كل ما يتصل باقامة بنية اساسية اجتماعية ، وتعليمية ، وثقافية ودينية تحت رعاية التيار الاسلامي .
الاستنتاج الرابع يتعلق بالفكر الذى يتعامل به الفرع الاسرائيلي مع الجناح الاسلامي في المناطق . بواسطة هذا التعامل تسعى الحركة للحصول على شرعية سواء في المحيط الخارجي للتيار الاسلامي خارج اسرائيل أو في المحيط الداخلي ، في اطار صراع الكتل المتنافسة في اسرائيل .
الاستنتاج الخامس هو ، ان هذه العلاقة ليس جامدة، هناك ديناميكية مثيرة لتعميق أو سحب مفردات هذه العلاقة ، والتي تعد من ناحية مهمة دفع العملية السلمية وتطبيق اتفاقات اوسلو ودفع المفاوضات الفلسطينية الاسرائيلية ، ومن ناحية اخرى تعد بدائل سياسية داخلية على المستوى الاسرائيلي المحلي.
الاستنتاج السادس يتعلق بماهية العلاقة بين الاسلام السياسي في اسرائيل والمناطق . انها علاقة متعددة الاشكال والاتجاهات والروافد. وأى محاولة للتحدث بلسان واحد ومحدد عن الارتباط بين التيار الاسلامي في اسرائيل وبين حماس ، يعد خطأ فادحا .
ان وضع الحركة الاسلامية في اسرائيل هو وضع خاص. فالحركة تمثل اقلية مسلمة في دولة ذات اغلبية غير مسلمة وتعمل تحت ظل تهديد نزاع قومي. وحدود المسموح والممنوع يتم وضعها بشكل محدد وواضح على خريطة نشاطات التيار الاسلامي في اسرائيل وفي المناطق. انها تمضى في اربعة آفاق رئيسية : ارتباط عقائدى روحاني – على المستوى الديني ، اتفاق وتضامن – على المستوى السياسي، تعاون في المجال الانساني الاجتماعي ، واخيرا ، ارتباط مبهم في مجال الاعمال المعادية .

الأرض وسياسات التخطيط فى إسرائيل

دراسة ٢

المؤسسة العربية لحقوق الإنسان Factsheet No. 2

ترجمة / أكرم ألفى

فى ١٩٤٨ ، كان تجمع العرب الفلسطينيين يملك أو يستغل معظم الاراضى فى دولة اسرائيل اما اليوم فهو يمتلك اقل من ٣٪ من هذه الاراضى .
ان امكانية امتلاك واستغلال الاراضى بالنسبة للمواطنين من العرب الفلسطينيين يتم تقيدها بسلسلة من القوانين والممارسات التميزية ، وهو ما يتم عرضه بالتفصيل فيما يلى :

- مصادرة الاراضى :
تسيطر الدولة اليوم على ٩٣٪ من اراضي دولة اسرائيل وهو يشكل ما يعرف بـ "اراضي اسرائيل"، هذه الرقعة الواسعة من الاراضى تمت مراكمتها من خلال عملية مصادرة مستمرة للاراضي المملوكة للعرب وهو ما ادى الى تقلص ملكية العرب من الارض وتوطيد سيطرة اليهود على كل بقاع البلاد .
هذه العملية (المصادرة) تمت عبر سلسلة من القوانين والتدابير العسكرية، التى اتاحت لسلطات الدولة ان تصادر الاراضي لاغراض محددة (مثل التخصيص للمجال العسكرى ومشاريع البنية الاساسية).
وهناك شكل آخر للمصادرة يتمثل فى الامتناع عن الاعتراف بحقوق الاراضى الاهلية (مثال، البدو فى النقب). هذا ويوجد حيز ضيق لامكانية الدعوة القانونية ضد اوامر المصادره هذه وذلك نتيجة اعطاء السلطة التنفيذية سلطات واسعة.
من ناحية اخرى ، فان شروط المصادرة مجحفة من حيث مستويات التعويضات المنخفضة أو من خلال تحديد الحكومة لقيمة الارض.
هذه الشروط عادة ما يتم رفضها من قبل العرب وبالتالى تتم مصادرة الاراضى بدون تسوية إلى جانب وجود نظام ضرائبى ذو صيغة "عقابية" خاص بالاراضى لتشجيع اصحابها على بيعها .
وتتم حماية اراضى الدولة فى مناطق العرب الفلسطينيين من خلال تسييها أو تشجيرها لمنع الملاك الاصليين من الاستمرار فى استغلالها.
وذلك من خلال وحده شبه عسكرية (بيئية) خاصة تعرف "بالكشافة الخضراء" والتى انشئت لمنع التعديات على الاراضى العامة .

ـ الاستيطان فى الاراض العامة :
فى اطار هدف نشر السكان اليهود ، تستمر الدولة فى سياستها الخاصة ببناء مستوطنات جديدة لليهود فقط، وهذه المستوطنات اضيفت لها وظيفة اخرى وهى العمل كخازوق وسط مناطق تركز العرب الفلسطينيين.
ويتم بناء هذه المستوطنات من خلال الوكالة اليهودية

اكثر منها من خلال الحكومة ، حيث توفر الاولى المنازل والبنية الاساسية إلى جانب التسهيلات الخاصة بالخدمات الاساسية.
هكذا فان المستوطنات يتم بناؤها لليهود فقط (حتى فى الاراضى العامة) كما لا يسمح للمواطنين من العرب الفلسطينيين بالانتقال لهذه المستوطنات هذا ولا توجد مستوطنات موازية للمواطنين من العرب الفلسطينيين .
وعلى الرغم من هذه السياسية التمييزية الواضحة ، الا انه لم يتم وقفها من خلال المحكمة العليا .

وفى حالة مازالت معروضة امام المحاكم ، حاولت اسرة من العرب الفلسطينيين ان تشترى منزل فى مستوطنة جديدة ، (Katzuir)هذه المستوطنة تم بناءها بالتعاون بين الدولة والوكالة اليهودية على ارض مملوكة للدولة ، الا ان لجنة اسكان المستوطنة رفضت السماح للاسرة بالانتقال الى المستوطنة بحجة انهم ليسوا يهود !!
وقد قدمت الاسرة التماس للمحكمة العليا تؤكد فيه ان هذا بمثابة تمييز عنصرى يعطى للوكالة اليهودية حق استبعاد المواطنين من الاراضى العامة .
(هذا ولم تصل المحكمة لقرار حتى اليوم فى هذه الدعوى) .
هكذا فإن عملية حصر استغلال الارض على اليهود فقط من خلال الوكالة اليهودية هى عملية مدعومة من الدولة .
"فتوسيع المستوطنات اليهودية فى المناطق التى لازال يهيمن عليها السكان العرب وحيث يكون عددهم اكبر من عدد السكان اليهود ، يوضح امكانية اضعاف تركز السكان العرب ، وذلك مع دعم قوانين الدولة لتقييد "كسر القاعدة" الخاص باستيطان العرب فى مختلف مناطق البلاد "
(تقريرا "Koenig" الخاص بالعرب فى اسرائيل)

- إدارة الاراضى العامة :
تتم إدارة الاراضى العامة في إسرائيل بواسطة "إدارة الاراض الاسرائيلية (ILA) وهى مؤسسة عامة ملتزمة قانونا بعدم ممارسة التمييز ضد المواطنين.
الا ان هذه الادارة لها علاقة قوية بالصندوق القومى اليهودى (JNF) والذى يعمل فى مصلحة اليهود فقط، وتستخدم العديد من الوسائل لمنع منح الاراضى للتنمية لصالح التجمع العربى الفلسطينى .

ومن ضمن هذه الطرق :
- نطاق السلطة :
يتم وضع مناطق واسعة من اراضى العرب الفلسطينيين تحت سيطرة اليهود من خلال انشاء مجالس محلية فى المناطق العربية كما فى (Misgan)، ان الحد من السلطات الخاصة بمحليات العرب الفلسطينيين تجعلها تكتظ مقارنة بالمحليات اليهودية .
فعلى سبيل المثال ، فى Nazerth تم تخصيص ١٤,٢٠٠ دونام لـ ٦٠,٠٠٠ شخص بينما مدينة يهودية قريبة منها هى Nazerth illit، خصص فيها ٣٤,٠٠٠ دونم لـ ٤٥,٠٠٠ شخص فقط، وجزء كبير من هذه الأراضى كانت تعتبر جزء من منطقة Nazarth العربية، ما يظهر عدم توافق تخصيص مساحات من الأراضى مع النمو الطبيعى للسكان من العرب الفلسطينيين.
*** التطويق :**
يتم ايضا تطويق الاراضى من خلال البناء أو الزراعة أو الصناعة، لمنع التجمعات العربية الفلسطينية من التوسع وللحد من الاراضى الممكن البناء عليها . بل وصل الامر لانكار حق بعض التجمعات فى الوجود ، كما يحدث فى حالة القرى غير المعترف بها، فلا توجد اى حالات لتغيير الارض لصالح التنمية للعرب، "فإدارة التخطيط من خلال وزارة الداخلية عليها وضع تعليمات تفصيلية لخطط التنمية فى القطاع العربى وذلك لتشجيع الانشاءات راسيا والسماح للبناء على رقع صغيرة من الاراضى ولتخصيص اراضى الدولة للانشاء العام والخاص من خلال ادارة الاراضى الاسرائيلية". (تقرير لجنة ماركوفيش) .

*** الصندوق القومى اليهودى (JNF) :**
هذا ويتم تحويل ملكية الاراضي العامة المجاورة للتجمعات من العرب الفلسطينيين لصالح الصندوق القومي اليهودى (JNF) ، هذا الصندوق وفق لائحته الاساسية يتم استخدام اراضية بواسطة اليهود فقط .
هذا وقد تم احباط خطة "بواج شارون" لسنة ١٩٩٨ والخاصة بتحويل الالاف من الدونامات في الجليل ومثلث النقب لصالح الصندوق القومي اليهودى (JNF) وذلك في اطار المراوغات للهروب من الضغوط القانونية الخاصة بعدم التمييز فى اراضى الدولة .
*** الخدمة العسكرية :**
ترتبط اسعار اراضى الدولة باداء الخدمة العسكرية ،

حيث يتم خفض السعر نتيجة تأدية الخدمة العسكرية ، بل ان السعر قد ينخفض بحوالى ٢٠ مرة اعتمادا على تأدية الخدمة العسكرية من عدمها .
وهو ما يعتبر تمييزاً ضد السكان من العرب الفلسطينيين حيث ان ٩٠٪ منهم لا يؤدون اولا يطلبون اساسا للخدمة العسكرية .

ـ التخطيط القومى :

من اجل تحقيق اهدافها السكانية (الديموجرافية" تستخدم الدولة عدد من الطرق للتمييز والتفريق بين اليهود وتجمعات العرب الفلسطينيين وتتضمن .

*** الاولوية القومية .**

تقوم الدولة باعلان مناطق محددة كاولويات قومية، حيث تمنح هذه المناطق ميزانيات تنموية ضخمة الى جانب المميزات الاقتصادية والاجتماعية الاخرى التى تمنح كحافز لدفع التوسع فى هذه المناطق.
وفى ١٩٩٨ ، ومن حوالى ٤٢٩ منطقة محلية صنفوا على ان لهم وضع الاولوية القومية ، كمناطق A ، كان هناك ٤ مناطق فقط مخصصة للعرب.

*** الخطط المحلية .**

من ناحية اخرى يتم تأجيل الموافقة على خطط التنمية المحلية للتجمعات العربية ، فالى اليوم تمت الموافقة على خطط تنمية ٢٩ ادارة محلية عربية فقط من حوالى ٨١ ادارة وذلك انتظارا لموافقة السلطة المركزية على هذه الخطط وهو مـــا يمنع الادارات المحليـــة من استخدام الميزانيات التنموية الضرورية لتنفيذ هذه الخطط .

*** الخطط القومية .**

يتم تجاهل المتطلبات الخاصة بالسكان العرب حتى فى الخطط الاقليمية والقومية بل ان خطط التنمية الخاصة بالادارات المحلية العربية يتم انقاصها أو الغاءها. حيث تضمنت الخطة الجديدة الخاصة بالمنطقة الشمالية (الجليل) مشاكل اساسية منها :
(١) الهيمنة الديموغوافية للاقلية من اليهود على عديد من اجزاء الجليل .
(٢) بقاء الوضع الجغرافى للتجمعات العربية كما هو، على الرغم من منح الدولة مؤخرا " بلدية Nazareth ارض لبناء منطقة صناعية كجزء من خطة التنمية المحلية ، وقد تم تطويق جزء من هذه الاراضى فيما بعد كمنطقة بيئية فى الخطة القومية لاسرائيل ٢٠٢٠ ، مما يمنع العمل بهذه المنطقة من الاساس .

*** مشاركة العرب .**

هناك تمثيل وحيد للعرب الفلسطينيين فى لجان التخطيط القومية ، اليوم ، وحتى وقت قريب كان لا يوجد احد .
كذلك فان العرب الفلسطينيين غير ممثلين فى ادارات التخطيط الخاصة بالمقاطعات أو المحليات .

ـ الطرد القسرى .

تتعرض المنازل المنشأة خارج اطار التخطيط أو بدون تصريح للتخصيص للهدم، مما يجعل قوانين التخطيط قوانين تمييزية، فبينما يتم التساهل مع البناء غير القانونى فى التجمعات اليهودية فانه يتم توقيع عقوبات صارمة فى التجمعات العربية ، حيث يتم استخدام قرارات الهدم لتغيير وضع التجمع العربى.
هذا و سجل تقرير وزارة الداخلية لعام ١٩٩٦ ان ٥٧٪ من المنشآت العربية تم بناءها بدون تصريح ومثلت نسبة ٩٠٪ من قرارات الهدم؟ فهناك ١٢,٠٠٠ قرار هدم فى الجليل وحدها .

هذه السياسة تعد مجحفة وبشكل خاص بالنسبة للمقيمين فى القرى " غير المعترف بها " بواسطة الدولة ، حيث انهم غير قادرين على الحصول على تصريحات البناء تحت اى ظرف ، بل ان قرى كاملة مرفوع عليها دعاوى فى المحاكم الى جانب قرارات الهدم.
كما تعانى هذه القرى من شروط معيشية صعبة، وذلك لان المنازل التى لا تأخذ تصريح لا يمكن قانونا ان تمد بالمياه، الكهرباء أو اى من الخدمات الاساسية.
هذا وتستمر الحكومة فى سياسة انكار الحقوق الاساسية للقرويين من اجل الضغط عليهم ليرحلوا .
ومن ضمن الاجراءات التى تستخدم لتطبيق هذه السياسية ، عدم توفير الخدمات وهدم المنازل مما يضع اساس لسياسة الطرد القسرى.

مـــابعـــد الانتـــخـــابات

١
ملف العدد

نصوص الاتفاقيات الائتلافية

هآرتس
٦-٧-١٩٩٩

١- الاتفاق مع كتلة يسرائيل باعلياه

بما أن رئيس الوزراء وكتلة "يسرائيل باعلياه "توصلا إلى اتفاق بشأن إقامة ائتلاف برئاسة ايهود باراك، ونظرا لان كتلة يسرائيل باعلياه لها مطالب خاصة سيتم تطبيقها في دورة الكنيست الخامسة عشرة فقد اتفقا.

١- تشكل الخطوط العامة لسياسة الحكومة والاتفاق الائتلافي جزءا لايتجزأ من هذا الاتفاق.

اتفاقيات السلام والتسويات المرحلية

أ- تعارض الحكومة إلغاء أو تغيير قانون نظم السلطة والقانون (إلغاء تطبيق القانون والقضاء الاداري) إلا إذا تم التوصل إلى اتفاق مع سوريا يمكن معه طرحه على الشعب في إطار استفتاء للتصويت عليه، وأن يظل البند الثاني من القانون سارى المفعول.

ب -ستعارض الحكومة وبما يتماشى مع نتائج الاستفتاء الشعبي إلغاء أو تغيير قانون هضبة الجولان الصادر عام ١٩٨١.

ج - لا يعني ما تقدم تقييد حرية رئيس الوزراء في دفع عجلة المفاوضات مع سوريا لتحقيق السلام

د-ستستمر الحكومة في الايفاء بكافة الاحتياجات المرتبطة بحياة المستوطنين في هضبة الجولان.

هـ -يحق لكتلة "يسرائيل باعلياه "التعبير عن موقفها بشأن المسيرة السياسية مع سوريا، وترى هذه الكتلة أن التوصل إلى أي اتفاق سلام مع سوريا وتطبيقه يجب أن يقوم وعلى نحـــو تدريجي على تحلي النظام الســـوري بالديمقراطيةوالانفتاح والشفافية.

الاهتمام بالمهاجرين وضحايا النازي

أ-ستحرص الحكومة على التعامل سواء من خلال التشريع أو بأية وسيلة أخرى مع أموال التعويضات التي تسددها الحكومة الألمانية لضحايا النازي على نحو مستقل أي أنها لن تعتبر دخلا متعلقا بمخصصات التأمين.

ب -ستستمر الحكومة في العمل من أجل التوصل إلى حل يتماشى مع المؤسسة الحاخامية بشأن تسجيل الزيجات التي تمت على نحو مناف للشريعة اليهودية.

المناصب والمسئولية

أ-سيشغل من سيعمل بالحكومة من قبل كتلة "يسرائيل باعلياه "منصب وزير الداخلية، وسيكون الوزير شريكا في بلورة سياسة الحكومة تجاه سياسات دول الكومنولث والطوائف اليهودية المقيمة بها.

ب - من المسلم به أن رئيس الوزراء لن يطرح أية تعديلات وزارية متعلقة بوزارة الداخلية قبل التشاور مع وزير الداخلية.

ج-سيتم تعيين عضو كنيست من قبل كتلة "يسرائيل باعلياه "كنائب لوزير الهجرة والاستيعاب

د. سيعمل الوزير المعين من قبل "يسرائيل باعلياه "رئيسا للجنة الوزارية المختصة بشؤون الهجرة والاستيعاب

وسيكون لكتلة يسرائيل باعليه ء تمثيل في لجان الكنيست بما يتماشى مع مكانتها النسبية في الكنيست.

الاتفاق مع كتلة الحزب الديني القومي (المفدال)

نظرا لأن رئيس الوزراء وكل من كتلة "يسرائيل ايحات "و" المفدال "توصلا إلى اتفاق بشأن إقامة ائتلاف يرأسه ايهود باراك، ونظرا لأن حزب المفدال مطالب خاصة سيتم الأخذ بها في دورة الكنيست الخامسة عشرة فقد وافق رئيس الوزراء والأطراف المعنية على النقاط التالية:

١- تشكل الخطوط الرئيسية لسياسة الحكومة والاتفاق الائتلافي جزءا لا يتجزأ مـن هـذا الاتـفـاق.

٢- سيتم الحفاظ في دورة الكنيست الخامسة عشرة على

ماهو قائم في كل الأمور الدينية .
٣- سيتم تشكيل لجنة وزارية لبحث موضوع "التهويد" وستقدم هذه اللجنة للحكومة توصياتها بخصوص هذا الموضوع لحسمه إما من خلال القانون أو أي طريق آخر . وستوضع في الاعتبار توصية لجنة "نئمان" والوضع القائم في هذا المجال .
٤- سيتم قصر طرح أية مبادرات تشريعية في المواضيع الدينية على الحكومة فقط .
اتفاقيات السلام والتسويات المرحلية
أ-لن تلغي الحكومة أو تغير قانون نظم السلطة والقضاء (إلغاء تطبيق القانون والقضاء الاداري) إلا إذا تم التوصل إلى اتفاق مع سوريا يمكن طرحه أمام الشعب للتصويت عليه في إطار استفتاء شعبي .وسيظل البند الثاني من القانون ساري المفعول .
ب-ستعارض الحكومة بما يتماشى مع نتائج الاستفتاء الشعبي إلغاء أو تغيير قانون هضبة الجولان الصادر عام ١٩٨١ .
ج-لايتضمن ما تقدم أي شيء يمكنه أن يقيد حركة رئيس الوزراء على صعيد دفع المفاوضات مع سوريا لتحقيق السلام.
د-يحق لكتلة "المفدال" التعبير عن مواقفها بشأن تفسير إسرائيل لقراري ٢٤٢ و٣٣٨ الصادرين عن الأمم المتحدة .
هـ -ستستمر الحكومة في الايفاء باحتياجات المستوطنين في الجولان .
٦-مناصب ومسئولية
أ -سيشغل الوزير الذي سيعين في الحكومة من قبل حزب المفدال منصب وزير البناء والاسكان
ب-سيشغل نائب الوزير الذي سيعين من قبل حزب المفدال منصب نائب وزير التعليم
ج-سيتولى أحد أعضاء الكنيست المنتخبين من قبل حزب المفدال رئاسة إحدى اللجان الوزارية .
د-سيكون أحد نواب رئيس الكنيست من نواب حزب المفدال في الكنيست .
هـ -سيكون لحزب المفدال ممثلين في لجان الكنيست بما يتماشى مع ثقل الحزب بالكنيست .
و.سيكون أحد أعضاء لجنة تعيين القضاة وزيرا من قبل حزب المفدال .
* وزارة الأديان
أ-سيشغل ممثل حزب شاس طيلة الدورة البرلمانية منصب وزير الشؤون الدينية
ب-سيشغل مندوب حزب المفدال طيلة الدورة البرلمانية منصب نائب وزير الشؤون الدينية
ج-سيقوم وزير الشؤون الدينية بتعيين من يراه حزب المفدال مناسبا لشغل منصب مدير عام الوزارة ، وسيتم التعيين بالتشاور مع الحزب ورئيس الوزراء .
د-سيتم إدارة شؤون الوزارة من خلال التعاون بين الوزير ونائبه .وفي إطار هذا التعاون فسيقوم الوزير بإطلاع نائبه على إجراءات تعيين بعض الأفراد .

*ستتمثل صلاحيات نائب وزير التعليم في التعليم الديني ، وتلك المجالات التي يرى رئيس الوزراء أنها تدخل في اختصاصه .
لن تقوم مؤسسات حزب المفدال بالتصديق على هذا الاتفاق دون الموافقة على صلاحيات نائب الوزير .

الاتفاق مع كتلة يهادوت هتوراه

نظرا لأن رئيس الوزراء وكل من كتلة "يسرائيل ايحات" و" يهادوت هتوراه "توصلوا إلى اتفاق بشأن إقامة ائتلاف برئاسة ايهود باراك وبمشاركة هاتين الكتلتين ، وبما أن لكتلة "يهادوت هتوراه "مطالب خاصة سيتم تطبيقها في دورة الكنيست الخامسة عشرة فقد وافق رئيس الوزراء والكتلتان سالفتي الذكر على النقاط التالية :
١- تشكل الخطوط الأساسية لسياسة الحكومة والاتفاق الائتلافي جزءا لا يتجزأ من هذا الاتفاق .وتعتزم كافة الاطراف بذل أقصى جهد ممكن للتوصل إلى تفاهم واتفاق بشأن موضوع تجنيد من يدرسون في الأكاديميات المتخصصة في الدراسات التلمودية
٢- سيتم الحفاظ وفي إطار دورة الكنيست الخامسة عشرة على الوضع الراهن في كل ما يتعلق بالأمور الدينية
٣- سيقوم وزير الدفاع فور الانتهاء من تشكيل حكومته بتشكيل لجنة ستضم في صفوفها مجموعة من رجال القضاء . وستضم هذه اللجنة في صفوفها مندوبين عن رئيس الوزراء ووزير الدفاع ومستشار الحكومة القانوني ومندوبين عن لجنة الأكاديميات سالفة الذكر (والتي سنشير إليها فيما بعد باسم "اللجنة") . ويهدف هذا التشكيل إلى التوصل إلى تسوية قانونية مناسبة بشأن تجنيد أبناء الأكاديميات الدينية .
٤- أ . نظرا لأن محكمة القضاء العالي حكمت بأنه لايحق لوزير الدفاع بموجب القانون الحالي إرجاء الخدمة العسكرية لأي فرد كان لتفرغه للدراسة بالأكاديميات التلمودية . ولايمكن لوزير الدفاع إرجاء الخدمة طالما أن القانون لم يخوله هذا الحق .ونظرا لأن النية لا تتجه إلى حرمان أبناء هذه الاكاديميات من مواصلة دراساتهم فمن الضروري تعديل الصورة المتكاملة لقانون الخدمة العسكرية الصادرة في عام ١٩٨٦ على نحو يكفل لوزير الدفاع صلاحية الاعفاء من الخدمة العسكرية لاعتبارات دراسة التوراة .وسيتم تكليف اللجنة بأن تقدم لرئيس الوزراء خلال ثلاثة شهور الصيغة المعدلة للقانون .
ب سيبحث الجيش الاسرائيلي ودون المساس بكل ما تقدم السبل والظروف التي من الممكن أن يتم في إطارها تشكيل أطر مناسبة يمكن لبعض المنتمين للقطاع الحريدي أن يخدموا في إطارها بالجيش الاسرائيلي .وتشمل هذه الأطر تخفيض سن الاعفاء من الخدمة العسكرية إلى سن الرابعة والعشرين أو الخامسة والعشرين ، وتهدف هذه الخطوة إلى تمكين الشباب من الاندماج في العمل بعدأن يكون قد تم منحه الحد الأدنى من الاعداد العسكري .وسيتم توفير هذا

الحد بما يتماشى مع إمكانيات الجيش واحتياجاته .
٥- سيتم الحفاظ على التسويات القائمة حتى تنتهي اللجنة من عملها .
٦- سيقتصر طرح أية مبادرات متعلقة بسن أية تشريعات دينية على الحكومة .
٧- نظرا لاحترام مكانة المتوفي فسيتم إقرار أنه إذا تمن الكشف عن أية مقابر أو عظام بشرية فإن العمل في هذا الموقع سيتم بموجب التسوية التي تقرها الحكومة .
٨- سيتم بقدر الامكان تجنب المساس بطرق حياة الحريديم في المناطق التي يشكلون فيها غالبية السكان .
٩- ستحرص الحكومة على احترام قداسة يوم السبت والاعياد اليهودية .
١٠- لن يتعرض أي عامل إلى أي ضرر أو أذى بسبب احترامه لقداسة يوم السبت وامتناعه عن العمل .
١١- سيتم الحفاظ على مكانة التعليم الحريدي في المؤسسة التعليمية .
سيعمل أحد أعضاء الكنيست المنتخبين من قبل حزب "يهادوت هتوراه "كمندوب للكنيست بلجنة تعيين القضاه .

الاتفاق مع كتلة ميرتس

بما أن رئيس الوزراء المنتخب وكلا من كتلة "يسرائيل ايحات "و "ميرتس "توصلوا إلى اتفاق بشأن إقامة ائتلاف فيما بينهم برئاسة ايهود باراك ، وبما أنه توجد لكتلة "ميرتس" بعض المطالب الخاصة في دورة الكنيست الخامسة عشرة فقد وافق رئيس الوزراء وكل من التكتلين على ما يلي :
١- تعد الخطوط الأساسية لسياسة الحكومة والاتفاق الائتلافي جزءا لا يتجزأ من هذا الاتفاق .
طلاب الأكاديميات التلمودية
٢-ترى كتلتا "ميرتس "و "يسرائيل ايحات "أن الخدمة العسكرية بالجيش الاسرائيلي تعد واجبا قوميا يفرض على كل يهودي .ويلتزم تكتل ميرتس بأن يؤيد في الكنيست سن قانون يحسم موضوع التجنيد ، وإعفاء طلاب الأكاديميات التلمودية المتخصصة من الخدمة .وسيتم التفاوض بشأن هذا الموضوع مع كافة المعنيين بالأمر .
٣- سينضم تكتل ميرتس إلى الائتلاف بعد الاتفاق على قيام الحكومة بالعمل في الكنيست الخامس عشر على استكمال القوانين الرئيسية وبلورتها على نحو يجعل منها دستورا للدولة في موعد يوصي به رئيس اللجنة التي ستعينها الحكومة لبحث الموضوع .

القدس

٤- يحق لميرتس أن يعبر عن موقفه بشأن القدس ، فيرى الحزب أن القدس عاصمة لإسرائيل ، ولن يتم تقسيمها مرة أخرى .وسيرتبط تحديد الوضع النهائي للمدينة بالاعتبارات الدينية والقومية الخاصة بالقدس .وسيؤيد حزب ميرتس أي اتفاق خاص بالقدس يتم الاتفاق عليه من قبل الطرفين .وحتى يتم التوصل إلى هذا الاتفاق فيدعو "ميرتس "الطرفين تجنب اتخاذ أية إجراءات فردية تفرض بدورها أي واقع .
٥- من خلال الاهتمام بحرية البحوث العلمية والاثرية سيتم إقرار استمرار العمل في الأماكن التي يتم الكشف فيها عن أية مقابر أثرية أو عظام بشرية وفقا للنظام الذي ستراه الحكومة مناسبا وبما يتماشى مع القانون .
٦- ستعمل الحكومة على استكمال القانون الذي يمنح المواطنة للأقارب الذين هم من الدرجة الأولى لمن يخدمون بالجيش .
٧-سيمنح حزب ميرتس حق التصويت في كل الأمور الدينية بوما يتماشى مع إطار التشاور المسبق ووفقا للتسوية التي سيتم التوصل إليها مع رئيس الوزراء .
٨- ستجري أحزاب "يسرائيل ايحات "و "ميرتس "و "الوسط "اتصالا مستمرا مع التكتلات العربية بالكنيست بغرض معالجة القضايا التي تشغل اهتمام المواطنين العرب في إسرائيل .
٩- سيعبر تكتل "ميرتس "عن تطلعه لأن يكون التعليم إجباريا ، وان يتم توحيد مناهج التعليم حتى يصبح من الممكن توحيد الشعب .

١٠- مناصب ومسئولية

أ- سيشغل أعضاء الحكومة المعينين من قبل "ميرتس" وزارات التعليم والصناعة والتجارة
ب- سيشغل أحد أعضاء ميرتس منصب نائب وزير الخزانة
ج- سيشغل أحد أعضاء ميرتس منصب رئيس إحدى لجان الكنيست
د .سيكون أحد أعضاء تكتل "ميرتس نائبا لرئيس الكنيست

هـ .سيكون أحد ممثلي الحكومة بلجنة انتخاب القضاه وزيرا من قبل "ميرتس ."
١١- يعلم وزير التعليم المعين من قبل حزب ميرتس أن لنائبه المعين من قبل الحزب الديني القومي (المفدال) صلاحيات ومسئولية الاشراف على التعليم الديني ، ومع هذا فليس من شأن هذه الصلاحيات المساس بصلاحيات الوزير .

الاتفاق مع كتلة الوسط

بما أن رئيس الوزراء وكل من تكتل "يسرائيل ايحات "و "الوسط "توصلوا إلى اتفاق بشأن إقامة ائتلاف فيما بينهم برئاسة ايهود باراك ، وبما أن لتكتل "الوسط "مطالب خاصة في دورة الكنيست الخامسة عشرة فقد وافق رئيس الوزراء والتكتلات سالفة الذكر على ما يلي :
١- تشكل الخطوط الأساسية لسياسة الحكومة والاتفاق الائتلافي جزءا لا يتجزأ من هذا الاتفاق .
٢- سينضم تكتل الوسط إلى الائتلاف على اساس من التفاهم مفاده أن الحكومة ستعمل على استكمال دستور إسرائيل من خلال سن بعض القوانين الرئيسية غير القائمة حاليا في موعد يوصي به رئيس اللجنة التي ستعينها الحكومة بخصوص هذا الموضوع .
٣- يصر تكتل الوسط على أن تقدم اللجنة التي ستشكل وفقا للبند الثاني توصياتها في الموعد الذي سيوصي به رئيس الوزراء .
٤- سيعبر تكتل الوسط عن تطلعه لأن يكون التعليم إلزاميا ، وأن تتضمن العملية التعليمية برامج دراسية أساسية من شأنها تحقيق مزيد من الوحدة .

٥-ستجري أحزاب "يسرائيل ايحات "و "ميرتس "و" الوسط "اتصالات دائمة مع الكتل العربية بالكنيست بغرض معالجة القضايا التي تهم المواطنين العرب .
٦- سيكون لتكتل الوسط حق التصويت في القضايا الدينية بما يتماشى مع منظومة التشاور المبكر ووفقا للنظام الذي سيتم الاتفاق بشأنه مع رئيس الوزراء .
٧- مناصب ومسئولية
أ- سيكون نائب رئيس الوزراء وزير المواصلات عضوا بحزب الوسط
ب- سيكون أحد أعضاء حزب الوسط نائبا لوزير السياحة
ج-سيكون أحد أعضاء الوسط رئيسا لإحدى لجان الكنيست
د- سيكون أحدنواب رئيس الكنيست عضوا بحزب الوسط
هـ - سيكون لحزب الوسط تمثيل في لجان الكنيست المختلفة بما يتماشى مع حجمه النسبي بالكنيست .
و - سيشغل أحدأعضاء الكنيست المنتخبين من قبل حزب الوسط وبالتناوب منصب مندوب الكنيست في لجنة تعيين القضاه .

الاتفاق مع كتلة شاس

بما أن رئيس الوزراء وكل من كتلة "يسرائيل ايحات "و " شاس قد توصلوا إلى اتفاق بشأن إقامة ائتلاف برئاسة ايهود باراك ، وبمشاركة هذه الأطراف ، وبما أن لكتلة "شاس " بعض المطالب الخاصة في دورة الكنيست الخامسة عشرة فقد وافقت كل الأطراف على ما يلي :
١- تشكل الخطوط الأساسية لسياسة الحكومة والاتفاق الائتلافي جزءا لا يتجزأ من هذا الاتفاق .
٢- سيتم الحفاظ على الوضع الراهن في كل القضايا الدينية في ظل دورة الكنيست الخامسة عشرة .
٣- تجنيد أبناء الأكاديميات التلمودية
أ- سيقوم وزير الدفاع فور الانتهاء من تشكيل الحكومة بتكوين لجنة ستضم مندوبين عن رئيس الوزراء ووزير الدفاع ، ومستشار الحكومة القانوني ، ومندوبين عن لجنة الاكاديميات التلمودية وسيتمثل دور اللجنة في بلورة تسوية قانونية مناسبة لموضوع تجنيد طلاب هذه الأكاديميات .
ب- نظرا لأن محكمة القضاء العالي أصدرت حكما وبموجب القانون الحالي بأنه لا يحق لوزير الدفاع إعفاء أحد من الخدمة العسكرية بدعوى تفرغه لدراسة الشريعة ، ونظرا لأن النية لا تتجه لحرمان هؤلاء الطلاب من تفرغهم للدراسة فسيكون من الضروري تعديل قانون الخدمة العسكرية (بصورته المعدلة) الصادر في عام ١٩٨٦ وعلى نحو يخول لوزير الدفاع حق الاعفاء من الخدمة العسكرية .
وسيتم تكليف اللجنة في أولى مراحل عملها بأن تعرض على رئيس الوزراء وفي غضون ثلاثة شهور صيغة تعديل القانون على نحو يساعد الحكومة على تجنب وضع يكون فيه إرجاء الخدمة منافيا للقانون .
ج- سيبحث الجيش الاسرائيلي وبدون المساس بكل ما تقدم عن الطرق والوسائل المناسبة التي يمكن في إطارها توفير أطر ملائمة يمكن لأبناء القطاع الحريدي العمل في إطارها .
٤- سيتم تشكيل لجنة وزارية مختصة بموضوع "التهويد " وستعرض هذه اللجنة على الحكومة توصياتها التي ستضع في اعتبارها توصيات لجنة "نئمان "والوضع الراهن .
٥- ستعمل الحكومة على إيجاد حل لإخضاع قنوات التليفزيون والاذاعة لاشراف رسمي وعلى نحو يكون في صالح القطاع الحريدي .
٦-سيكون من اختصاص الحكومة فقط سن كل التشريعات الخاصة بالمواضيع الدينية .
٧- ستعمل الحكومة على احترام قداسة يوم السبت والاعياد اليهودية .
٨- مناصب ومسئولية
٨-١ سيتولى أعضاء الحكومة الذين من طرف حزب شاس المناصب التالية
أ- وزير شؤون الأديان بما يتماشى مع الظروف الواردة في بند ٨ - ٢ الذي سيلي ذكره
ب- وزير البنى القومية
ج- وزير العمل والرفاه
د - وزير الصحة
هـ - سيشغل أحد الوزراء المعينين من قبل حزب شاس منصب نائب رئيس الوزراء
٨-٢ وزارة الأديان
أ-سيكون ممثل حزب شاس طيلة الدورة الحالية وزيرا للشؤون الدينية
ب-سيكون ممثل حزب المفدال طيلة الدورة الحاليةنائبا لوزير شؤون الاديان
ج- سيقوم وزير شؤون الأديان بتعيين مرشح حزب المفدال في منصب مدير عام الوزارة
د- سيتم إدارة شؤون الوزارة من خلال التفاهم والتعاون بين الوزير ونائبه
٨-٣ سيشغل أحد أعضاء الكنيست المنتخبين من طرف حزب شاس منصب نائب وزير الداخلية
٨-٤ من المتفق عليه في كل ما يتعلق بإحداث أي إصلاح في الوزارات الحكومية أن رئيس الوزراء لن يطرح أي مقترح بشأن إجراء أي تعديل في شؤون البنى القومية إلا من خلال المختص مع مع الوزير المختص بشأن الحلول وطرق الاصلاح .
٨-٥سيتم تعيين عضوى كنيست من طرف حزب شاس في منصب نائب رئيس الكنيست .
٨-٦سيتم تعيين عضوى كنيست من طرف شاس في منصب رئيس احدى لجان الكنيست
٨-٧ سيكون لحزب شاس تمثيل في لجان الكنيست بما يتماشى مع ثقله في الكنيست
٨-٨ سيشغل وزير من قبل شاس منصب ممثل الحكومة بلجنة تعيين القضاه

كلنا همجيون

معاريف ٢٣/٦/١٩٩٩
بقلم/ طالى ليفكين شاحاك

نحن نعيش فى مجتمع معجب بالقوة وضرب الضعفاء. ومن أجل تدمير العنف يجب أولا تغير هذه الروح
دماء أخواتي تصرخ إلي من الأرض والصور تعكس مناظر البشاعة لأنهار الدم داخل روتين مجتمع - والذى تجمد للحظة ـ فالصور لا تعالج. أين أخطأنا، وكيف بحق الجحيم نترك ذلك ليحدث كل مرة من جديد، وماهو مصدر قلة الحيلة (لا حول ولا قوة) التى لدينا جميعا؟ التليفزيون يذيع من ساحة القتل، محطات الراديو تطحن الكلمات، والاحصائيات تبارك؟ والجيران يجرون أحاديث صحفية، وكل ذلك يتكرر والعياذ بالله. نعم تتكرر كذلك العادة والاعتقاد بالشعور بالندم (وإعتراف بالذنب مع وخز الضمير) حيث أن القائمة المكتوبة بهذا المقال هى جزء منها.
إن جدول الأعمال الجماهيرى لدينا تمليه الأحداث وهو مبنى من صعود وسقوط ومن صرخات وفترات صمت.
وفى أقصى درجات النقاش الساخن والملتهب حول عنف الشباب، تحدث كارثة فظيعة فى ديمونة، زوجة وإبناها يذبحون، ومركز الثقل للإنشغال العلنى مرة أخرى يتأرجح نحو الإرهاب ضد النساء.
إن اسباب العنف الذى يحدث فى بيئتنا يحلله المعلقون من وجهات النظر المختلفة. إنه عمل كبير لرجال علم الاجتماع، والتربويين، وعلماء علم النفس الاجتماعى، وعلماء النفس والمؤرخون.. وربما أيضا العلماء المتخصصون فى علم الحيوان، إلا أنه لا يجب إهانة الحيوانات، فيبدو أنه من الطبيعة ان يوجد نظام إجتماعي أكثر صلابة وتوازن من الذى يمكن إيجادة فى الغابة التى نعيش فيها. إننا مجتمع عسكرى يعيش على الخرائب (الانقاض) ويقدس المآسى مجتمع إصبعه جاهزه على الزناد ويعبث فى الأرض فسادا (طاغية) ومندفع وراء شهواته، مجتمع يدعى معرفة كل شئ عن أى شئ أكثر من الجميع، إنه مجتمع لا يصغى للضعيف أو للأخر، والهوامش تندفع أكثر للهامشية حتى غطت المركز.
إن الهوامش ليست مغيبة لدينا. إننا نحن الذين نسير فى أثناء نومنا، غير مركزين، غير موحدى الصفوف، والمأخوذين من أعناقنا، تاركين للهمجية وللفظاظة أن ينتصروا، ونتيح للعنف أن يسيطر.
إن جسد الانسان هو الوعاء الذى يستوعب روحه، وحرية الجسد والنفس هى أولا وقبل أى شئ الحق فى أن تكون سيدهم فى كل عمر ولحظة من الحياة، وفى أى حال.
ولو كان الفهم والأدراك لذلك موجود وله جذور فى كل واحد فينا من الرضاعة والطفولة وحتى البلوغ، لما كان هناك ولد يضرب ببساطة جسد صديقه، ولكانت قدسية الجسد قد تطورت إلى قدسية الحياة، والعكس. وطالما قدسية الإمتلاك الشخصى موجودة بالنسبة للسيارة وللغير ـ فالزوجة هى من المتعلقات وأحيانا كثيرة أيضا الأولاد ـ وليست موجودة بالنسبة لأنفسنا ولجسدنا، فإنه لن تأتى نهاية للعنف، وللعدوان وللإغتيال.
إن تجاوزا وقحاً فى الطرق هو بمثابة دعوة لحادث، وأن دفعا فى صف أمام نادى هو دعوة لمشاجرة عنيفة، والأنتماء الطائفى أو القومى الأخر هو دعوة للإذلال، وخلافات الرأى السياسية هى دعوة لرصاصة فى مظروف أو فى الرأس، وإن اعلانا شهوانيا لمشروب صيفى هو دعوة للإعتداء الجنسى، وحب غير كاف هو دعوة للإغتيال والقتل معروفة مسبقا.
كان يجب علينا أن نكون مـأهلون لوقف ذلك، وقطع تلك الدائرة المشعوذة التى لا يوجد أحد على إستعداد لأخذ المسئولية عليها حتى النهاية، تلك الدائرة المشبعة بالمزاعم التى لا أساس لها من الصحة، فيما يتعلق بضرورة التوازن إزاء الرجال المضطهدون أيضا والذين يقتلون، وفيما يتعلق بالمبالغة فى مزاعم المطاردات والاعتداءات الجنسية.
لا يوجد هنا مكان لتوازن مقدس. إن الضعفاء يضربون فى مجتمعنا البربرى (الهمجى)، و الضعفاء هم نساء، وأولاد، وعجائز وآخرون. إن مجتمعنا من أعلى دهاليز السلطة وحتى أصغر مقاعد الأطفال، تضرب ضعفائها وتعجب بالقوة إلى درجة الثمالة. وحتى ننجح فى تغيير ذلك الشعور العام (الحالة النفسية)، فإننا سنستمر فى إحصاء موتانا، ونبكى على الهمجية وعلى الإذلال. إن هذا ليس موضوعا لتغيير السلطة، بل لتغيير العقلية فى الرأس.

آمال وتوقعات

هآرتس ۱۹۹۹/۷/۷
هيئة التحرير

بنهاية معركة إنتخابات متواصلة ومفاوضات ائتلافية طويلة نجح إيهود باراك في تشكيل الحكومة التي سعى إليها منذ أن عرفت نتائج الإنتخابات للكنيست. لقد درس باراك خيارات كثيرة ومختلفة للائتلاف، ولكن يبدو أنه في نهاية الأمر نجح في تحقيق هدفه: وهي حكومة لا تهددها الحريه البرلمانية، فلا يوجد بين شركائه في الائتلاف تكتل يستطيع بمفرده أن يهدد الحكومة بإسقاطها.

وعندما حان الوقت لإختيار وزراء من بين زملائه في حزب العمل نواة تكتل إسرائيل واحدة، تعامل باراك مع كبار حزبه بشكل أثار الإحباط وخيبة الأمل. فقد شعروا أن رئيس الحكومة لا يتعامل معهم كالأول بين مجموعة متساوية (سواسية)، بل كحاكم أوحد، والذي برغبته يعين وبرغبته يرفض المرشحين لحكومته. فلم يحظى بأن يبلور حوله طاقم وزراء يتمتع بالثقة والقرب.

لقد قطف (جنى) رئيس الحكومة ثمار تعامله المثير للشك بسرعة وذلك حين رد من أبعدوا من قربه له برفض مرشحه لمنصب رئيس البرلمان. فقد فضل أعضاء هيئة حزب العمل وتكتلها في الكنيست، فضلوا ترشيح أبراهام بورج على ترشيح "شالوم سيمحون"، ويمكن أن نأمل أن هزيمة باراك السياسية الأولى، في بيته السياسي، ستعلمه الدرس الصحيح.

ومن الصعب تعريف الحكومة "بحكم الجديرين" حسب وحدة باراك. فقد إختار لعدد من الوزارات الهامة أناس أقل من أفضل الموجودين لتلك المناصب. من المحتمل أن يكون من طبيعه السياسة هي أنها تفرض حلول وسط، ولكن باراك لم يبرهن على أن حلول الوسط التي قام بها هي بالفعل حيوية. ومع ذلك فحكومة باراك لا ينقصها ذوى القدرات والكفاءات، والذين يستطيعون أن يكونوا عونا لرئيس الوزراء في توجهه لتحقيق أهدافه.

إن في تشكيل الوزراء توجد تجديدات ذات أهمية. فوجود د. يوسى بيلين في وزارة العدل من الممكن أن تظهر كعامل منشط، رغم أنه ليس رجل قانون، وعلى وجه الخصوص من المهم أن نتابع وجود مثقف مثل البروفيسور شلومو بن عامي على رأس منظومة الشرطة.

فإن حقوق الانسان يتم تحديدها هناك حتى قبل تعرضها للإختبار في المحاكم. فلا مجال للتحفظ من المناصب التي قبلها الوزراء على أنفسهم. فإذا كانت داليا إيتسيك والتي تسلمت وزارة البيئة تشعر بأنها تلقت وزارة تنفيذية أصغر من تطلعاتها، فيجب أن نذكرها بأن حماية البيئة هي المشكلة الكبرى التي تواجه الدول العصرية في بداية القرن القادم، وهي مشكلة مركزية بالذات لدولة، ذات مستوى معيشى مرتفع ومساحة صغيرة كإسرائيل. ومع ذلك فهناك تحفظ على أن وزيرة واحدة فقط هي الجديرة بالتواجد في الحكومة الجديدة.

هناك آمالا كبيرة تعلقت برئيس الحكومة باراك منذ إنتخابه. وحتى مع وضعه لتقديم المسيرة السلمية على رأس إهتماماته، فإن ذلك الأمر لا يجب أن يعيق التقدم في مجالات أخرى. فإن عليه وعلى الحكومة أن يحققوا ما وعدوا به بتعميق أسس دولة إسرائيل كدولة ديمقراطية تعتمد على سلطة القانون. ولا نتوقع أن تنجح الحكومة في اصلاح العيوب الاجتماعية بإيماءة يد، ولكن من الواضح أنها ستحسن فعل ذلك إذا ما وضعت النظام التعليمي في صدر إهتماماتها.

إن الحكومة خارجة للطريق محملة بالآمال والتوقعات ومباركة الشعب كله تحيطها.

باراك أفضل لليهود

هآرتس ۱۹۹۹/۷/۹
بقلم/ دانيئيل بن سيمون

ربما بسبب أنهم أخطئوا بسذاجة، أو ربما بسبب أنهم سقطوا ضحية لشعور بالعظمة، قام أعضاء الكنيست العرب بتضخيم الأوهام على أمل أن هذه المرة ستكون مختلفة. فتباهى هاشم محاميد بأنه سيكون العربي الأول الذي سيرتدي بدلة وزير في الحكومة. وأحمد طيبي سلى نفسه بفكرة أنه ربما يفجر الحاجز التاريخي ويكون العربي الأول الذي سيخترق لجنة الخارجية والأمن، وتمنى محمد بركة أن يتحد اليهود حول ترشيحه لرئاسة الكنيست.

وبمرور ستة أسابيع، إنهارت الأحلام وإضطر المنتخبون العرب لإدراك ما يدور. ففي الأيام الأولى التي تلت الإنقلاب مباشرة.. كانوا على أمل أن يدعوهم تليفون من باراك للجلوس حول مائدة المفاوضات الإئتلافية. ومن هنا وهناك وصلت مكالمة من إحدى مساعدي رئيس الحكومة المنتخب، ولكن بسرعة إتضح أن باراك طالب بإرسال السلام لا أكثر ولا أقل. ومرت أيام أخرى واندهش النواب العرب من عرض المدعوين للمفاوضات الإئتلافية. لقد كان من الصعب عليهم

تقبل الصورة التى بدى فيها رؤساء حزب المفدال المهزوم وهم يجلسون مع المنتصرين الجدد وكأنهم جاءوا من نفس القرية. وإندهوا عندما رأوا فى التليفزيون كيف أن أريئيل شارون وإيهود باراك يتهامسون فيما بينهم كل فى أذن الآخر بكلام ودى.

ومرت عدة أيام أخرى والتليفون المنقذ يأبى الاتصال أو الرنين. وفى النهاية تم دعوتهم للقاء رئيس الوزراء المنتخب. وقبل أن يفيقوا من الانفعال الذى تملكهم، إجتمع كل النواب العرب من حاداش (الجبهة الديمقراطية من أجل السلام) وقاموا بصياغة نصائح فى كيفية التصرف إزاء الدعوة الرسمية للإنضمام للإئتلاف. وبمشاعر إحتفالية وإيمان عميق، إمتثل النواب العرب أمام رئيس الحكومة على أمل أن يسمعوا منه البشرى الحلوة. وقد تزودوا بالتوصيات فيما يتعلق بالخطوط الأساسية ولتوزيع المناصب وكأنهم كانوا يهودا فى كل الأمور. وعندئذ هبطت عليهم الصدمة: فقد إتضح لهم أنهم دعوا للقاء ودى بين أصدقاء وليس لمفاوضات إئتلافية. فقد تحدث إليهم باراك باسلوب الأصحاب الذى يميزه، وقام بتوزيع المديح والثناء على تجنيدهم للصوت العربى من أجله. وإعترف لهم وعلى شفتيه إبتسامة عريضة: "بدونكم لم أكن لأنتصر".

وتذكر هاشم محاميد قائلا: "لقد كنت مذهول" فى ذلك اللقاء الذى كلما طال بدا لى فى نظرى ليس له معنى. وأضاف قائلا: لقد آمنت من أعماق قلبى أن فصلا جديدا قد إنفتح فى المجتمع الإسرائيلى، حيث أنه للمرة الأولى منذ قيام الدولة يرتقى العربى إلى درجة متساوية للمواطنة ومتساوية فى الحقوق مع زميله اليهودى. لقد صدقت أنه قد طرأ تغيير فى العقلية الحاكمة، فى صورة الفكر. وفجأة كل شئ عاد إلى سنوات الخمسينات، الحكم العسكرى، السيادة، العنصرية وكأن شيئا لم يكن ولم يحدث طوال الـ ٥١ عاما السابقة.

وظل محاميد يتحدث ويروى بألم إحباطاته. وبعد عدة ساعات كان الكنيسيت يقوم بالتصديق على الحكومة الجديدة. وحضر محاميد إلى المبنى كعادته القديمة واعيا لما يحدث وبدون أوهام، ومرة أخرى إتضحت له الحقيقية المرة بأن دولة إسرائيل هى بالفعل دولة اليهود وأنه ليس بها مكان للعرب كمواطنين متساويين. وأضاف قائلا: "إن ذلك ليس يوم عيد بالنسبة لى إنه عيد لليهود. الآن فهمت أنه حين كان باراك يتحدث عن دولة لجميع أنه كان يقصد الجميع (بأقل ٢٠٪) السكان العرب".

ويتذكر محاميد زيارات باراك لأم الفحم قبيل الانتخابات، فقد زاره مرتين فى منزله واستقبل بترحاب شديد. لقد كان صاحب ودود ويقول محاميد: لقد عانق كل الحاضرين لأنه رجل تعانقه بسهولة وتتكلم معه ببساطة. وللأسف الشديد إكتشفت أنه مثل كل اليهود. فمعظمهم يعانى من طريقة تفكير إسرائيلية - يهودية لم تتطور وظلت مغلقة. وكذلك بعد مرور السنين ظلت صورة العربى من الماضى، العربى الذى من المستحيل إعطاء الثقة فيه.

وفى اليومين اللذين سبقا التصديق على الحكومة الجديدة تجول النواب العرب فى دهاليز الكنيسيت بعدم راحة تراودهم الآمال المختلفة ولكن فشلوا فى تحقيق أى منها. وقد واكبهم الألم الشديد وهم يفيقون من الأوهام.

وحتى اللحظة الأخيرة لم يعرف النواب العرب كيف سيتصرفون. ففى البداية درسوا إمكانية إبتلاع إهانتهم والاقترا ع لصالح الحكومة التى لم ترغب فيهم. وبعد أن فكروا فى الأمر، فكروا فى الإقترا ع ضدها بسبب عدم رغبتها فيهم. وفى النهاية وجدوا مخرجا فى الامتناع، على أمل أن تحدث معجزة وترغب فيهم فى المستقبل. وقد قرب بينهم وضع غير المرغوب فيهم. فوضعوا خلافاتهم الشخصية جانبا وإتحدوا فى تكتل سياسى واحد.

وتفاوتت ردود الفعل عندهم، فأحمد الطيبى والذى يعتبر طريقه لليهود اسهل من باقى زملائه، كان من الصعب عليه أن يخفى غضبه. فقد اصطدم بسارا نتنياهو وتبادل الاثنان بينهم الكلمات. وبعد أن قال لها مشاعره بادرته بقولها: "سوف تشتاقون مرة أخرى لزوجى". فماكان منه إلا أن إبتسم وصمت.

أما أصدقاء طيبى فقد أصابتهم الدهشة، فى حين عاد طيبى وقال: "إن باراك يريد أغلبية يهودية" وأضاف: لدى شعور بأنه يكره العرب بل ويخشى أن تلتقط له الصور التذكارية معهم. وأنه عندما قال دولة للجميع فقد كان ينوى ويقصد بالذات للرجال اليهود. والحقيقة هى أنه استهزأ بالسكان العرب جميعا والذين أعطوه أكثر من ٩٥٪ من الأصوات. وإذا كان هناك إنسان يجرى لرئاسة الحكومة ويتجرأ فى التصوير على جناح طائرة فى حين إنسان عربى قتيل وممدد تحت قدمية، فإن ذلك ليس له إلا معنى واحد وهو: "أنه رئيس حكومة لليهود فقط".

وكأنه إندفع نحو مشاعرهم، فقد سارع باراك بعمل خطوة لتهدئة غضب النواب العرب. فذاة التصديق على الحكومة أرسل باراك الوزير حاييم رامون للكنيسيت وفى ديه عرضا من الصعب رفضه. "الحكومة تدرس تعيين نائب عربى فى لجنة الخارجية والأمن للكنيست". نقل لهم ذلك رامون.

وتسبب ذلك الخبر فى راحة نفسية فى أوساط التكتلات العربية، حيث عقب على ذلك عضو الكنيسيت طالب الصانع من تكتل راعام (القائمة العربية الموحدة) بقوله: "بداية ليست سيئة"، والصائع يرى نفسه مرشحاً مناسباً لذلك المنصب.

أما نائب عربى آخر رفض ذكر إسمه فقال: "أن الصرا ع على المقعد العربى بلجنة الخارجية والأمن من الممكن آن يؤدى لاشعال حرب بين التكتلات العربية الثلاثة». وأضاف لنفترض أنت إخترت واحدا لذلك المنصب، فمن المحتمل أن يأتى جهاز الشاباك (الأمن العام) ويرفضه لأسباب أمنية وتصبح صورتنا كالبلهاء. وربما يكون هناك سيناريو آخر، فلنفترض أننا إخترنا نائبا ووافق عليه الشاباك من الناحية الأمنية. ففى نظر الكثير فى الوسط العربى، تصديق كهذا سيتم تفسيره بشكل تلقائى كتعاون مع أجهزة الأمن. إنه ليس من السهل أن تكون عربيا فى دولة اليهود.

الحكومة الجديدة وحقوق الانسان

هآرتس ١١/٧/١٩٩٩
بقلم/ جدعون ليفي

هل تُقدم الحكومة الجديدة على تغيير ما بالنسبة لحقوق الانسان؟ هل ستواصل سياسة الاحتلال التي لا يناسبها سوى وصف ظالمة؟ الاجابة الأولى على ذلك كامنة في مدى التقدم في المسيرة السياسية، إذ لن يكون هناك بديل أخلاقي للاحتلال سوى إلغائه. ولكن ٣٢ عاما علمونا ان اليد المحتلة يمكنها أن تكون قاسية أو أقل قسوة.

إن ما سجلته حكومات العمل لا يبشر بخير من هذه الناحية، وزعماء حزب العمل على اختلاف أجيالهم هم الذين ارتكبوا أخطر وأسوأ صور القسوة والتجاوز في المناطق. فمناحم بيجين كرئيس حكومة لم يطرد ولم يهدم، ربما كان الأكثر إنسانية بين المحتلين، ودان مريدور كوزير للعدل والذي دخل في صدامات مع جهاز الأمن العام، ربما كان الأكثر وعيا بين وزراء العدل جميعا. فالاغلاق والاعتقال، وهدم المنازل، واضطهاد جهاز الأمن والابعادات، وتكسير العظام - كلها ولدت وتعاظمت في عهد حكم اليسار. ولكن هناك بعض تعيينات في الحكومة الجديدة من شأنها - مع كل هذا - أن تبشر بتغيير وتبث أملاً، ما في قلب ما، بأن الحفاظ على حقوق الانسان، حتى في ظروف الاحتلال، يمس قلوبهم. وبعض تعيينات أخرى لا نضمن منها ذلك.

وليس هناك الكثير يمكن أن نتوقعه في هذا المجال. صحيح أن ايهود باراك تحدث في خطاب تنصيبه عن معاناة الفلسطينيين، وهي خطوة طيبة، لكنه عرف عرب إسرائيل في نفس الخطاب أيضا بأنهم "طائفة أقليات". فهل سيكون مستعدل لتخفيف معاناة الفلسطينيين، أم أنه سيجد ثمن ذلك في عينيه "إضرار بالأمن"؟ هل سيفكر في معاناة مليون إنسان قبل أن يقررا استمرار الاغلاق؟ هل رأى مرة ما الذي يتبقى بعد أن تنتهي بلدوزارات الادارة المحلية من هدم منزل آخر؟

هل هو مستعد ليضع بين اعتباراته الدلالة المؤثرة من أرض اباء مصادرة؟ هل يعلم كيف تدار الحياة في ظل إغلاق لا نهائي وهل يعنيه الطريقة التي يتم التحقيق بها مع مئات الفلسطينيين كل عام؟ من الصعب أن نتوقع ان تتساوى منظومة حقوق الانسان لأبناء شعب آخر، لدى باراك مع منظومة الأمن، المقدمة أكثر من أي شئ آخر لديه، على الأقل كما كانت لدى جميع سابقيه.

كما وأن صورة وزير الداخلية الجديد، ناتان شرينسكي، لا تبشر بخير، ففي السنوات الأخيرة تحول دور وزير الداخلية إلى دور المتحكم في مصير الفلسطينيين و العمال الأجانب ومصدر هام لمعاناتهم. فربما سيكون وزير الداخلية شرينسكي حسنا مع حقوق مهاجرين هناك شك في يهوديتهم، ولكن من المشكوك فيه كثيرا أن يحسن صنعا مع الفلسطينيين والعمال الأجانب. ومنذ أن جاء إلى البلاد كأحد فرسان النضال للحفاظ على حقوق الانسان في الاتحاد السوفيتي، لم يتوقف شرينسكي عن إثبات أن هذه الصورة الدولية التي رسمها لنفسه لم تكن سوى جاذبية كاذبة. إن شرينسكي مهتم صراحة بالحفاظ فقط على حقوق اليهود، أما المعتقلون دون محاكمة، والمعذبون من التحقيقات، والمطرودون والمهجرون كما هو الحال في الاتحاد السوفيتي، فيجب عليهم أن ينشئوا له بالذات محطة استغاثة، لأن ضحاياهم ليسوا يهودا فحسب.

عندما تسلم هذا الاسبوع منصبه سارع بإعلان عدة سمات، لملامح عمله مفادها أنه سيعمل كوزير داخلية "لصالح كل شعب إسرائيل" ولكن في هذه المهمة ربما يجب عليه ألا يهتم فقط بشعب إسرائيل. فهل سيوقف "الترانسفير الصامت" لسكان القدس الشرقية؟ هل سيجهد نفسه قليلا ويصل إلى مكتبه هناك ليرى كيف يعامل الفلسطينيون بقسوة كل يوم؟ هل سيوقف تعقب الانسان البائس من العمال الأجانب؟ هل سيستشعر قلبه مصير طفل فلسطيني مصاب بالسرطان، وفقد العلاج والرعاية الطبية بسبب موظفي مكتبه؟ من الصعب التصديق. فالمحتمل أنه وزير داخلية فقط لشعب إسرائيل.

بالمقابل، هناك بالطبع عدة شعاعات ضوء حقيقية. فإن شلوموه بن عامي كوزير للأمن الداخلي سيعرف كيف يدخل هذه الاشعاعات، يسمح لنا بالأمل، في روح جديدة داخل الشرطة، وخدمة السجون وسلاح الحدود. فإذا نشر بن عامي مبادئه المعلنة بين رجاله، وخاصة بين رجال حرس الحدود، فربما تنتشر بينهم روح أكثر انسانية، وأقل عنفا ومهانة، خاصة تجاه الفلسطينيين والأجانب. ويستطيع بن عامي أن يجعل من اليد القابضة على الزناد بقوة، أخف قليلا - ليس فقط تجاه الفلسطينيين عند نقاط الاغلاق، بل أيضا تجاه الطلاب والتلاميذ. إن بن عامي هو تعيين يثير أملاً كبيراً، لن يكون كاذباً.

ومن التعيينات المشجعة جدا زيضا - تعيين يوسي بيلين وزيراً للعدل. انه ليس رجل قانون، لكنه رجل مبادئ أكثر من بعض سابقيه من القانونيين، ولنا أن نثق بأن بيلين سيعمل من أجل القضاء على عدة انحرافات قضائية وأخلاقية وعلى رأسها الاعتقالات الادارية وقسوة جهاز الأمن العام (شاباك). ويجب أن يتذكر أسامة برهام الذي ظل سجينا ما لا يقل عن ست سنوات دون محاكمة. إن وزير العدل - يوسي بيلين يجب أن يكون صوت العدل في الحكومة الجديدة. وهناك احتمال كبير بأن يكون كذلك. وإذا ما انضم اليه بعض الوزراء الآخرين، فسيبدو أن هذه الحكومة تبشر فعلا بتغيير، على الأقل في هذا المجال الذي تصعب المبالغة في مدى تأثيره سواء على علاقتنا مع جيراننا أو على صورتنا ومظهرنا أمام العالم.

٢ عمليـــة التـــســـوية

الخطوط الحمراء للسلام

هآرتس ٤/٧/١٩٩٩
بقلم/ ابراهام تامير

لقد عرض ايهود باراك فى المعركة الانتخابية خطوطا حمراء لا يمكن تجاوزها فى السعى نحو اتفاقية السلام. وتبرز هذه الخطوط فى المبادئ الاساسية للحكومة.

ولكن يجب أن يكون هناك فصل بين نوعين من الخطوط الحمراء. النوع الأول هو الخطوط الحمراء التى إذا تم تجاوزها يقوم جيش الدفاع بشن هجوم وقائى مثلما حدث فى حرب الأيام الستة عندما قام المصريون بادخال فرق مدرعة لسيناء. هذا من خلال الحفاظ على الباب مفتوحاً للسلام. وأما النوع الثانى فهو الخطوط الحمراء فى اتفاقيات السلام نفسها فى مجالات الأمن والحدود الدائمة والتطبيع فى العلاقات بين الشعوب وليس فقط بين الحكومات.

وهناك امثلة كثيرة على الخطوط الحمراء الاقليمية والتى لم تساعد على التوصل إلى اتفاقيات سلام منذ بداية عملية السلام العربية الإسرائيلية بعد حرب عيدالغفران. ويجب أن نذكر أنه بفضل توسط الولايات المتحدة والذى شمل مساعدات كثيرة وضمانات أمنية، وافقت إسرائيل على تقديم تنازلات اقليمية ساعدت فى عامى ١٩٧٤ و١٩٧٥ على التوصل إلى الاتفاقيات المرحلية لفصل القوات فى جبهات مصر وسوريا، وبعد ذلك التوصل إلى اتفاقيات السلام مع مصر والأردن والاتفاقية المرحلية أو الانتقالية مع منظمة التحرير الفلسطينية. ولكن الاتفاقيات التى تم التوصل اليها حتى الآن لا يمكن ان تتمتع بالاستقرار طالما لم يتحقق السلام العربى الإسرائيلى الكامل.

والآن وبعد أن انتعشت الآمال لتحقيق السلام الشامل، فإنه يجب التوصل إلى حلول من شأنها أن تمنع الخطوط الحمراء من الوقوف عقبة فى طريق التوصل إلى اتفاقيات سلام. ومن هذه الناحية فإنه على المستوى الإسرائيلى السورى، يمكن الربط بين الخط الأحمر السورى الذى يطالب بانسحاب إسرائيلى إلى حدود يونيه ١٩٦٧ وبين الخط الأحمر الإسرائيلى الذى ينص على عدم الانسحاب من الجولان، وذلك بواسطة ترتيبات أمنية وعلاقات طبيعية توفر الأمن الوطيد لإسرائيل بدون أن تكون لها سيطرة فى هضبة الجولان، كذلك من الممكن دراسة امكانية تعديل الحدود على أساس مبدأ المساواة والتبادلية. وعلى الجانب الآخر وعندما نتطرق إلى السلام بين إسرائيل والفلسطينيين، فإنه يجب أن نضع فى الاعتبار ضرورة التوصل إلى حلول من الممكن تطبيقها ويجب أن تشمل هذه الحلول:

- اقامة دولة فلسطينية داخل حدود سيادية تشمل معظم مناطق يهودا والسامرا وذلك بالاضافة إلى الترتيبات الأمنية القادرة على منع نشوب الحرب وممارسة الارهاب من داخل الدولة الفلسطينية أو من خلال العلاقات بين هذه الدولة مع دول أخرى وعناصر من خارج الحدود.
- أن تكون هناك حدود إسرائيلية سيادية فى مناطق يهودا والسامرا وغزة تعتمد على تعديلات فى حدود اتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٩، وعلى الرغم من ذلك تبقى القدس موحدة وتحت السيادة الإسرائيلية وتبقى الكتل الاستيطانية الإسرائيلية التى اقيمت لدواعى الأمن كما هى.
- تبقى المناطق الأمنية تحت سيطرة إسرائيل لفترة طويلة إلى أن يعاد النظر فى وضع هذه المناطق. وتكون هذه المناطق فى قطاعات الحدود مع مصر والأردن وفى سماء الدولة الفلسطينية وشواطئها. وسوف تتمتع الدولة الفلسطينية بصلاحيات الادارة المدنية تجاه السكان والنشاط المدنى الفلسطينى فى هذه القطاعات (مثل الملاحة والطيران).
- يكون هناك نطاق كونفيدرالى فى مجالات الأمن والاقتصاد بين إسرائيل والأردن والدولة الفلسطينية.
- أن تكون هناك صلاحيات مستقلة للدولة الفلسطينية فى ادارة الاماكن الاسلامية المقدسة فى القدس عاصمة إسرائيل ولدولة إسرائيل فى مغارة المكابيلا والحرم الابراهيمى.

(*) كان الكاتب يشغل منصب مدير عام وزارة الخارجية.

لم نكن فى هذه الحرب

هآرتس ١١/٦/١٩٩٩
بقلم/ اريه كسبى

من أجل التأهب للتهديد الحقيقى يجب أن تخبر دولة إسرائيل الشعب ماهو ذلك التهديد.

كالعادة عندنا، بدأوا متأخرين منذ عام الحديث عن (نظرية الأمن الإسرائيلية). وقد اتضح أنه يوجد هذا الأمن. فقد قام اسحاق موردخاى، وكان وقتها وزيرا للدفاع بتشكيل فريق من الخبراء لبحث الموضوع، ويقولون لنا هذه الأيام أن هناك نتائج. هناك خبراء فى الأمن يقولون أن إسرائيل مستعدة منذ سنوات وبشكل مثير للاعجاب للحروب التى وقعت، ولكنها ليست كذلك بالنسبة للحروب القادمة.

لقد ظهرت نظرية الأمن الإسرائيلية فى عهد دافيد بن جوريون. اليوم اختلف الأمر تماما. وأصبحنا شيئا آخر، والعرب شئ آخر، والعالم مختلف، والتكنولوجيا مختلفة. فى البرامج الجماهيرية الحوارية يبدو كأن معارك حرب التحرير مازالت تؤثر على مستقبل الدولة اليهودية.

على مر السنين توارى تعبير الأمن. لقد استخدموه فقط من أجل تبرير التصرفات الغبية وأعمال النذالة، والتى لا تمت لأمن الدولة بأى علاقة. وقد برروا أحيانا بإسم الأمن اعمالا اضرت بأمن الدولة.

لقد اضافوا عدة كيلو جرامات من الأمن لكل جنون سياسى عندنا. وقد سيطرت دعاية اليمين على مجموعة كلمات إعلامية حتى اسحاق رابين تكلم عام ١٩٩٢ عن (المستوطنات الأمنية). وكأن المستوطنة المدنية يمكن أن تصبح عامة عبئاً أمنياً. واليوم زال هذا التعبير، وبات واضحا أن المستوطنة المدنية ليست إلا عبئاً أمنياً فقط.

* العربى المجنون: كانت النظرية الأمنية تقوم على ثلاثة أسس وهى: الردع الفعال، ونظام الانذار والقدرة على الحسم السريع الذى ينقل جبهة العمليات إلى أرض العدو. وقد أدمنا الردع على وجه الخصوص. وأصبح كل من فى الحى يخافنا، ولكن ليس بالشكل الكافى. كان الردع بمثابة نجاح محدود. كان أكبر تخوف إسرائيلى ينصب على وقوع حرب عربية شاملة مفاجئة، مثل حرب عيدالغفران، فى الماضى لم يكن هناك غموض فى نظرية الأمن. أما اليوم فقط اصبح اغلبها منفصلا عن الواقع. والحرب فى لبنان هى نموذج لحالة تؤكد أن أى من عناصر نظرية الأمن التاريخية الإسرائيلية صالح للأستخدام.

لا الردع صالح، فالحقيقة أنهم يواصلون ضربنا فى كل نقطة ضعيفة. الردع غير صالح، فهم لا يكفون عن مفاجئتنا. والقدرة على الحسم؟ لقد نسينا امكانية هذا الاحتمال. الأكثر من هذا، فإن اداءنا الفاشل فى لبنان يضر بقدرتنا العامة على الردع، لأنه يذكرنا اسبوعيا - لمن يريد - بمحدودية القوة الإسرائيلية. كان من العناصر الخفية لنظرية الأمن الإسرائيلية، النظرة إلى العربى المجنون. العرب يكرهوننا كراهية مرضية عديمة المنطق وعلى استعداد لدفع أى ثمن من أجل أن يلقوا باليهود فى البحر. ومن الدلائل الثابتة على الغوغائية العربية تلك الانقلابات العسكرية التى شهدتها الدول العربية فى الخمسينات والستينات. كان الرأى السائد يقول أنه لا يوجد شئ اقل استقراراً من الحاكم العربى. وفى السنوات التالية اتضح أن الانظمة التى كان عمرها شهرين ونصف الشهر اصبحت راسخة لعشرات السنين، والزعماء الذين نشك إلى اليوم فى سلامة عقولهم، يظهرون قدرة على البقاء جديرة بالثناء.

لقد نصب صدام حسين نفسه رئيسا منذ عشرين عاما. والقذافى فى الحكم منذ ٣٠ عاما. كذلك اسوأ الزعماء العرب اتضح خلال مسيرتهم انهم حكام عمليون جدا.

لقد أدى تركيز الحوار العام على الشعارات الأمنية السابقة إلى اضطرار المسئولين وأصحاب القرار إلى وضع قواعد جديدة للعبة اسفل المنضدة لسنوات طويلة. كما قام مسئولو وزارة المالية، وهم خبراء معروفون فى أسلوب السلام، بتقليص ميزانية الدفاع بعناد على مر عشرين عاما.

كل عام يقومون بتخفيض بنسبة ١٪ أو نصف فى المائة. والشعب الإسرائيلى معتاد على أن يحسب بمفهوم معدل الاسعار للمستهلك. والمسئولون يعلمون أن الاقتصاد ينمو فى السنوات الطبيعية بما يتعدى ارتفاع معدل الأسعار. لقد سمحوا لجيش الدفاع بالمحافظة على الموجود فى حدود ارتفاع الأسعار، ولكن ليس فيما بعد ذلك. لقد تراجعت نفقات الدفاع الإسرائيلية، التى كانت تمثل عام ١٩٧٧ حوالى ٣٠٪ من الناتج القومى، إلى ٩٪ حاليا. بمفهوم الناتج القومى، اصبحت ميزانية الدفاع أقل من ثلث حجمها فى الماضى.

أن المجتمع الإسرائيلى الذى كان عبداً على مر السنين لميزانية دفاع فلكية مازال ينفق ثلاثة اضعاف ما تنفقه دولة غربية أوروبية، ولكن الاقتصاد الإسرائيلى حاليا لم يعد منبثقا عن ميزانية الدفاع. فالتغيير الذى فرضه رجال الاقتصاد يتضمن قولا خاف رجال السياسة أن يقولوه للجماهير بلغة واضحة. ان مستوى الخطر الأمنى الذى يواجه إسرائيل تراجع بصورة كبيرة. فهم لم يعودوا يريدون تدميرنا. يمكن تقليل بعض الأخطار القائمة بصورة مفيدة جدا ورخيصة جدا بوسائل سياسية.

الحرب التى فى الخيال: تدريج الاخطار يعتبر شرطا لاتخاذ القرارات العملية. المهووسون فقط هم الذين يتأهبون بشكل متساو لجميع الأخطار. لقد تلقينا بشرى هذه الأيام بأن جيش الدفاع قد توصل إلى نتيجة تقول أن خطر وقوع حرب شاملة مازال يحتل أسفل القائمة. فى المركز الثانى يأتى الأرهاب، ولكن الخطر الأكبر جدا هو الصواريخ الباليستية ذات الرؤوس غير التقليدية التى يمكن اطلاقها من دول بعيدة كالعراق وإيران وليبيا، ويتكلمون عندنا قليلا عن هذا الخطر.

بتأخير قوامه ١٥ عاما اكتشفوا فى وزارة الدفاع أن خطر نشوب حرب شاملة هو خطر ضئيل، وأن الارهاب هو خطر

ثانوى، ولكن هذه المعلومات لم تصل بعد إلى أغلب المواطنين. هناك فجوة سحيقة بين الحوار العام الذى يديره خبراء الأمن فى الأكاديمية وفى الجيش، وبين الحوار الجماهيرى. وهذه الفجوة تمثل أحد الأخطار الشديدة على أمن إسرائيل. لا يمكن أن تكون نظرية الأمن الإسرائيلية من شأن المتخصصين فقط. حتى يكون لها تأثير حقيقى على ترتيب الافضليات لدينا يجب العمل على أن يستوعبها أغلب الجماهير. يجب أن تكون فى بؤرة العمل الإعلامى. فالقرارات السياسية متأثرة بالحوار العام أكثر من حوار الخبراء. الجمهور مشغول اساساً بالارهاب. الاغلبية تجد صعوبة فى أن تدرك أن حماس وحزب الله وحتى الارهاب المشكوك فيه من جانب السلطة الفلسطينية يعتبر موضوعاً مهملاً مقارنة بخطر الصواريخ الباليستية ذات الرؤوس النووية.

والأهتمام الجماهيرى الشديد والهستيرى بالعمليات الارهابية ليس ظاهرة إسرائيلية. ففى الولايات المتحدة حوالى ٢٠ ألف عملية قتل سنويا، ولكن مقتل ١٥ شخصا فى عملية أرهابية فى مدرسة جذب الاهتمام القومى. فى الوقت الذى تحدث فيه الرئيس كلينتون عن الاغتيال فى التليفزيون قتل بالطبع عدد مماثل من الأفراد فى أماكن أخرى بالولايات المتحدة، بدون أن يبدى الأمريكيون لهم اهتماما خاصا. نحن نعيش فى واقع تؤثر فيه الرموز الخيالية بقدر لا يقل عن الأحداث الحقيقية.

* الحرب الحقيقية. تعتبر منظومة الدفاع ضد الأسلحة غير التقليدية بمثابة التحدى الحقيقى للمؤسسة العسكرية. لا توجد حاليا لدى إسرائيل منظومة دفاع موثوق بها ضد الصواريخ حاملة الرؤوس غير التقليدية. لقد حظى الصاروخ حيتس فى السنوات الأخيرة بإشادات كثيرة. وقد وجدت نقائصها اهتماما قليلا. فهناك حاجة الى صاروخين من طراز حيتس تكلفتهما مليونا دولار من أجل اسقاط سكاد واحد تكلفته مائة ألف دولار. أى أن الحماية من الصواريخ سكاد تفوق عشرة أضعاف ثمن السكاد نفسه. ولكنها ليست مشكلة مال فقط. هناك خبراء يقولون أن فائدة الحيتس مازالت محل شك. ليست هناك أى امكانية لحماية السماء بشكل تام. أى، حتى لو حقق الحيتس نسب نجاح مرتفعة جدا فإن عددا من صواريخ العدو سوف تنجح دائما فى اختراقنا وستكون الخسائر غير محتملة. يكفى أن يصل صاروخ نووى واحد إلى قلب تل أبيب حتى يقتل مئات الآلاف. يعتمد أمن إسرائيل فى الأساس حاليا على الردع. والردع مبنى فى الأساس على القدرة النووية. وجزء ملحوظ من قدرة ردعنا تعتبر حاليا سياسية وليست عسكرية. كان من العناصر الأساسية لنظرية الأمن التاريخية أننا نستطيع وقت الطوارئ أن نعتمد على انفسنا فقط.

وهذه تعتبر نظرة شاب فى عمر المراهقة. لقد نضجنا قليلا. فقدرة الردع الإسرائيلية حاليا هى تكامل بين قدرتنا العسكرية والتأييد الذى نلقاه من الغرب. فنظام الانذار ضد الصواريخ متعلق بأقمار التجسس الأمريكية التى حذرتنا فى كل مرة كان ينطلق فيها صاروخ سكاد من العراق. كما أن جزءاً من اسلحتنا نشتريه من الولايات المتحدة وبعضاً يتم تمويله بأموال أمريكية.

ترتبط مصر والأردن حاليا بالولايات المتحدة. تحتل مصر المركز الثانى فى قائمة المساعدات الخارجية الأمريكية بعد إسرائيل. وسيكون الضرر الذى سيلحق بها نتيجة الحرب ضد إسرائيل كبيرا. فى المقابل ستكون الفائدة صفرا. وحقيقة خروج مصر والأردن من دائرة الحرب هى تحييد سوريا. من الصعب أن نتخيل أن يحاول حاكم سورى الانتصار على إسرائيل بدون وجود تعاون أردنى - مصرى. وليس الأمريكيون فقط هم الذين يساعدون القوة العسكرية الإسرائيلية. بمرور السنين اصبح العرب متعلقون بالغرب، وهو ما يقتضى من الزعامة العربية أن تضع قواعد اللعبة العالمية فى الحسبان. أن قوة الردع الإسرائيلية تتضمن أيضا الثمن السياسى والاقتصادى الذى ستدفعه الدولة العربية التى ستخرج عن القواعد وتدخل الحرب.

اين يوئاف؟ هناك من يعتقدون أن مناقشة النظرية الأمنية لا يعدو عن أن يكون ترفيها ثقافيا. ولكن حتى القرارات الحيوية التى ستتخذ صباح الغد متأثرة بالنظرية الأمنية. أن لدينا اليوم انذاراً كافياً من وقوع حرب شاملة، ولن يكون لدينا ابدا انذار كافى قبل وقوع أعمال أرهابية، ولذلك يجب القضاء على الارهاب سياسيا وتوجيه كافة القوة والقدرة الانذارية للتهديد الأشد، أى حرب الصواريخ. إذا كان الخطر الرئيسى الذى يواجه إسرائيل هو الصواريخ الباليستية والرؤوس غير التقليدية، فقد يفضل سلاح الطيران طائرة طويلة المدى مثل F. 15 عن الطائرة F. 16.

إذا كانت حرب المستقبل هى فى الأساس حرب خبراء، فنحن فى حاجة إلى جيش صغير ومتطور، ولذلك فإن الانشغال بتجنيد طلاب المدارس الدينية يعتبر امرا عديم الأهمية من الناحية العسكرية. وإذا كان الدعم السياسى من الغرب والمساعدات الأمريكية هما عناصر هامة لقدرة الردع الإسرائيلية، أنذاك فمن الأفضل أن يكون رئيس الوزراء رئيسا فقط للوزراء ويهتم بالبعد السياسى للأمن، ويهتم وزير آخر بالأمن الجارى.

بعد سنوات طويلة من ترتيب افضليات معيب فى النظرية الأمنية، ربما قد حان الوقت كى نبدأ فى النظر إلى الواقع بصراحة. أن تامين مسيرات المستوطنين فى طرقات الخليل يشوه مخصصات ميزانية الدفاع، ولكنها تبعد انتباه جيش الدفاع والرأى العام فى البلاد عن التهديد الحقيقى - أى الأسلحة غير التقليدية.

فى الأسبوع الماضى كتب رؤبان بدهتسور فى هآرتس، أنه فى الشهور الأخيرة تقرر فى وزارة الدفاع وقف استمرارية (مشروع يوئاف). وهناك قلة فقط فى الدولة الذين يعرفون من هو (يوئاف) هذا. إنه برنامج لتطوير طائرة بدون طيار تفجر صواريخ العدو فور اطلاقها. من سيطلق صواريخ على إسرائيل سيتلقى ضرباتها. مشروع كهذا، لو نجح، فسوف يردع العدو كما سيساعد على الدفاع. وطبقا لما قاله بدهتسور، حتى وزير الدفاع ارينز لم يعرف بقرار وقف برنامج يوئاف، يحتمل أن يكون القرار صحيحا ويحتمل العكس. أن مشروع كهذا هام لأمن إسرائيل ألف مرة من مشاكل تأمين بيت هادساه أو حتى صواريخ الكاتيوشا التى سقطت على كريات شمونا. ولكن أيضا بعد النشر لم يحظ الموضوع بأى أهتمام لا فى الحكومة ولا فى أجهزة الإعلام.

هناك قائد واحد فى جيش الدفاع وبعض الخبراء فى هذه الوزارة يعتبر هذا الموضوع هو موضوعهم الخاص. وماذا عنا نحن؟ ما الذى يهمنا؟

أرض النسيان

معاريف ٢٩/٦/١٩٩٩
بقلم/ رافى مان

فقط دولة ذات ذاكرة قصيرة يمكن أن تتوقع أن تعود طائراتها سالمة من لبنان بإنجاز.
حتى تتم طباعة تلك السطور، سوف يترسب غبار صواريخ الكاتيوشا فى الشمال إلى حواشي ذاكرتنا. وهكذا طريق وسائل الإعلام والسياسة الإسرائيلية: لكل قصة، مهما كانت كبيرة، هناك فترة زمنية قصيرة، مثل البرق تقريبا، يوم أو ربما يومان قبل أن يمحى من العناوين - ومن الذاكرة - بواسطة حادث آخر.
إن الذاكرة آخذة فى القصر، وهى ليست فقط مسألة سن. ذاكرتنا كلنا. نفاد صبرنا وقصر نفسنا، الايقاع السريع للأمور - عاصفة التجديد - كل ذلك يمحو أجزاء من الذاكرة مثل فيروس أجهزة الكمبيوتر المفترس.
وهاهو أمامنا على سبيل المثال، لبنان: لقد نسينا كم مرة ضربنا بعنف فى لبنان، فى الجبهة وفى المؤخرة، فى قواعد المخربين وفى البنية الأساسية. وكم مرة سقطت صواريخ الكاتيوشا على كريات شمونا وكم زعيم تحدث عن تغيير الموقف. ونذكر منهم جميعا مناحم بيجن مع قوله: "لن يسقط بعد ذلك صاروخ كاتيوشا على كريات شمونا" فى مايو ١٩٨١ لمن نسى.
وبنفس القدر يجب أن نتساءل كم عدد المرات التى ركض فيها سياسيون لكريات شمونا ووعدوا بالمساعدة، وكم مرة تم تشكيل لجنة وزارية، وكم مرة قال. من قال: لا يمكن الاستمرار بهذه الصورة، وكم مرة آمنا بأنه إذا ما أرسلنا طائراتنا فى عمق الساحة اللبنانية، سوف ننجح فى تحسين ما للوضع؟
إنه بدون ذاكرة، من المستحيل تحليل الموقف واستخلاص النتائج. من المستحيل أن نتذكر أننا دخلنا لبنان منذ بداية السبعينات من أجل تصفية "فتح" وقواعد المخربين ودولة منظمة التحرير الفلسطينية. ففى تلك الفترة وصلنا إلى مصالحة مع الفلسطينيين، ولكن بقصر نظرنا قلبنا علينا حزب الله، ونحن مستمرون فى التخبط فى لبنان، بدلا من محاولة الأمر الآخر الذى لم نفعله: الخروج من هناك.
وهاهو على سبيل المثال: أيريل شارون. بذاكرتنا القصيرة هو فقط الشخص الذى ورث بنيامين نتنياهو ويعمل على رأب صدع الليكود. لحظة، أليس هذا هو الشخص الذى قادنا مرة إلى حرب فظيعة فى لبنان، والذى وقف على رأس عملية المستوطنات بشكل لم يسبق له مثيل فى حجمها فى الثمانينات، وهو الذى قبل شهور فقط أعرب عن فخره بأنه الرجل الذى نسف محاولات السلام لنتنياهو مع الأسد؟
ليس شارون فقط هو الذى يستطيع أن يخطط لعملية سياسية على ظهر (على حساب) ذاكرتنا الباهتة. فكذلك هناك شخص آخر إضافى، والذى طرد لتوه بأيدى الشعب من مقعد رئيس الحكومة، يستطيع فى هدوء أن يدير فترة توقفه: وعندما يرغب فى العودة للساحة السياسية، بعد أربع أو خمس سنوات، من سيتذكر حينذاك مرات فشله وخرابه؟

اتفاقية واى - من الصعب تجاوزها ومن الصعب تنفيذها

هآرتس
١٩٩٩/٧/٥
بقلم/ دان مرجليت

لن يفرض بيل كلينتون وحسنى مبارك على ياسر عرفات الاستجابة لمبادرة ايهود باراك بشأن تجاوز تنفيذ اتفاقية واى والانتقال إلى المفاوضات المكثفة حول التسوية الدائمة. ولكن إذا نجح باراك فى اقناع عرفات بأنه ينوى اجراء مناقشات موضوعية حول التسوية الدائمة - فإن الرئيسين (وأيضا ملك الأردن) سوف يتقبلان بتفاهم أى تنازل من جانب الزعيم الفلسطينى.
واحتمال مثل هذا التنازل ليس كبيرا، حيث أن الإسرائيليين الذين تحدثوا مع ياسر عرفات يرون أنه لن يوافق على استبدال اتفاق موقع بآمال. وكانت حكومة الليكود قد التزمت فى واى بأن تنقل إلى السلطة الفلسطينية اجزاء كبيرة جدا من يهودا والسامرا وليس من المعقول أن يوافق على تأجيل موعد تسلم هذه المناطق.
كذلك فإن باراك يفهم أن ما يريد أن يفعله باتفاقية واى مرهون بموافقة عرفات وأنه من المستحيل اجباره على التنازل عن الالتزام الموقع الذى نجح فى انتزاعه من بنيامين نتنياهو. وإذا وافق عليه عرفات فلا بأس وإذا رفض فلابد من إعادة المناطق له.
وفى مثل هذه الحالة ستتحول الضفة إلى ساحة للاحتكاك المستمر بين اليهود والعرب. وما يحدث فى الخليل يمكن أن يكون نموذجا لما يحدث فى أجزاء أخرى فى الضفة. وبذلك سيعلل باراك لعرفات والآخرين جدوى تأجيل اتفاقية واى

لصالح المفاوضات السريعة حول التسوية النهائية. ولن تستطيع أى حكومة أن تفتح المره تلو الأخرى النسيج الرقيق للجرح الذى التأم فى جسد المجتمع الإسرائيلى بعد كل قرار بشأن الانسحاب من المناطق. كذلك فإن تنفيذ اتفاق واى سوف يجعله يتخذ موقفا متشدداً فى مفاوضات التسوية النهائية.

هذا وسوف تزداد الخلافات فى المفاوضات وفى نفس الوقت سيستمر الواقع الخطير للحياة فى المناطق وفقا لاتفاقية واى. كذلك فإن اطالة امد المفاوضات سوف يشجع المتطرفين فى الجانبين على اللجوء إلى العنف والارهاب وسوف يفشل هؤلاء فى احتمال تحقيق السلام والفصل بين الشعبين.

وعلى الرغم من المنطق من وراء هذه الادعاءات فإن كلينتون ومبارك سوف يؤيدان عرفات سواء رد بايجاب أو رد بالنفى، ولكن ماهو احتمال حدوث تطور آخر؟ وألا يعلن عرفات عن قراره لزعماء امريكا والشرق الأوسط ولكن يطلب سماع وجهة نظرهم؟ وأعتقد أن مبارك سوف يتصرف بأسلوب آخر إذا سأله الفلسطينيون ماذا يفعلون ولم يطلبوا منه فقط أن يؤيد القرار الذى اتخذوه بالفعل. وفى هذا الصدد ليس هناك فرق إذا زار باراك القاهرة أولا أو واشنطن اولا، حيث أن الصعوبة التى يواجهها هى كيفية اقناع كلينتون ومبارك بالثقة فيه وتصديق أن العرض الذى يقدمه لا يهدف إلى اضاعة الوقت. وهذا يعنى أن هناك تغييراً فى نمط السلوك السياسى الذى كان متبعا حتى الآن والذى تنازلت إسرائيل بمقتضاه عن اشياء ثمينة كثيرة مقابل وعود شفهية. والآن نجد أن إسرائيل هى التى تطلب من الفلسطينيين التنازل عن شئ جوهرى مقابل وعد شفهى ذى مغزى.

ونحن نعلم أن هناك تأثيرات أخرى تتمخض عن مبادرة باراك، تأثيرات على معدل سير المفاوضات مع سوريا وعلى تأهب جيش الدفاع والمستوطنات التى يجب ادخالها فى نطاق كتل استيطانية. ولكنه أول تأثير نراه على مستوى العلاقات الشخصية على الساحة الدولية. فإذا نجح باراك فى اقناع كلينتون ومبارك والملك عبدالله - هذا مع العلم أن للرئيس المصرى دورا رئيسيا فى هذا الصدد - بتأجيل تنفيذ اتفاقية واى فسوف تزيد ديون رئيس الوزراء الجديد لرؤساء هذه الدول اثناء المفاوضات السياسية.

وسوف يجد صعوبة فى رفض مطالبهم بل ويجد نفسه منطلقا بسرعة نحو تنفيذ التسوية الدائمة. ومن يحصل على مساعدات من مبارك الآن سيجد صعوبة فى الرفض عندما يطلب من الرئيس المصرى أن يلبى المطالب الفلسطينية فى المستقبل. والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو ماهى الالتزامات التى يمكن لباراك أن يتحملها مقابل تجاوز اتفاقية واى؟ وما هو الثمن الذى سيدفعه مقابل ذلك؟ ليس هناك رد قاطع على هذا السؤال.

إتفاق مبادئ بين إسرائيل وسوريا (وثيقة موراتينوس)

ملحق معاريف
١٩٩٩/٦/٢٥
بقلم/ عوديد جرانوت

هذه هى الوثيقة التى وضعها مبعوث الاتحاد الأوروبى، ميجيل موراتينوس بناءً على التفاهم والاتفاقات التى حققها فى الرحلات المكوكية بين نتنياهو وبين الأسد. إن إتفاق سلام مستقر بين إسرائيل وسوريا يجب أن يبنى على الأسس الآتية:

أ - عناصر إقليمية:

١ - جيش الدفاع لإسرائيل ينسحب من الخطوط الحالية بهضبة الجولان طبقا للتحديدات التى ظهرت فى خطاب الدعوة لمؤتمر مدريد، وكتنفيذ لقرارات مجلس الأمن رقمى ٢٤٢ و٣٣٨.

٢ - قرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥ (القرار الذى يدعو لإنسحاب إسرائيل من لبنان) يتم تنفيذه بالتوازى مع تنفيذ القرارات ٢٤٢ و٣٣٨.

ب - عناصر الأمن:

١ - سيتم عمل الترتيبات الأمنية على أساس المساواة المتبادلة بهدف تقوية الاستقرار والتطرق للمصالح الأمنية للطرفين.

٢ - تلك الترتيبات تسير فى معيار واحد مع مبدأ السيادة والكمال الاقليمى لكل طرف وتتضمن أيضا البعد اللبنانى. وهى أيضا ستأخذ فى الإعتبار طابع المنطقة، المواقع الخاصة للطرفين فى المجال العسكرى والسياسى، وأبعاد إعادة الإنتشار من جديد على القدرات العسكرية.

٣ - إن الاستقرار سيتم إتخاذه عن طريق تقليل إحتمال الهجوم العسكرى وبالذات الهجوم المفاجئ وتقليل إحتمالات نجاحه إذا ما حدث.

٤ - من أجل إنجاز هذا الهدف ومن أجل تقليل خطر التصعيد، يتم تقليل الاحتكاك بين الجيشين، ويتم إبعادهم عن بعض بواسطة خلق ثلاث مناطق:

- منطقة منزوعة السلاح تماماً.
- منطقة خلفها، بعمق كاف، تفرض فيها قيود على الكم والكيف لقوات الجيش وأنظمة الأسلحة.
- منطقة ثالثة يتم فيها نصب قدرات دفاعية فقط.

٥ - إن منع المفاجأة يلزم إنشاء محطات إنذار أرضية.

٦ - يدرس الأطراف مشاركة قوة دولية مع نواة أمريكية ومشاركة أوروبية والتى تقوم على الإشراف والمتابعة لبنود الاتفاق.

ج - عناصر أخرى:

١ ـ علاقات سلام بين الأطراف تتضمن علاقات ديبلوماسية، إقتصادية وثقافية. وبهدف تمهيد الطريق لتنمية السلام، يتم تنفيذ خطوات لبناء الثقة فى المجالات السياسية، الاقتصادية والاجتماعية. وسيكون على الأطراف المؤيدة لذلك المشاركة فى أطر التعاون الاقليمى والمتعدد الأطراف. إن القنوات المتعددة الأطراف لمؤتمر مدريد ومسيرة برشلونة من الممكن أن تكون بمثابة إطار ملائم، لهذا الغرض.

٢ ـ مصادر المياه:

يتم معالجة مسألة المياه وفقا للقانون الدولى. مع الأخذ فى الاعتبار حقوق سوريا وإحتياجات إسرائيل فيما يتعلق بالمياه.

٣ ـ الإرهاب:

فى الوقت الذى سيتم فيه إنجاز إتفاقية بين الدولتين، كل طرف يمنع وجود أو تنظيم قوى غير نظامية، عصابات مسلحة أو قواعد أساسية للإرهاب، والتى يكون غرضها تنفيذ عمليات سطو (هجوم) أو أعمال إرهابية فى المجال الإقليمى الخاضع لأراضى الطرف الآخر، أو أى أنشطة أخرى يكون غرضها تهديد أو تعريض أمن الطرف الآخر للخطر. وذلك سواء كان التنظيم أو العمليات فى أرضه أو على أرض دولة ثالثة، يكون للدولة تأثير عليها.

٤ ـ البرنامج الزمنى:

مراحل تنفيذ الاتفاق يتم مناقشتها بين الأطراف كجزء من الاتفاقية.

إلى أين تسير المفاوضات مع سوريا؟

هآرتس ٢١/٦/١٩٩٩

بقلم/ الوف بن

عملية واحدة ومدرستان

شئ ما تحرك منذ الانتخابات فى العلاقات المجمدة بين إسرائيل وسوريا. فجأة ازيح الستار عن الجهود الخفية التى قام بها بنيامين نتنياهو ليمد يده للسوريين، وسلسلة من الوسطاء الذين زاروا قصر الرئاسة فى دمشق، من كاتب السيرة الذاتية باتريك سيل وحتى وزير الخارجية السابق، جيمس بيكر، الذى التقى أمس مع الرئيس حافظ الأسد. لقد جاءوا جميعا ليسمعوا رسالة ايجابية لنقلها إلى ايهود باراك. ومثل مؤشرات النفط التى تقلب البورصة بتل أبيب، حتى بعد عشرات السنين من الفشل، فإن تلميحات السلام من دمشق تثير توقعات بحدوث معجزة، وحدوث تغيير ما فى الموقف المتعنت للنظام السورى.

مازالت إسرائيل مشغولة بمسألة ماذا يريد الأسد، ويتجادلون حول ترتيب الأولويات لحكومة باراك: السلام مع سوريا والخروج من لبنان أولا، أم التسوية النهائية مع الفلسطينيين وبقاء سوريا لنهاية عملية السلام. هذا الجدل سوف يشغل الساحة السياسية، فى القدس وواشنطن خلال الشهور القادمة.

أما الرسائل الصادرة من دمشق فى الوقت الحالى فهى غير مثيرة للحماس. يريد السوريون استئناف المحادثات مع الحكومة الإسرائيلية الجديدة، بعد أكثر من ثلاث سنوات من التوقف، ولكن لا توجد أى علامة على حدوث مرونة فى مواقفهم. فهم بداية يطالبون بأن تتعهد إسرائيل بالانسحاب التام من الجولان فى بداية المفاوضات. وهذا أمر معروف، وحسبما قال أحد قدامى المفاوضين (لو تم استئناف المفاوضات بالمؤشرات التى دارت فى الماضى، أو بخطوات قليلة، فإنها لن تؤدى إلى أى شئ). وقد استجاب باراك بسعادة للانفتاح من جانب الأسد. فقد بسط البساط الأحمر لباتريك سيل الذى تلقى دعوة لسلسلة لقاءات مع كبار المسئولين فى الادارة الجديدة. قال له باراك أنه ينوى أن يحقق (سلام الشجعان) مع السوريين، وأنه على استعداد لاتخاذ القرارات الصعبة والمؤلمة التى تقتضى ذلك.

وقد أخذ اللواء (احتياط) اورى ساجيئ، نبى (الخيار السورى) والمرشح لأدارة المفاوضات، سيل إلى هضبة الجولان، ليلتقى مع مجموعة من المستوطنين الذين كانوا مرءوسين فى لواء جولانى. وقد تأثر سيل بتصميم ساجيئ، أمام العبارات القاسية التى صدرت عن رفاق السلاح. وقد خرج من الزيارة بشعور أنه لم يسبق أن كانت متوافرة مثل هذه الارادة فى إسرائيل للانسحاب من الجولان، مقابل السلام مع سوريا.

إن باراك مثل زملائه فى المؤسسة العسكرية يسعون إلى التوصل إلى تسويات تبعد عن إسرائيل خطر الحرب وإبعاد القوة العسكرية الرئيسية عن حدودها. فقد سعى باراك فى حديثه إلى صحيفتنا يوم الجمعة الماضى إلى إحصاء الأسلحة السورية (٧٠٠ طائرة مقاتلة و ٤٠٠٠ دبابة و ٢٥٠٠ مدفع وصواريخ أرض ـ أرض منتشرة بشكل جيد، تغطى بغاز الاعصاب كافة ارجاء الدولة)، من أجل أن يفسر أسباب حيوية السلام.

وهناك حافز آخر لدى باراك لعقد صفقة مع سوريا، وهو احترام وعده الأساسى اثناء المعركة الانتخابية، بإخراج جيش الدفاع من لبنان خلال عام. يريد باراك اتفاقا يتيح الانسحاب. أن المفتاح فى جيب الأسد الذى رفض إلى اليوم التخلى عن ورقة المساومة التى يقتل بها جنودنا فى لبنان. يثق باراك فى أنه سينجح فى التغلب على الاعتراض السورى عن طريق اغراءات عملية للأسد، على رأسها الوعد بأن لبنان هى الخطوة الأولى فى الطريق إلى الاتفاق حول الجولان.

كانت التركة الاساسية للمفاوضات مع سوريا من عهد رابين وبيريز ونتنياهو، هى أن الجمهور الإسرائيلى قد تفهم ثمن السلام، أى الانسحاب التام من هضبة الجولان. لقد صوت الكثير من الإسرائيليين لصالح حزب الماريجوانا مقارنة بهؤلاء الذين صوتوا لصالح حزب الطريق الثالث. كذلك أيضا، ليس من السهل أن نمرر فى الرأى العام فكرة الانسحاب إلى ساحل طبرية، حيث يكون الطرف الثانى للصفقة هو حافظ الأسد الذى يعارض أى لفتة علنية درامية. هذا فى الوقت الذى تتعهد فيه الحكومة بإخلاء مناطق أخرى فى الضفة الغربية وربما أيضا مستوطنات.

ومرة أخرى ثار جدل فى وزارة الخارجية وأجهزة تقدير إسرائيلية، وفى الولايات المتحدة وأوروبا حول نوايا الأسد. الجميع متفقون على أن الهدف الأول للأسد هو أن يضمن الحكم لابنه بشار. فى هذه النقطة تظهر خلافات. هناك مدرسة تقول أن الاسد يريد (أن يبقى المائدة نظيفة) لابنه، وإعادة الجولان إلى الملكية السورية قبل أن يختفى عن المسرح. وطبقا لهذه النظرية، يجب على إسرائيل استغلال الفرصة وإنهاء الموضوع مع الأسد الأب. ويعتقد اصحاب النظرة العكسية أن الأسد سيرغب للغاية فى منع أى اهتزازات فى نظام الحكم، وسيمتنع عن انقلاب تاريخى مثل عقد سلام مع إسرائيل فى هذه الفترة الحرجة جدا.

لهذا، سيواصل جس نبض السلام، ولكن بدون نتائج فعلية. ونتيجة هذه النظرية هى أنه لا توجد فرصة للسلام مع سوريا، ويجب احراز تقدم مع الفلسطينيين.

يعتقد رئيس المخابرات العسكرية اللواء عاموس ملخا أن الأسد يرغب فى تحقيق سلام فى حياته، وعدم ترك هذه المهمة لحاكم جديد تنقصه الخبرة. وقال ملخا فى محاضرة له، أن النتيجة النظرية من وراء ذلك هى أن الحاكم السورى سيوافق على ابداء مرونة فى مواقفه تجاه إسرائيل بل وكبح جماح حزب الله فى لبنان. فى سيناريو رئيس المخابرات العسكرية، احراز تقدم فى العملية السياسية سيؤدى إلى شرخ بين سوريا وبين حليفتها ايران، التى تعارض التسوية مع إسرائيل، وتشجع حزب الله على مواصلة الهجمات.

يقول ملخا، إن سوريا ولبنان تعتقدان أن جيش الدفاع سيخرج من الحزام الأمنى خلال عام أو عام ونصف، وحتى ذلك الحين فقد يحدث تصعيد - يظهر أيضا فى تزايد حدة رد الفعل الإسرائيلى على هجمات حزب الله.

وتقديرات المخابرات العسكرية تعطى لباراك حبلاً لاحراز تقدم على المسار السورى. وضد هذه التقديرات يقف عدد من كبار المسئولين فى حزب باراك، وعلى رأسهم يوسى بيلين وشلومو بن عامى، اللذان يحذران من اضاعة الوقت فى أعمال عبثية مع السوريين.

أن لدى حكومة باراك هدف واضح فى عملية السلام وهو احراز تقدم فى مسار التسوية النهائية مع الفلسطينيين. أى انحراف جانبى سيعرقل تحقيق التسوية وتسويقها للجماهير. من يريد الخروج من لبنان، وفقا لهذا الرأى، يجب أن يحمل حقائبه ويرحل، وأن يكون الخروج من جانب واحد، ويتمنى ألا تعرقل سوريا الأمور. كرئيس جديد للوزراء، فسوف يعلن بارك عن رغبته فى احراز تقدم على المسارين الفلسطينى والسورى. وتدل مواقفه الاساسية - فى المرحلة الحالية - على أنه لم يقتنع بوجود شريك سورى للصفقة. أنه يقول أنه لن يتكلم عن انسحاب، قبل ان يسمع ماهو المقابل الذى ستحصل عليه إسرائيل، من ناحية التطبيع والترتيبات الأمنية وتقسيم المياه والهدوء فى لبنان. أنه يرفض الزعم السورى القائل بأن رابين وعد بالانسحاب من كل هضبة الجولان وأن هذا الوعد ملزم لخليفته.

سوريا هى العنوان الحقيقى

هاتسوفيه ٢٧/٦/١٩٩٩

مقال إفتتاحى

إن العملية العسكرية الواسعة النطاق التى قام بها سلاح الطيران فى لبنان ودمر فيها بعض الكبارى ومحطة كهرباء وتسبب فى حدوث حالة ارتباك فى كثير من الأماكن فى بيروت، تعتبر بمثابة خطوة ضرورية وكان يجب اتباعها قبل ذلك.

وكانت اللجنة الوزارية للشئون السياسية والأمنية قد قررت قبل عدة أشهر - وتم نشر هذا القرار ولكن بصورة غير رسمية - ان الأهداف اللبنانية لن تكون لها حصانة فى مواجهة هجمات جيش الدفاع، إذا استمرت منظمة حزب الله فى اطلاق صواريخ الكاتيوشا على شمال إسرائيل. وكان رئيس الأركان العامة الفريق شاؤول موفاز قد أعلن يوم الخميس الماضى أنه فى المرتين الأخيرتين اللتين وقع خلالهما هجوم من جانب حزب الله ضد المستوطنات الشمالية اقترح جيش الدفاع الإسرائيلى توجيه ضربة مؤلمة للبنان ولكن الحكومة لم توافق على ذلك. ولكن بعد تهور حزب الله يوم الخميس وإطلاق صواريخ الكاتيوشا بصورة مفاجئة فى وضح النهار على الجليل الغربى وأصبع الجليل اعطت الحكومة الضوء الأخضر لجيش الدفاع للقيام بعمل جوى واسع النطاق، وربما يكون اوسع هجوم منذ عملية عناقيد الغضب التى وقعت قبل أكثر من ثلاث سنوات. وقد تسبب ذلك فى حدوث تصعيد ادى إلى اطلاق المزيد من صواريخ الكاتيوشا على كريات شمونه وسقوط ضحايا. ولكننا نأمل فى أن يعود الهدوء بعد فترة قصيرة ويتم استيعاب مغزى رد فعل جيش الدفاع لدى حزب الله ولدى

حكومتى لبنان وسوريا.
أن العملية العسكرية الكبيرة التى قام بها جيش الدفاع ضد أهداف مدنية فى لبنان تهدف إلى ابلاغ رسالة لحكومة بيروت بأنه يجب عليها أن تتحمل مسئوليتها ازاء هذه الأعمال الهوجاء التى تقوم بها منظمة مخربين تعمل من داخل الأراضى اللبنانية بصورة مزعجة. حيث أن حكومة لبنان مسئولة عما يحدث داخل اراضيها وإذا كانت غير قادرة على السيطرة على مخربى حزب الله، فإنه يجب أن تكون لحكومة سوريا السيطرة الحقيقية فى لبنان. ولكن يجب نقل رسائل إسرائيلية أيضا إلى حكومة سوريا بأن إسرائيل تعتبرها مسئولة أيضا عن الاعمال الاستفزازية من جانب حزب الله وهذا الاطلاق الوحشى لصواريخ الكاتيوشا. وكان الرئيس السورى حافظ الأسد قد ادلى فى الآونة الاخيرة بتصريحات معتدلة فى اتجاه رئيس الوزراء المنتخب ايهود باراك ودعا إلى استئناف المفاوضات بين الدولتين. ولكن يجب أن نوضح للأسد بصورة قاطعة أنه إذا استمر فى استغلال حزب الله للقيام بأعمال ارهاب ضد إسرائيل من اجل ممارسة الضغط عليها فى المجال السياسى، فإن ذلك يكون خطأ كبيرا من ناحيته، حيث أن إسرائيل لا يمكن أن تقبل استمرار هذه الأعمال الارهابية التى تهدف إلى اجبارها على استئناف المفاوضات ولن تقبل الارهاب خلال هذه المفاوضات، من أجل دفعها إلى الأمام والضغط عليها لتقديم تنازلات. وتعتبر حكومة سوريا مسئولة عن اعمال حزب الله على اعتبار أن المعدات العسكرية التى تستخدمها هذه المنظمة تصلها من الأراضى السورية ولأن حزب الله يخضع لأوامر سوريا وتعمل بتوجيهات منها.
إن العنوان الحقيقى لكل ما يحدث فى لبنان هو سوريا. ويجب أن نوضح لها أنها لن تستطيع الاستمرار فى أداء هذه اللعبة المزدوجة.. التصريحات المعتدلة، من ناحية والقلب الأسود من ناحية أخرى، مع استخدام منظمة سفاحين من أجل قلب حياة سكان الشمال إلى جهنم وممارسة الضغط على إسرائيل. ولن تستطيع أى مفاوضات سياسية أن تجرى فى ظل هذا الوضع غير المحتمل ومسئولية ذلك تقع على عاتق سوريا.

رحلة لاعادة الثقة

هآرتس ١١/٧/١٩٩٩

بخطوة حكيمة بدأ رئيس الوزراء ايهود باراك رحلاته بمصر بالذات، بلقاء مع الرئيس حسنى مبارك. فمصر هى الدولة العربية الأولى التى وقعت على اتفاق سلام مع إسرائيل، وهى اهم دولة على الاطلاق فى الشرق الأوسط، وفى مقدور الرئيس مبارك أن يؤثر على طبيعة ومعدل عملية السلام بين إسرائيل والدول العربية. وسيلتقى باراك اليوم مع ياسر عرفات الذى يرعاه مبارك، وقد سبق أن اسهمت علاقة الرئيس مبارك بالرئيس الأسد فى دفع المفاوضات بين الدولتين. لو حكمنا وفقا لكلمات مبارك الحارة لباراك فى المؤتمر الصحفى الذى عقده الاثنان بالاسكندرية، فإن مصر على استعداد لأن لتمنح فترة سماح سياسى لإسرائيل بعد ثلاث سنوات من الجمود. وهذا السماح لا يمنح لباراك فقط بشكل شخصى، بل للجماهير الإسرائيلية التى احدثت الانقلاب وأدت بذلك إلى تغيير النظرة إلى إسرائيل فى أغلب الدول العربية، وفى نظرة الثقة بها. وتلك الاصوات الصادرة من دمشق والتى على استعداد لأن تمنح الثقة فى وعود باراك، الذى يتحدث، مثلما يعلمون فى الشرق الأوسط، من خلال موقف ذى قوة سياسية والمتحرر من أغلب القيود التى قيدت من سبقوه فى هذا المنصب - تلك الأصوات لا تقل أهمية.
إن الثقة التى يحظى بها باراك الآن غير مشروطة. فالدول العربية، وبالاخص تلك التى تفاوضت معها إسرائيل، اصيبت فى عهد نتنياهو بإحباط شديد عزز من موقف المعارضة لعملية السلام وأساء إلى صورة إسرائيل. فقد اصبحت إسرائيل دولة غير ذات مصداقية، تبنى سياستها على الخداع. وقد اصبح شعار (الحكم للأعمال وليس للكلمات) هو الشرط الضرورى فى نظر جيراننا لاستئناف العملية السياسية. ومع تلك التركة السياسية التى ورثها باراك أصبح عليه أن يبدى قدرا من الفعل الذى يعيد بناء الثقة ويتيح الاستمرارية الموضوعية والفعلية للعملية التى تحقق التسويات الدائمة.
هناك مساران متوازيان فى انتظار ايهود باراك: الفلسطينى والسورى - اللبنانى. ولكليهما أهمية متماثلة لأن كليهما معا قد يؤدى إلى إنهاء النزاع. وعلى كلا المسارين ينتظره زعماء على استعداد للتفاوض، وإلى جانبهم مساندة مصرية وأردنية تخدم باراك.
وفقا لنتائج الانتخابات والمناخ الجديد الذى ظهر فى الشرق الأوسط، وأيضا فى الولايات المتحدة، أصبح هناك مجال لقوة الدفع. ولو هناك احساس فى إسرائيل بوجود أساس للحوار السياسى مع سوريا، فإن هناك احساس مماثل لدى الدول العربية بوجود فرصة للتوصل إلى صفقات مع الزعيم الإسرائيلى. منذ زمن طويل جدا لم تتوافر ظروف مواتية وجيدة جدا كهذه. وهى فى انتظار حسن الاستغلال.
وهذه الظروف لا تعنى مفاوضات سهلة، وتنازلات سريعة عن المواقف الهامة لدولة إسرائيل أو التراجع الشامل من جانب العرب عن مطالبهم ولكنها تخلق تفاهما بأن المفاوضات قد أصبحت من الآن وسيلة لتحقيق التسوية وليست وسيلة لعرقلتها أو توقفها.

إهمال العودة

هآرتس ٨/٧/١٩٩٩
بقلم/ ميرون بنفينستي

أدى كلام الرئيس بيل كلينتون بشأن رغبته بأن يكون (الشعب الفلسطيني حرا وأكثر من حر في أن يعيش أينما يريد، وفي أي مكان يريد أن يعيش فيه) وذلك فيما يتعلق بقضية اللاجئين، أدى إلى رد الفعل الغريزي المتوقع في إسرائيل. كان الرئيس (مضطراً) لأن يقصد (حق العودة) - وكان مغزى كلامه هو أنه يؤيد موقف الفلسطينيين - ومن المعروف أن حق العودة هو كلمة السر للقضاء على إسرائيل. وهذه الموجة الغاضبة من الاحتجاج، التي لم تهدأ بعد، اثارت مخاوف الادارة الأمريكية لدرجة أن المتحدثين بإسمها لم يكتفوا بخطابات التوضيح (بأنه لم يطرأ أي تغيير على السياسة الأمريكية)، بل أنهم سربوا كلاما بأن الرئيس - المتعب - قد انزلق في الكلام.

إن كابوس العودة، الذي يصاحب الإسرائيليين أكثر من خمسين عاما - وعناصره هي المخاوف الحقيقية. والهوس والضمير غير النظيف - هذا الكابوس استيقظ مرة أخرى. إن جميع تحفظات كلينتون، الذي أوضح أن هذا متعلق بأين (سيكون هذا وكيف يتناسب هذا مع المكان الذي سبق أن عاش فيه هؤلاء الناس)، زادت من الخوف، والأكثر - المناسبة التي قال فيها كلينتون كلامه - وهي عودة لاجئي كوسوفا إلى ديارهم.

إن السابقة التي حدثت في كوسوفا، والتي قضت بعدم سماح المجتمع الدولي، وعلى رأسه الولايات المتحدة، بأي عمليات تطهير عرقي وإعادة المطرودين إلى ديارهم - على حسابه وتحت رعاية قوات السلام التي ستشرف على أعمال التعمير - هذه السابقة من شأنها أن تطبق أيضا على اللاجئين الفلسطينيين. وبالطبيعة، فإن الكوابيس تصمد أمام الآراء الجادة ومن يعاني منها دائما ما يرى ظلال الجبال وكأنها جبال حقيقية. لا مجال لأن نقول لهم أن السوابق لا تطبق بشكل خالص، كما أن تطبيقها قد يتسبب في تعقيدات تزيد من معاناة اللاجئين. من يعتقد أن حق العودة هو مؤامرة فلسطينيه. سيجد صعوبة في الاعتقاد بأن الكثير من الفلسطينيين قد توصلوا منذ زمن الى نتيجة بأن العودة إلى ديارهم المهجورة في إسرائيل لن تعني أكثر من نقل ظروفهم التعسة. حسبما قال باحث فلسطيني سوف يستبدل اللاجئون وضعا غير عادل بوضع ظالم كمواطنين في دولة ليست لهم . ويعترف متحدثون فلسطينيون رسميون بأنه من غير الممكن تنفيذ حق العودة الفعلي في الحدود الإسرائيلية وسوف يضطرون لتنفيذه داخل دولة فلسطين.

إن من يجعله كابوس العودة يرى في خياله ملايين اللاجئين يغرقون الدولة اليهودية بأنهار بشرية، عليه أن يطلع على النشرة الرسمية للسلطة الفلسطينية حول عدد اللاجئين الذين سيعودون إلى المناطق (وليس إلى إسرائيل) خلال العشرين عاما القادمة.

هذه النشرة، التي نشرت بمناسبة إحصاء وتعداد السكان الفلسطينيين تتكهن بأنه (في سنوات ١٩٩٧ - ٢٠١٠ سيعود إلى الأراضي الفلسطينية ما مقداره ٥٠٠ ألف شخص) وبعد عام ٢٠١١ (وحتى عام ٢٠٢٥) لن يعود أحد.

وهذه النبوءة تعتبر (متشائمة جدا إذا وضعنا في الحسبان واقع عملية السلام)، ولكن شأنها شأن أي تكهن فإنها تعتمد على افتراضات سياسية خفية، وبالطبع في حالتنا هذه. أن نصف مليون شخص هو رقم كبير ويوازي ضعفي الرقم الذي ستسمح به إسرائيل وفقا لتجربة الماضي، ولكنه يعتبر رقما هامشيا إذا وضعنا في الحسبان التطورات الديموغرافية المتوقعة في إسرائيل في العقدين القريبين.

يشير ربط التنبؤات الإسرائيلية والفلسطينية لعام ٢٠٢٠ (مع خصم العدد المضاعف لمواطني القدس الشرقية في كلا التنبؤين) إلى أن اجمالي المواطنين في أرض إسرائيل من عهد الانتداب سيكون ٥٥٪ إسرائيليون و٤٥٪ فلسطينيون، وبدون العائدين والزيادة الطبيعية ستبلغ النسبة ٥٨٪ و٤٢٪. ولكن النسبة الهامة أكثر هي التي بين اليهود - في دولة إسرائيل والمناطق - وبين الفلسطينيين ومعهم عرب إسرائيل. في عام ٢٠٢٠ سيقطن أرض إسرائيل ٨,٢ مليون من غير اليهود (٦,٦ مليون فلسطيني و١,٦ مليون عربي إسرائيلي) مقابل ٦,٦ مليون يهودي. هذه النسبة، ذات الأغلبية العربية (٥٥٪) مقابل اقلية يهودية (٤٥٪) سوف تتغير - إذا لم يعد نصف مليون لاجئ، فإن النسبة سوف تنخفض قليلا إلى ٥٣٪ عرب مقابل ٤٧٪ يهودي.

بالنسبة لاولئك الذين يعتبرون هذه التنبؤات - التي تشير إلى اغلبية عربية في أرض إسرائيل - كابوسا، فإن العودة المنتظرة لنصف مليون لاجئ لا يجب أن تمثل عنصرا لمزيد من القلق - فبدون هؤلاء أيضا سوف يحقق العرب اغلبية في وقت ما بين ٢٠٠٧ - ٢٠١٠.

هؤلاء الذين يصرون على مواصلة السقوط في الوهم بأن هناك فارقا جوهريا بين استيعاب العائدين في دولة فلسطينية وبين استيعابهم في دولة إسرائيلية (ويتجاهلون تداخل الحدود بين إسرائيل والمناطق) لا يجب ان يخيفهم عدد العائدين - فلن يمثلوا أكثر من ١٠٪ من سكان المناطق الفلسطينية. هذا يعني أن كابوس العودة لا يقع في المجال الديموغرافي بل النفسي. كم كان من الأفضل لو كنا قادرين على قراءة كلام الرئيس كلينتون بهدوء، وبعد ذلك نحسب ونفكر معا كيف سينجح ١٥ مليون شخص في العيش داخل وطنهم المشترك.

مباركة مبارك

هآرتس ١١/٧/١٩٩٩
بقلم/ تسيفى برئيل

ليست مصر بالدولة التى يورث فيها الزعماء ابناءهم. فهى ليست ملكية كالأردن أو تخضع لحكم اقلية مثل سوريا والعراق. ومن غير المكن ان نتعامل معها مثل أى مجتمع قبلى، مثل دول الخليج، حيث الأسرة الحاكمة هناك هى الدولة. والاراضى المصرية غير محتلة من أجانب، والمصريون لا يقتلون فى حروب، والاقتصاد المصرى ينمو والاعتداءات من جانب الأصوليين تتلاشى.

وحسنى مبارك هو زعيم مرغوب لا تمثل علاقات السلام مع إسرائيل عقبة فى علاقاته بالدول العربية، لدرجة أن ايران تخطب وده الآن. إذن، تستطيع مصر أن تواصل حياتها ايضا بدون عملية السلام، وأن تدع الفلسطينيين يساومون إسرائيل وأن تهتم سوريا بشئونها لاستعادة أراضيها فى الجولان.

فما الذى يدفع مبارك رغم كل هذا لأن يواصل رعاية عملية السلام؟ لماذا يجب عليه أن يسعى ليكون أول زعيم عربى يلتقى برئيس وزراء إسرائيلى ويضع بصماته على العملية؟ تقول التعليقات السائدة أن مصر تتنافس مع إسرائيل فى الهيمنة على الشرق الأوسط. فقد قال عمرو موسى فى حديث صحفى (أكبر انجاز حققته كان التصدى فى مؤتمر الدار البيضاء الاقتصادى لفكرة الشرق الأوسط الجديد واقتصار المؤتمر على التعاون الاقتصادى فقط). صحيح أن المفهوم الجديد الذى صاغه شيمون بيريز مازال يردع كل دول المنطقة، ولكنه خوف نظرى، لأن أى دولة عربية ستوقع إسرائيل على اتفاق سلام معها ستكون قادرة على رفض الوجود الإسرائيلى فيها، تماما مثلما فعلت مصر بنجاح ساحق على مر عشرين عاما. وتماما مثلما قامت الكويت والسعودية بلفظ الوجود الاردنى خارجهما بعد حرب الخليج.

إذن فالمنافسة على الزعامة، أو التصدى للنفوذ الإسرائيلى، غير كافية لتفسير الوضع.

يقول المفكر محمد سيد أحمد (أن حرب الهيمنة تعتبر اشادة كبيرة بإسرائيل. لن تستطيع إسرائيل ابدا حمل تاج زعامة العالم العربى. إذا كان هناك ما يحفز مبارك فذلك هو التطلع للابقاء على البصمة التاريخية. فإذا كان عبدالناصر هو محرر مصر الحديثة، والسادات هو الذى حررها من الاحتلال الإسرائيلى وعقد معها السلام، فإن مبارك فى حاجة إلى بصمة خاصة).

وهذه البصمة موجودة فى مجالين. فى الداخل يقيم مبارك مشروع ضخم فى الصحراء الغربية، وعندما ينتهى هذا المشروع بعد خمس عشرة سنة، فسوف يوفر المعيشة لعدة ملايين من المصريين الذين يتكدسون على ضفاف النيل. انذاك سيكون مبارك قد بلغ من العمر ٨٦ عاما، وقد لا يرى انتهاء هذا المشروع، ولكنه سيظل مكتوب على اسمه للأبد، والمجال الثانى وضح فى ترحيبه بباراك اثناء زيارته للأسكندرية. فيقول أحد مستشاريه: "إذا كان السادات قد صنع السلام بين مصر وإسرائيل، فإن مبارك يريد احلال السلام بين كل العالم العربى وإسرائيل". وهذه العبارة تتردد من حين لآخر كشعار محبب من الجانب الذى يمثل سياسة السلام البارد، حتى أنه يستكمل جزئها الثانى وهو (اعادة الشرف العربى بقيادة مصرية).

مصر، التى نظرت فى غيظ كيف انحرف الفلسطينيون عن طريق الوحدة وقعوا اتفاقيات منفصلة مع إسرائيل، وكيف فرت الأردن من تحت كنفها وأصبحت حليفة لإسرائيل، وتسعى لأن تمسك من جديد بقيادة العملية السياسية الهامة جدا خلال هذا القرن فى الشرق الأوسط. تعتبر إسرائيل والسلام معها من الوسائل الأخيرة التى تبقت لمصر والتى ستضمن أن يظل إسم مبارك دائم الذكر لفترة طويلة بعد رحيله. ولذلك فتلك هى فرصة باراك حتى يتبنى لنفسه أهم حليف عربى، وربما تلك هذه فرصة من أجل عقد تحالف سلام جديد مع مصر، لأن مبارك فى حاجة فى صراعه من أجل المحافظة على الوضع الدائم لمصر، وفى حاجة إلى باراك بما لا يقل عن احتياج باراك لمبارك.

الفارق حسب مبارك

معاريف ١١/٧/١٩٩٩
بقلم/ عوديد جرانوت،

إجتاز إيهود باراك يوم الجمعة فى الاسكندرية وبدون صعوبة الاختبار الأول له كرئيس للوزراء أمام أكبر وأقوى دول العالم العربى. فالرئيس مبارك، مشبعاً بالاحباطات والمرارة من فترة نتنياهو، خرج إلى الصحفيين من لقائه مع رئيس حكومة إسرائيل وقال "باراك ينوى صنع سلام".

فى اللقاء المغلق بينهما أوضح له رئيس الوزراء الإسرائيلى، أنه "فى حاجة إلى إسبوعين تقريبا". حتى يستوضح أين يقف بالضبط مع عرفات ومع الأمريكان. وقال مبارك فى جنبات قصر رأس التين أمام مكبرات الصوت "لا تضغطوا على الرجل". يجب إعطاؤه وقتا

كشهرين حتى يستطيع أولا عمل تقييم شامل للموقف".
ليس واضحا إذا كانت صداقة رائعة قد تولدت فى اللقاء الأول بينهما فى الأسكندرية، ولكن مبارك، وإرتكانا على تعليقه كان يدعم هذا الإنطباع، وقد تنفس الصعداء لأن باراك، وليس نتنياهو، يقف هذه المرة بجواره.
وعندما تحدث رئيس وزراء إسرائيل عن ضرورة الحل السريع "لنزاع المائة عام" مع العرب، فكر مبارك فى الثلاث سنوات السابقة والتى ضاعت هباء، كما تم التعبير عن ذلك فى الأسبوع الماضى على مسامع ضيوف من إسرائيل.

لدى آمال كبيرة:

ثلاث سنوات بالضبط مرت منذ رأيت رئيس مصر خارجا إلى الصحفيين من اللقاء المغلق مع بنيامين نتنياهو، ووجهه مشرق. لقد تلاشى القلق فى مصر وفى العالم العربى من إنتخاب "رئيس حكومة يمينى متطرف" فى إسرائيل، تلاشى لدى مبارك خلال ثوان معدودة بفضل كم الوعود التى ألقاها عليه نتنياهو فى لقائهم الأول. لقد فهم مبارك حينذاك من رئيس حكومة إسرائيل أنه فى طريقه "لإنهاء الموضوع" مع السوريين ومع الفلسطينيين خلال عدة أشهر. ولفترة ما سمعت من مبارك أن وزير الخارجية عمرو موسى، لم يكن شريكا فى البداية لذلك التفاؤل ولكن مبارك لم يكن لديه إستعداد للسماع. ففى المؤتمر الصحفى العام قام مبارك بتوزيع عبارات الثناء والمديح لنتنياهو، وبعد ذلك قام بشكل استثنائى بدعوة كل الصحفيين الإسرائيليين للقاء منفرد، والذى عاد فيه وعبر عن إنطباعه الحسن من الزعيم الإسرائيلى الجديد. وبمرور الوقت إختفت الإبتسامة من على وجه مبارك. وقال لى فى إحدى المرات: "لقد صدق عمرو موسى" لقد أصابنى نتنياهو بخيبة أمل شديدة وخذلنى.
لقد كانت النتيجة التى لم يكن ممكنا منعها لتوقف مسيرة السلم مع الفلسطينيين، هى تدهور خطير فى علاقات إسرائيل بمصر على مدى الثلاث سنوات الأخيرة. فالمناخ العام للعلاقات تعكر، وصحف المعارضة المعادية للسامية احتفلت. وأول أمس فى المؤتمر الصحفى بالاسكندرية سئل مبارك إذا كان لا يخشى أن يصاب بخيبة الأمل للمرة الثانية. ولكن الرئيس المصرى لم يرتبك وقال: "إننى لم أكن أعرف نتنياهو قبل لقائنا الأول. أما باراك فإننى أعرفه من فترة. فقد عمل مع رابين.. وقد كان شريكا فى آرائه مع رابين وبيريز.. وقد ساعد فى حل مشكلة مع الفلسطينيين فى المؤتمر الذى عقده فى شرم الشيخ.. إننى أعرف نواياه وأفكاره وأنا أقول لكم إننى متفائل وأن لدى آمال كبيرة فى أن نتحرك للأمام".
لم يكن باراك ليتوقع أكثر من ذلك. لقد كان من الصعب على رئيس الوزراء الإسرائيلى الجديد أن يكتم إنفعالاته من الموقف الاحتفالى للإستقبال الذى قوبل به فى الأسكندرية، ومن العرض لحرس الشرف فى المطار والذى كان فى إستقباله، للسلام الوطنى الإسرائيلى الذى عزف فى الاسكندرية، ثم من اللفتة الصغيرة، على غير البروتوكول، والتى رافق فيها مبارك باراك حتى سيارته فى طريقه للمطار.

مبارك مؤمن بباراك:

فى المباحثات التى إستمرت حوالى ساعتين ونصف الساعة كان الجو طيبا للغاية وودى. لقد عقد لقاء مغلق بين مبارك وباراك وكان هناك إجتماعا موسعا، على إفطار، بمشاركة أعضاء الوفود. وقد دارت أيضا مباحثات ثنائية بين دانى ياتوم مع رئيس أجهزة الأمن المصرية، وبين يوسى كوتشيك مع رئيس الوزراء المصرى، وهو إقتصادى فى الأصل (رجل إقتصاد). كما تحدث تسفى شتاوبر مع أسامة الباز المستشار السياسى لمبارك، وباراك نفسه تبادل الذكريات عن حرب يوم كيبور (أكتوبر) مع الجنرال محمد طنطاوى وزير الدفاع والذى كان وقت الحرب قائد كتيبة.
ملخص القول: مبارك مؤمن بباراك. لقد إنفتح أمام رئيس الوزراء دفتر إئتمان فى قصر رأس التين بالاسكندرية الذى غادره الملك فاروق للمنفى بعد أن أطاح به مجموعة الضباط الأحرار.
لقد قرر باراك أن يدير الحوار مع مبارك بلغة طيارى القاذفات الجوية، فحسب أقوال مصدر مقرب من الوفد الإسرائيلى، فقد شرح لرئيس مصر أنه لكى يحدث تقدم فى مسيرة السلام "يجب أولا رسم خريطة ثم بعد ذلك الجلوس للتخطيط فى أى مسار نرغب فى التقدم، وبعد ذلك نبدأ فى الطيران حسب الخطوط الموضوعة..".
بالنسبة لمبارك، الذى قاد سرب طائرات قتالية فى حرب أكتوبر كانت لغة باراك واضحة وسلسة. وقد إنطبع لدى باراك أن مبارك أبدى تفهما لتلك الطريقة ومن هنا جاء إستعداد رئيس مصر لمنحه شهرين لكى يرتب أوراقه.
وردا على سؤالى، قال مبارك أول أمس أنه لن يدير مفاوضات بإسم الفلسطينيين ولكنه سيعمل على تقليل الفجوات بين الأطراف. وبلغة أخرى: المصريون سيكونون مشاركون بعمق فى المباحثات، حتى بدون مشاركتهم فيها بالفعل. وأضاف مبارك: "إن باراك يتفهم جيدا أن المشكلة الفلسطينية هى لب النزاع فى المنطقة". وللدلالة على ذلك فهو مستعد للقاء عرفات اليوم كإعداد للقاء عرفات مع إيهود باراك.
وقد أعرب أمس صائب عريقات عن عدم راحته من إستعداد رئيس مصر لمنح باراك مهلة زمنية شهرين، وأضاف أن الفلسطينيين غير مستعدين لتغيير أو لتجاوز تنفيذ إتفاقية واى. وقال رئيس طاقم المفاوضين الفلسطينيين: لقد تعبنا من الإنتظار ويجب تنفيذ الاتفاقيات.
إن لمبارك تأثيرا كبيرا على ياسر عرفات فى الإتجاهين: فالمصريين عرفوا فى الماضى تصعيب (تشديد) الخط الفلسطينى عندما أرادوا ذلك، ولكن مبارك عرف أيضا لوى ذراع عرفات عندما رفض الأخير التوقيع فى القاهرة على خرائط إتفاقيات المرحلة الانتقالية. إن باراك سيحتاج أيضا فيما بعد لتوطيد العلاقة مع مبارك، والتى تم وضع أساسها يوم الجمعة فى الأسكندرية.

بارك طلب بادرات طيبة وأما المصريون فقد طلبوا تنازلات

هاتسوفيه
١٩٩٩/٧/١٢
بقلم/ موشيه ايشون

التقى رئيس الوزراء ايهود باراك مع الرئيس المصرى حسنى مبارك مؤخرا فى الاسكندرية. وطبقا للتقارير فقد حظى باستقبال حافل وحظى أيضا بكثير من كلمات المديح والثناء من جانب مضيفيه المصريين. حيث أنهم يعلقون عليه آمالاً كبيرة ولكنهم رفضوا فى نفس الوقت تقديم بادرات طيبة للضيف الإسرائيلى، وأوضحوا له بأسلوب مهذب، ولكن بإيضاح شديد، أنه يجب على إسرائيل أن تثبت فى المرحلة الأولى، ليس فقط عن طريق الكلمات ولكن عن طريق الأفعال أوجه الاختلاف بين حكومة باراك وبين حكومة بنيامين نتنياهو، وبعد لقاء الاسكندرية، من الصعب القول أنه بدأت صفحة جديدة فى العلاقات بين مصر وإسرائيل. ويمكن القول أن الرئيس حسنى مبارك قدم قائمة مطالب لإسرائيل مثل التنفيذ الفورى لاتفاقية واى ريفر، ووقف البناء فى جبل أبوغنيم فى القدس، ووقف وإلغاء خطط البناء فى المستوطنات وما شابه ذلك. وبالاضافة إلى ذلك فإنه لا يجب علينا أن نتجاهل ملاحظة مبارك "امنحوه شهرين حتى يستطيع أن يستعد كما يجب للعهد الجديد".

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو: هل بدأنا بالفعل عهداً جديداً؟ وحتى هذه اللحظة نجد أن الأمور تكرر نفسها.. حيث أن نتنياهو سمع نفس هذا الكلام من كبار المسئولين فى مصر وأيضا الذين سبقوه مثل اسحاق رابين الراحل.

وحتى هذه اللحظة لم يحدث أى تغيير فى سياسة مصر.. حيث أنها مازالت تتخذ مواقف احادية الجانب فى الصراع الإسرائيلى الفلسطينى. وهذا هو أيضا موقف مصر فى كل ما يتصل بمطلب سوريا الخاص بالانسحاب الإسرائيلى من هضبة الجولان إلى حدود الرابع من يونيو ١٩٦٧ وعشية حرب الأيام الستة. وفى واقع الأمر نجد أن مصر تنحاز إلى الرئيس السورى، أيضا فى كل ما يتصل بنشاط المخربين فى جنوب لبنان الذين يزعجون اليهود على طول خط الحدود من كريات شمونا وحتى مشارف مدينة نهاريا الساحلية.

ومن الصعب اذن القول، أن زيارة الاسكندرية قد فتحت صفحة فى العلاقات بين إسرائيل ومصر. فقد رفض الرئيس مبارك أن يبدى أى بادرات طيبة نحو باراك بواسطة الافراج عن المواطن الإسرائيلى المسجون فى سجن مصر على الرغم من براءته.

وينتظر المسئولون فى القاهرة تنازلات إسرائيلية جوهرية، وبعد هذه التنازلات يمكن أن نتوقع بادرات طيبة معينة من الرئيس حسنى مبارك. ومن المحتمل أن يلبى دعوه ايهود باراك لزيارة القدس ردا على زيارة ايهود باراك للأسكندرية.

وتجدر الاشارة إلى أن المقربين من ايهود باراك قد اوضحوا له انه لا يجب ان يتوقع حدوث تحول فى موقف حسنى مبارك.

وعلى الرغم من ذلك قرر زيارة مصر من اجل خلق علاقة مباشرة مع الرئيس المصرى الذى يتزعم الآن أكبر دولة عربية فى المنطقة.

وبالفعل فقد نجح فى خلق مثل هذه العلاقة، ولكن فى المرحلة الأولى سيطلب من باراك أن يدفع فاتورة الضيافة. حيث طلب منه مضيفوه فى الاسكندرية بلهجة حاسمة أن يتخذ خطوات من شأنها أن تقنع المصريين بأن سياسة رئيس الوزراء الجديد تختلف عن سياسة نتنياهو. ولم يكشف باراك حتى الآن عن أوراقه على الرغم من أنه فى أحد اللقاءات التليفزيونية الإسرائيلية ألمح إلى أنه لم يعد يعترض على اقامة دولة فلسطينية ذات سيادة. ويقول أن الدولة قائمة بالفعل منذ عهد الحكومة السابق. ويذكر انه كرر نفس هذا الكلام فى لقائه الثانى مع ياسر عرفات. وبالاضافة إلى ذلك فإن باراك يفضل ان يدمج تنفيذ اتفاقيات واى بالمحادثات حول التسوية النهائية، ولكن عرفات سارع بالاعلان بأنه يجب تنفيذ الاتفاقيات قبل أى شئ.

وتجدر الاشارة إلى أن عرفات يتلقى توجيهات من الرئيس مبارك، وليس من المستبعد أن جزء من الكلام الذى سمعه باراك من الرئيس مبارك سمعه أيضا من ياسر عرفات الذى يتحدث بصعوبة بسبب الرعشة التى اصابت شفتيه.

وعلى ضوء ما ورد سلفا فإن محادثات الاسكندرية بين ايهود باراك وحسنى مبارك والمحادثات بين باراك وعرفات لا تنطوى على أى جديد. حيث أن كل شئ معروف مسبقا. فقد أكثر مضيفيه من طرح المطالب ولم يسمع رئيس الوزراء أى شئ عن استعدادهم لتقديم بادرات طيبة من أجل احراز تقدم نحو السلام المنشود. وقدم المصريون قائمة حساب تتضمن عدة مطالب ويجب على حكومة باراك أن تسدد هذه القائمة على وجه السرعة.

كذلك فإن التصريحات المتشددة التى أدلى بها وزير الخارجية المصرى عمرو موسى فى لقاء خاص مع صحيفة يديعوت احرونوت لا تنطوى على أى جديد. حيث أن النغمة هى نفس النغمة والأسلوب هو نفس الأسلوب تماما مثلما كان يحدث عندما كان بنيامين نتنياهو رئيسا لوزراء إسرائيل. والمطالب هى نفس المطالب، مثال وقف بناء المستوطنات على الفور، ووقف البناء فى جبل أبوغنيم ورأس العمود فى القدس، بالاضافة إلى الدعم الكامل لمطالب عرفات بشأن السيادة على القدس وأن تكون عاصمة فلسطينية. وهذا الكلام يتفق مع ما يقوله الرئيس مبارك ومع ما قاله لايهود باراك. ولكن هناك فرق فقط فى الصياغة.. ففى الوقت الذى نجد فيه أن صياغة أسلوب عمرو موسى يتسم بالغلظة الشديدة، فإن الرئيس مبارك يحرص على الحفاظ على الأسلوب الرئاسى

وهو يمتنع عن التطرف فى تصريحاته.
ومن المعروف أن ايهود باراك قد شعر بذلك. ومن ثم يجب عليه أن يعرف كيفية اجراء التقييم السياسى ليس اعتمادا على كلام مبارك المعتدل، ولكن اعتمادا على تصريحات وزير الخارجية المصرى على اعتبار أنها تعكس بصدق مواقف الرئيس مبارك.
وعلى ضوء ما ذكر سلفا، فان اللقاءات السريعة التى عقدها ايهود باراك فى الاسكندرية وعند ابواب غزة وكذلك لقاءه مع الملك عبدالله لن تؤدى على ما يبدو إلى فتح صفحة جديدة فى الساحة الشرق أوسطية إلا إذا كان ايهود باراك يرغب فى اعادة الكرة إلى الوراء - أى إلى حدود ما قبل عام ١٩٦٧، بما فى ذلك اعادة تقسيم القدس، وإذا كانت هذه هى سياسته، فإننا نقف بالفعل على عتبة عهد جديد.
وبنظرة إلى الأمام، نجد أننا نفضل العهد القديم على اعتبار انه يتفق مع الضرورات الحيوية لأمن إسرائيل وسلامتها. ونأمل أن يكون هذا أيضا رأى ايهود باراك.

ازالة البؤر الاستيطانية

هآرتس ١٢/٧/١٩٩٩
مقال افتتاحى

لقد تطرق رئيس الوزراء ايهود باراك ورئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات بعد لقائهما عند معبر ايريز إلى قضية المستوطنات الإسرائيلية فى المناطق على اعتبار انها تشكل إحدى القضايا المعقدة التى تواجه الطرفين قبل بدء المفاوضات حول التسوية الدائمة. وكما هو معروف فقد بذل باراك وعرفات جهودا كبيرة لازالة أى شكوك وعداوة ميزت العلاقات بين حكومة نتنياهو وبين زعامة السلطة الفلسطينية من أجل اعطاء فرصة جديدة للمفاوضات وبصورة موضوعية من أجل الاستمرار فى عملية السلام. ويمكن لباراك أن يساهم فى خلق جو من الثقة إذا توجه على وجه السرعة إلى معالجة وإزالة أحد الالغام الخطيرة التى وضعتها حكومة بنيامين نتنياهو فى طريقه.
وقبل حوالى عام، ومع عقد مؤتمر القمة مع الفلسطينيين فى واى قام المستوطنون ومن يؤيدوهم فى الحكومة السابقة - والذين توقعوا سلفا طبيعة الاتفاقية التى تتبلور فى الولايات المتحدة الأمريكية - بحملات كبيرة من أجل الاستيلاء على بعض الأراضى فى الضفة. ولم تتوقف احتجاجات الفلسطينيين وتحذيرات الحكومة الأمريكية والمجتمع الدولى وشكاوى كثير من الإسرائيليين. وعلى الرغم من ذلك لم تتوقف هذه الظاهرة بل أنها استمرت وتزايدت. وإذا كنا قد تحدثنا فى العام الماضى عن اقامة ست بؤر استيطانية من هذا القبيل، فإنه فى الاسبوع الماضى وصل عدد هذه البؤر إلى ٤٢ تضم مئات من الكرفانات.
وقد اقيمت هذه البؤر الاستيطانية بصورة واحدة، وهى أن يحدد المستوطنون إحدى المرتفعات التى تقع على مسافة محددة من مستوطنة قائمة، وفى معظم الاحيان فى المناطق التى توصف بانها اراضى دولة، وفى احيان أخرى داخل النطاق القضائى للمستوطنات والذى يعتبر أكثر اتساعا. وينقل المستوطنون الكرفانات إلى هذه البؤر الاستيطانية، وحتى لا تبدو السيطرة على النقطة الجديدة على أنها اقامة مستوطنة جديدة فإن البؤر الجديدة توصف بأنها نوع من التوسيع والاضافة لمستوطنة قائمة. وفى بعض الاحيان كان جيش الدفاع الإسرائيلى على علم مسبق بنية المستوطنين وفى احيان أخرى لم يكن الجيش على علم بذلك. وعلى أية حال، فإنه عندما كان الجيش يطلب من المستوطنين اخلاء البؤرة الجديدة، فإنهم كانوا يرفضون وكانت المرحلة الثانية تتمثل فى شق طريق إلى البورة الجديدة وإرسال بعض الاسر لتقيم فى الكرفانات. وفى هذه المرحلة كانت الحكومة وكان جيش الدفاع يخضعون بصفة عامة لمطالب المستوطنين، بل أن جيش الدفاع كان يوفر الحراسة ووسائل التأمين للبورة الجديدة، ووجد المستوطنون وسائل لتدبير الميزانيات اللازمة للبورة من الخزانة العامة.
وتجدر الاشارة إلى أن وزراء المفدال فى الحكومة السابقة وبعض العناصر الأخرى قد مارسوا ضغوطا حتى لا يتم اخلاء هذه البؤر الاستيطانية. وفى معظم الأحيان لم تكن هناك ضرورة لمثل هذه الضغوط، وقبيل الانتخابات كان رئيس الوزراء السابق بنيامين نتنياهو يرغب فى استرضاء المستوطنين ولم يجرؤ على المساس بهم. وأيد الوزير شارون المستوطنين وشجعهم. وعندما عين موشيه ارينز لمنصب وزير الدفاع حظى هؤلاء المستوطنين بمساعدات كبيرة..
ومن ثم فإن الشئ الذى بدأ كعملية فدائية غير مشروعة من الاستيلاء على الأراضى فى الضفة سرعان ما اصبح عمل من شأن الحكومة السابقة والتى شجعت فى واقع الأمر عملية الاستيلاء على الأراضى، ومن ثم كان لابد من حدوث مصادمات بين المستوطنين وبين الفلسطينيين وخاصة فى الحالات التى كان يستولى فيها المستوطنون على أراضى تقع فى نطاق الملكية الخاصة للفلسطينيين.
والآن وبعد تغيير السلطة، يجب وضع نهاية لهذه الظاهرة، وخاصة ونحن نعلم أن المستوطنين كانوا يحظون بمكانة خاصة فى عهد الحكومة السابقة من جميع النواحى. ولذلك فإن ازالة هذه البؤر الاستيطانية والتى ولدت عن طريق الخطأ، سوف يوضح للمستوطنين والفلسطينيين على حد السواء، أن حكومة باراك لا تنوى المضى فى طريق حكومة نتنياهو.

مكيدة أخرى ودونم آخر

هآرتس ١٢/٧/١٩٩٩
بقلم/ دانى روبينشتين

إن تصرفات حكومة إسرائيل (أى حكومة) فى قضية المستوطنات كانت متناقضة. فهذه الحكومات اعلنت غضبها على المستوطنين الذين اقاموا مستوطنات فى أماكن لم يتم التصديق عليها. ولكن هذه الحكومات ساعدت المستوطنين على مخالفة القانون ووفرت لهم الحماية ومنحتهم الوسائل والأموال. وبعد ذلك طلبت منهم هذه الحكومات اخلاء البؤر الاستيطانية التى استولوا عليها بدون موافقة. وفى بعض الأحيان تم اخلاء هؤلاء المستوطنين بالقوة، ولكن هذه الحكومات اخذت تبحث فى نفس الوقت عن حلول تنطوى على خضوع محترم لمطالبهم.

ومنذ اليوم الذى وصل فيه الحاخام ليفنجر إلى الخليل قبل أكثر من ٣٠ عاما وأدعى ان كل ما يرغب فيه هو اقامة احتفال ليلة عيد الفصح فى مدينة الاجداد، أصبح النشاط الاستيطانى مليئا بالحيل والخدع والتضليل. وكذلك فإن العملية التى أدت إلى اقامة كريات أربع قد بدأت بقرارحكومى بشأن اقامة مدرسة دينية فى المدينة. وأما مستوطنة معلية أدوميم فقد بدأت بقرار اقامة منطقة صناعية هناك. وأما عفرا فقد اقيمت كمعسكر للعاملين فى أحدى المنشآت العسكرية. ولم توصف البؤر الاستيطانية فى يهودا والسامرا كمستوطنات ولكن كمدارس ميدانية. واما مستوطنة شيلا فقد كانت فى بداية الأمر مجرد معسكر لوفد أثرى.

وهذا الاسلوب يميز حكومة مناحم بيجين بالذات، وبعد أن استوطنت نواة من جوش ايمونيم على مقربة من اطلال شيلا القديمة متنكرين كوفد اثرى، ظهر فى الصورة فى ذلك الوقت سكرتير الحكومة ارييه نائور الذى أعلن فى التليفزيون انه ليست هناك مستوطنة على الاطلاق. وسأله المراسل ماهى نوعية المعسكر الاثرى ورد عليه نائور قائلا. "سوف تفتح فى المعسكر عيادة ولن يفتتح هناك بنك بطبيعة الحال". وقد اثار رده عاصفة من الضحك. ولكن الوحيدين الذين لم يضحكوا على هذا الرد هم المستوطنون المتطرفون انفسهم الذين لم يهمهم منذ ذلك الحين وحتى الآن ما هو الوصف الذى يطلقوه عليهم، ولكن كل الذى يهمهم هو أن يمكنوهم من الاستيطان ويحولوا إليهم اموال الجماهير حتى يتمكنوا من فرض آمالهم وطموحاتهم على الدولة.

وقد اتبعت الحكومات التالية حيلاً أخرى، فقد قالت هذه الحكومات على سبيل المثال أن عمليات البناء الجديدة ستكون فى منطقة القدس فحسب، أو فى القدس الكبرى، وقد اقام الوزير شارون مستوطنات جديدة تحت ستار الأحياء الجديدة التابعة للمستوطنات القديمة. وفى هذا النطاق تم اقامة عدة مستوطنات مثل طالمون "أ" وطالمون "ب" وطالمون "جـ" وهكذا دواليك. وتحدثوا دائما قائلين أنه ليس المقصود اقامة مستوطنة جديدة ولكن تنفيذ قرارات قديمة ومصادرة اراضى بناء على موافقة صدرت قبل ٢٠ عاما أو تنفيذ لقرار اللجان الوزارية منذ عهد جولدا مائير وموشيه ديان.

وأما الحيلة الماكرة التى اتبعتها حكومة بنيامين نتنياهو فقد أطلق عليها اسم "الزيادة الطبيعية".. حيث كان نتنياهو يسألك ماذا نفعل؟ المستوطنون يلدون اطفالا والمستوطنة تزداد حجما بطبعها وبدون تدخل من الحكومة. وفى الفترة الانتقالية بين حكومة نتنياهو وحكومة باراك ولدت ٤٢ بؤرة استيطانية جديدة فوق التلال فى يهودا والسامرا تضم المئات من الكرفانات. والآن يدعى المستوطنون ومؤيدوهم أن الاتفاق الائتلافى ينص على أنه لا يجب المساس بالمستوطنات القائمة، وعلى هذا الأساس لم تتم ازالة البؤر الاستيطانية بل سيتم تطويرها وتوسيعها. ومن المعروف أن ملايين الشيكلات التى استثمرت فى بناء البؤر الاستيطانية غير المشروعة قد جاءت من ميزانية الدولة.

والسؤال الآن هو: لمن وجهوا هذه الحيل وهذا الخداع؟ ومن هم الذين حاولوا ان يضللوهم؟ الرد هو لقد حاولوا خداع وتضليل الأمريكيين والمجتمع الدولى وكذلك الاغلبية فى إسرائيل الذين يعترضون على ذلك.. ولكن يبدو أن كل هذه الحيل لم تكن إلا خداعاً ذاتياً.

ومن الواضح، أنه كانت هناك علامات ودلائل على ضعف حكومات إسرائيل التى شعرت بالخوف من المستوطنين ومؤيديهم واضطرت إلى اصدار قرارات تنم عن الخضوع والخنوع.. ويمكن القول أن حكومة رابين شعرت بالخوف من المستوطنين ولم تتمكن حتى من اخلاء مؤيدى باروخ جولدشتين من الخليل العربية بعد مذبحة مغارة المكبيلا (الحرم الابراهيمى) وأما حكومة نتنياهو فقد خضعت لهم ولم تنفذ ما وعدت به فى اتفاقيات واى ريفر. والآن يحاول المستوطنون بمساعدة المفدال وناتان شرانسكى اثارة الخوف فى نفوس حكومة باراك.

مقياس السلام - شهر يونيو ١٩٩٩

هآرتس
٦-٧-١٩٩٩
افرايم يعر وتمر هيرمان

تركز مقياس السلام الخاص بشهر يونيو على موضوعين رئيسيين ، فتمثل الموضوع الاول في طبيعة العلاقات مع سوريا على ضوء الأحداث التي تشهدها المنطقة الشمالية وترقب استئناف مسيرة السلام .أما الموضوع الثاني فقد تمثل في مفاوضات تشكيل الحكومة .

وفيما يتعلق باستئناف الاتصالات مع السوريين فقد تبين لنا أن نسبة من يعارضون الانسحاب الشامل من الجولان في مقابل التوصل إلى اتفاق سلام مازالت تقدر بضعف من يوافقون على فكرة الانسحاب هذا بالرغم من تلك الاشارات الايجابية القادمة من دمشق ناهيك عن أن الغالبية تؤمن أنه إذا لم يتم التوقيع على اتفاق سلام إن آجلا أو عاجلا فمن الوارد أن تنشب حرب مع سوريا . وعلاوة على هذا فقد اتضح أن الغالبية تعارض فكرة إنسحاب إسرائيل من طرف واحد من لبنان .

أما موضوع المفاوضات الائتلافية الرامية إلى تشكيل الحكومة فمن الواضح أن السلام لا يعد بمثابة الاشكالية الرئيسية التي تلعب دورا جوهريا في تحديد موقف الشعب تجاه الحكومة القادمة .ويعد خير دليل على هذا الأمر أن الأحزاب التي تحظى بتأييد ضخم تتبنى رؤى شديدة التباين تجاه مستقبل المسيرة فتختلف رؤى حزبي ميرتس والوسط تجاه المسيرة عن رؤى حزبي الليكود والمفدال . وفي المقابل فيتزايد الاحساس بالتحفظ إزاء ضم الأحزاب الحريدية التي تعد أحزابا يمينية إلى الحكومة ، ويصل هذا الاحساس بالتحفظ إلى القمة في كل ما يتعلق بضم الأحزاب العربية إلى الحكومة خاصة أن هذه الأحزاب تؤيد المسيرة دون أي تحفظ .

وكانت وسائل الاعلام قد نشرت خلال الأسابيع الماضية عدة تقارير عن إمكانية استئناف المفاوضات مع سوريا ، وترحيب الرئيس السوري حافظ الأسد برئيس الوزراء المنتخب ايهود باراك .وعند التساؤل عما إذا كانت هذه التقارير قد لعبت دورر في ازدياد قبول الشارع الاسرائيلي لفكرة تقديم تنازلات اقليمية في الجولان فقد كشفت استطلاعات الرأى أنه لم تطرأ أية تحولات حقيقية في هذا المجال وأن تباين المواقف حاليا بشأن هذه القضية لا يختلف كثيرا عما كان عليه فيما مضى ، فمازالت الغالبية تعارض الانسحاب الشامل في مقابل التوقيع على اتفاق سلام مع سوريا فبينما أعرب نصف من شملهم الاستطلاع عن معارضته للانسحاب فقد أعرب الربع فقط عن تأييده في حين أنه لم تكن لى الربع الآخر أية رؤى محددة المعالم .

ويمكننا أن نجد تفسيرا جزئيا لشيوع ظاهرة معارضة الانسحاب في ذلك التفسير الذي يطرحه الشارع الاسرائيلي لإشارات الترحيب تلك القادمة من دمشق ، فحينما وجهنا إلى من شملهم الاستطلاع السؤال التالي " أثنى الرئيس السوري حافظ الآسد خلال حديثه آمام الصحفيين على رئيس الوزراء المنتخب ايهود بارك فهل تعتقد أن هذا الحديث ينطوي على إشارة مفادها أنه معني في الحقيقة باستئناف مفاوضات السلام مع إسرائيل أم أن هذا الحديث لا يعدو كونه حديثا عاما "فقد اتضح أن ٥٢ %يعتقدون أن هذا الحديث لايعدو كونه خطوة إعلامية في حين أن ٤٠ %رأوا أن هذا الحديث يعبر عن نوايا حقيقية .ومع هذا وكما أشرنا فإن ربع من شملتهم العينة فقط يؤيدون الانسحاب الشامل آي أنه لايوافق كل المؤمنين بصدق أقوال اسد على الانسحاب الشامل من هضبة الجولان .وعلاوة على هذا فبالرغم من أن ٧٠ %ممن شملهم الاستطلاع أعربوا عن أنهم يرون بعين الاهتمام مخاطبة الرئيس السورى الأسد الشعب الاسرائيلي مباشرة بشأن السلام فقد ذكر ما يربو على النصف آي ٥٧ %أنهم لن يغيروا موقفهم بشان قضية التنازلات الاقليمية .وفي المقابل فقد رأى ٣٧ %ممن شملهم الاستطلاع أنه من الوارد أن يؤثر توجه الأسد على مواقفهم ، ومع هذا فلم يكن للبقية المتبقية موقف واضح .

وقد تكمن أحد أسباب التشكك في الموقف السوري في عمليات القصف الضخمة التي شنها حزب الله مؤخرا على المستوطنات الشمالية ، تلك العمليات التي تزامن حدوثها مع تلك الاشارات الايجابية القادمة من دمشق .وعند سؤال الجمهور عما إذا كان يؤمن أن سوريا تبتغي حقا السلام فقد اتضح من الاجابات أن ١٩ %ممن شملهم الاستطلاع يرون أن السوريين لايبتغون السلام وأنهم يتحينون الفرصة المناسبة لمهاجمة إسرائيل ، وفي المقابل

فيرى ١١ %فقط أن السوريين معنيون حقا بتحقيق سلام حقيقي مع إسرائيل .أما الغالبية والتي يمثلها الثلث فترى أن السوريين يبتغون التوصل إلى سلام بارد فقط مع إسرائيل .وقد تبين لنا وكما هو متوقع أنه توجد علاقة وثيقة بين نوايا السوريين وبين مدى الاستعداد للانسحاب ، فيؤيد ٤٥ %ممن يعتقدون أن سوريا معنية حقا بالتوصل إلى سلام حقيقي الانسحاب الشامل ، وفي المقابل فتقدر نسبة المعارضين ب ٣٢ ٪. أما من يعتقدون أن سوريا تبتغي التوصل إلى سلام بارد فقط فإن نسبة من يؤيدون منهم الانسحاب تقدرب ٢٧ %في حين أن نسبة المعارضين تقدر ب ٤٤ . %وفيما يتعلق بمن يعتقدون أن سوريا لاتبتغي السلام فإن نسبة معارضي الانسحاب تقدر ب ٨٢ %في حين أن نسبة مؤيدي الانسحاب لا تتعدى ٩ %
وإذ يتساءل المرء هل يعني هذا الوضع أن الجمهورر لايولي قدرا كبيرا من الاهتمام إلى استئناف المفاوضات مع سورريا خاصة في ظل هذه الفترة التي يتردد فيها إدعاء مفاده أنه ليس بوسع إسرائيل تحمل عبء إجراء المفاوضات مع الفلسطينيين والسوريين في ذات الحين فيجب أن نعلم أنه قد اتضح أن الشارع الاسرائيلي لايفضل مسارا على مسار آخر فبينما يرى ١٧ %أنه من الأحرى التركيز في البداية على المفاوضات مع الفلسطينيين والالتفات فيما بعد إلى المفاوضات مع السوريين فإن ١٤% من الجمهور يعتقد أنه من الواجب التركيز في البداية على المفاوضات مع السوريين والالتفات فيما بعد إلى الفلسطينيين ، ومع هذا فيرى ٦٠ %من الجمهور أنه من الواجب إجراء المفاوضات على المسارين السوري والفلسطيني على نحو متواز .وفي المقابل فيرى ٩ %أنه من الواجب ألا يتم إجراء المفاوضات إطلاقا. وعند تقسيم هذه المجموعة على ضوء اتجاهات التصويت في انتخابات رئاسة الوزراء نجد أن ٢ %ممن صوتوا لايهود باراك يتبنون هذه الرؤية في حين أن ١٨ %ممن صوتوا لبنيامين نتنياهو يتبنون هذا التصور .وتوضح هذه النتيجة أن الشارع الاسرائيلي لا يسلم بهذا الادعاء الذي مفاده أنه قد يكون من المنهك للغاية إجراء المفاوضات على المسارين السوري والفلسطيني في ذات الحين ، وأن قطاعا عريضا من الشارع يؤيد استئناف المفاوضات مع سوريا رغم التشكك في حقيقة النوايا السورية .
وقد اشرنا خلال استطلاع الشهر الماضي إلى أن الشارع الاسرائيلي يفضل إقامة حكومة وحدة وطنية إذ إنه بمقدور هذه الحكومة رغم إمكانية عرقلتها لمسيرة السلام دفع عجلة تحقيق الوفاق في صفوف الشعب عن إقامة حكومة يسارية قد تنجح في دفع المسيرة السياسية فقط دون التمكن من تحقيق الوفاق .وقد بحثنا في إطار الاستطلاع الحالي وعلى نحو أكثر تحديدا المكانة الشعبية للأحزاب المختلفة كشركاء في الحكومة الائتلافية .وقد وجهنا إلى العينة التي شملها الاستطلاع سؤالا كان نصه التالي " :أية أحزاب كنت تتمنى مشاركتها في حكوة برئاسة باراك وأية أحزاب تتمنى ألا تشارك في هذه الحكومة ؟ "وقد اتضح من خلال الاجابات أن بعض الأحزاب تحظى بالأفضلية دون غيرها فقد أتى في المرتبة الأولى كل من "ميرتس "و " الليكود "إذ أعرب ٢٦ %ممن شملتهم العينة عن تفضيلهما لهذين الحزبين ، وشغل المرتبة الثانية حزبا " الوسط "و "المفدال "إذ حظى كل منهما بتأييد ١٧٪. وفيما يتعلق بالأحزاب العربية كأحزاب شريكة في الائتلاف فقد أعرب ٤ %عن رغبتهم في مشاركة هذه الأحزاب في الائتلاف في حين أن نسبة معارضة مشاركتها قدرت ب ٣٧ . %ولم تشغل المرتبة الدنيا سوى الأحزاب الحريدية فأعرب ١٣ %فقط عن تأييدهم لانضمام حزب "يهودت هتوراه "للحكومة ، و ١ %فقط لانضمام حزب شاس .
وعلى ضوء هذه النتائج يمكننا أن نتبين أن قضية السلام تعد قضية ثانوية في سلم أولويات الشارع الاسرائيلي مقارنة بالقضايا الداخلية خاصة أن أكثر الأحزاب تمتعا بتأييد الجمهور تنتمي إلى معسكرى "الحمائم "و " الصقور" .وتتماشى هذه النتائج مع تلك النزعة السائدة في إسرائيل التي أشرنا إليها فيما مضى والتي ترى أن النزاع الاسرائيلي - العربي يعد أقل حساسية من تلك الخلافات الداخلية القائمة على سبيل المثال بين المتدينين والعلمانيين .

---

*تتكون مقياس السلام العام الخاص بهذا الشهر من ٦٥ نقطة ، واشتمل مقياس اوسلو على ٥٢,١ نقطة ، ومقياس سوريا على ٤٢,٨نقطة .

يجرى مشروع مقياس السلام في مركز "تامي شتاينماتس "لبحوث السلام جامعة تل أبيب وبرئاسة الروفيسور افرايم يعر ودكتور تمر هيرمان .وينفذه " تيلسيكر" .شملت عينة شهر يونيو ٥٠٥ فردا .

٣ جـدل التـسويـة والتطبـيع

هل تزداد حرارة العلاقات مع مصر ؟

هآرتس ١٨ / ٦ / ١٩٩٩
بقلم/ الوف بن

وصلت دعوة غير عادية هى الأولى من نوعها إلى قرينة سفير إسرائيل بالقاهرة، تسيفى مزئيل - فقد دعتها سيدة مصر الأولى - سوزان مبارك، لحفل شاى اقامته لقرينات السفراء الاجانب فى العاصمة المصرية. بالنسبة للإسرائيليين الذين اعتادوا على رؤية قرينة السفير المصرى نجوى بسيونى فى أى حدث اجتماعى، كان من الصعب أن يتفاعلوا مع هذه اللفتة، ولكن فى الحوار الحساس بين القدس والقاهرة، كان حفل الشاى اشارة دبلوماسية هامة، والتى اعطت المصريين نقطة لصالحهم فى نظر واشنطن، بل أن دبلوماسيا أمريكيا كبيراً قد اشتكى هذا الاسبوع من أن إسرائيل لم ترد بالحماس المناسب على هذه اللفتة المصرية، لقد جاءت الدعوة لزوجة السفير، والتى استمتعت بالحفل اللطيف، ضمن الرسائل الايجابية التى انطلقت من القاهرة فى الاسابيع الأخيرة. فقد أصبح مسئولو الخارجية المصرية أكثر انفتاحا للحوار مع الدبلوماسيين الإسرائيليين، وعرضوا عليهم تعزيز الحوار السياسى مع الخارجية الإسرائيلية، وهى الفكرة التى سبق ورفضها المصريون. فقد ألمحت القاهرة إلى أنها ستعمل على تأجيل الاجتماع التمهيدى للدول الموقعة على معاهدة جنيف، والذى كان سيدين إسرائيل بسبب المستوطنات، وتحدد له ١٥ يوليو.

بل إن القدس رصدت أيضا تراجعا فى حدة النغمة الإعلامية المصرية والتى تعتبر رائدة العداء ضد إسرائيل. وخلفية هذه المرونة المصرية واضحة ونعنى نتائج الانتخابات فى إسرائيل وزيارة مبارك المرتقبة لواشنطن. لقد أدى وصول ايهود باراك للحكم إلى ظهور توقعات كبيرة فى القاهرة بعد ثلاثة أعوام من العداء وجمود العلاقات مع بنيامين نتنياهو. وقد جاء فى تقارير السفارة الإسرائيلية بالقاهرة أن هناك تفاؤلا حذرا، وأملاً فى حدوث تغيير فى المناخ السياسى، والعودة إلى عهد رابين وبيريز.

وقد صرح مصدر بوزارة الخارجية بأن الشعب المصرى معجبا بباراك.

فمصر تريد أن تلعب دورا مؤثرا فى عملية السلام التى سيتم استئنافها، وهى تدرك بأن عليها ان تشترى التذكرة اللازمة لذلك من إسرائيل. ويقول مسئولون إسرائيليون أن المسافة لاتزال بعيدة إلى أن يحدث التغيير الفعلى فى العلاقات، وبخاصة إلى أن يشعر الجمهور الإسرائيلى بالتغيير. فالقيود والعقبات البيروقراطية التى تضعها مصر أمام التجارة والعلاقات مع إسرائيل لاتزال قائمة فى مجالات كثيرة، وذكرى اعتقال زوجة رجل الأعمال ديبورا جنانى (والتى أفرج عنها بعد تدخل باراك)، وفوق هذا كله قضية عزام عزام المسجون فى مصر : كل هذه الأمور تثقل على السلام ولا تكفى اللفتات الدبلوماسية لتغييرها. ولاتزال التصريحات العلنية التى تصدر عن القاهرة رصينة. فالرئيس مبارك ووزير الخارجية عمرو موسى، اللذان قاما بتحرك دبلوماسى فى العالم العربى بعد الانتخابات، يدعوان إلى الانتظار حتى يشكل باراك حكومته. وقد طالباه بتنفيذ اتفاق واى بلا مناورات، وأكدا على الصيغ المعروفة الداعية إلى الانسحاب من جميع الأراضى (أى الجولان وجنوب لبنان) وإزالة الأسلحة النووية الإسرائيلية.

وإلى جانب الأمل فى التغيير، يلوح مبارك وموسى بعصا مؤتمر القمة العربى، أو قمة مصغرة تضم زعماء دول الطوق، وهى امور تخلق بطبيعتها مواقف عربية متعنتة.

هذا الاسبوع قال رئيس المخابرات العسكرية، اللواء عاموس ملخا أن القاهرة أطلقت فى الاسابيع الاخيرة تصريحات أكثر اعتدالا عن إسرائيل بدلا من التصريحات العنيفة التى كانت تطلقها ضدها فى السنتين الأخيرتين.

وقال (من المتوقع أن تقوم مصر بعدة مبادرات لاستئناف المسيرة السياسية، طبعا على المسار الفلسطينى وكذلك

المسار السورى، ولكن ليس من المعتقد أن يتحول السلام البارد إلى سلام ساخن خلال ستة شهور. سيظل سلاما باردا ولكن مستقراً). لقد كانت فترة نتنياهو من أكثر الفترات العصيبة التى شهدتها العلاقات مع مصر. فقد اتهمه الرئيس مبارك بالكذب والنكوص عن الوعود التى أطلقها بدفع عملية السلام. ولكن من وراء واجهة العداء، تحققت طفرة صامتة بين الدولتين فى مجال يهمهما، أى مكافحة الارهاب. من لحظة أن قرروا فى القاهرة - بعد الانتخابات السابقة - أن المصلحة المصرية تقتضى ذلك، انفتح الطريق أمام علاقات لم يسبق لها مثيل فى الماضى، بغض النظر عن شخصية رئيس الوزراء الحاكم فى القدس.
يعتبر عمر سليمان رئيس المخابرات المصرية هو الشخصية الرئيسية فى هذه العلاقات الخاصة، والذى انطلق من عالم الظل. فالقناة التى يشغلها اتاحت اجراء اتصالات بين الحكومات، بدون الزام مصر بتقديم مبادرات علنية. وقد سبق أن قام سليمان بزيارة لإسرائيل منذ عدة شهور بدون الاعلان عنها. وقد تولى الاتصالات من جانب إسرائيل دانى ياتوم، والذى اصبح رئيسا لفريق عمل ايهود باراك.
ومن المتوقع أن تستأنف الاتصالات الشخصية قريبا بين الجانبين، وستصبح قناة هامة لعلاقات حكومة باراك مع القاهرة. وكان هناك مبعوث آخر لنتنياهو للقاهرة بعد استقالة ياتوم، وهو مدير عام صندوق المرضى مكابى، شبتاى شبيت، رئيس الموساد السابق.
وقد أكد رئيس المخابرات العسكرية هذا الأسبوع بأن مصر متمسكة بقرارها الاستراتيجي بالسلام، ولن تبحث عن مواجهة مع إسرائيل، ولكنها ستظل تنظر اليها على أنها تنافسها فى الهيمنة على المنطقة. هناك أيضا من يتذكرون، أنه فى عهد رابين وبيريز، عملت مصر على مواجهة مارأته من غزو اقتصادى اسرائيلى للعالم العربى وشنت حملة ضغوط ضد القدرة النووية الإسرائيلية. والنتيجة المطلوبة هى أنه فى عهد باراك أيضا ستتطلب العلاقات مع مصر اهتماما حساساً.

منظر من فوق الجسر

معاريف ٥/٧/١٩٩٩
بقلم/ اورى افنيرى

لقد ألقيت محاضرة هذا الاسبوع فى القاهرة أمام مجموعة من المسئولين المصريين الذين احيلوا إلى المعاش و ذكرت فكرة إيهود باراك بشأن اقامة كوبرى علوى بين غزة والخليل ولدهشتى انفجر الحاضرون فى الضحك وقالوا أن حسنى مبارك اشتكى اثناء مفاوضات السلام المصرية الإسرائيلية من أن إسرائيل تفصل بين جزئى العالم العربى. ففى ذلك الحين طرحت فكرة اقامة كوبرى علوى فى منطقة ايلات بين مصر والأردن وذلك حتى يستطيع المسافر العربى أن ينتقل بسيارته من الدار البيضاء إلى بغداد بدون الخروج من المنطقة العربية. وهنا سأل مبارك "ماذا سيحدث إذا اراد المسافر التبول؟ أنه إذا تبول من فوق الجسر داخل إسرائيل فسوف تحدث مشكلة دبلوماسية".
وهنا ضحك الحاضرون.. أن ايهود باراك يثير فضولاً شديداً فى القاهرة مثلما هو الحال فى جميع انحاء العالم العربى. وقد غمرنى الحاضرون وهم ضباط جيش وسفراء ومسئولون كبار بالأسئلة بشأن الرجل وطبائعه وصفاته وأجبتهم جميعا قائلا أن ايهود باراك رجل جاد وهو أكثر ثقافة مقارنة بباقى جنرالات الجيش لدينا. وهو ضليع فى التاريخ وهو رجل متزن. وتبلور اسلوب فكره فى الجيش. وهو جيد الاستماع إلى الغير ويدرس الأمور، وفى نهاية الأمر يحدد الاستراتيجية، وعندما يضع الاستراتيجية يتمسك بها بدون أى انحراف وبهذه الطريقة نجده قد حقق كل ما يصبو إليه حتى الآن.
وأضفت أن باراك يرغب فى التوصل إلى تسوية مع الفلسطينيين والسوريين واللبنانيين، وليس هناك أى وجه للشبه بينه وبين بنيامين نتنياهو.. حيث أن نتنياهو رجل يتحدث بلغة القوة ومتشدد فى نظريته البرجماتية. ولم يكن نتنياهو يرغب فى بداية الأمر فى أى نوع من السلام لأنه لم يكن على استعداد لاعادة ولو متر مربع واحد من الأرض. وهو ابن مخلص لأجداده وهو من أكثر المتشددين، بل والمتطرفين فى إسرائيل.
وأما باراك فإن التسوية تبدو أمام عينيه بكل تفاصيلها. فهو على استعداد للاعتراف بالدولة الفلسطينية فى معظم مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة مع وجود اتصال مباشر بينهما فى صورة ذلك الكوبرى العلوى على سبيل المثال. وهو يريد ان يقتطع من الضفة ثلاث كتل استيطانية يتركز فيها معظم المستوطنين ولا تتركز فيها معظم المستوطنات.
وهو على استعداد للمساومة حول حجم هذه الكتل الاستيطانية. وسوف تشمل هذه الكتل مساحة تتراوح ما بين ١٠ - ٢٠٪ من مساحة الضفة. ولن يصر باراك على ضم وادى الأردن ولكنه سيرغب فى الحفاظ هناك على أى تواجد عسكرى.
وفيما يتصل بالقدس، سوف يتوصل إلى حل وسط جديد.. ولن يرغب فى الاخلال بالتزامه بعدم تقسيم القدس التى ضمتها إسرائيل إليها. ولكن إذا تجاهلنا الحدود والبلدية التى وضعت بصورة استبدادية عند الضم وعدنا إلى حدود

محافظة القدس التى كانت فى عهد الانتداب والتى يتمسك بها الفلسطينيون أيضا، فانه فى هذه الحالة يمكن تقسيم المنطقة كلها من جديد بالطريقة التى تساعد على اقامة عاصمة إسرائيلية وعاصمة فلسطينية كل منهما إلى جانب الأخرى. وسوف تضم معالية ادوميم إلى إسرائيل وبيت المقدس سيضم بالفعل إلى المناطق الفلسطينية مع خلق امتداد أو تواصل اقليمى بواسطة دهليز أو كوبرى علوى آخر.

وأما فى الشمال فإن باراك على استعداد للانسحاب من هضبة الجولان إلى حدود الرابع من يونيو ١٩٦٧، ولكن بدون أن تمكين سوريا من الوصول بالفعل إلى حافة بحيرة طبرية. وسوف تكون هناك مساومة شديدة حول المياه.. وفيما يتصل بلبنان فإن جيش الدفاع يمكن أن ينسحب فى نهاية الأمر من لبنان.

وسوف يستخدم بارك فى المفاوضات نفس الوسائل التى نجحت فى المفاوضات حول تشكيل الائتلاف.. حيث سيجعل الفلسطينيين والسوريين يناورون بعضهم البعض، مثلما استخدم الليكود لخفض سعر شاس والعكس. وسوف يدير كل شئ وحده بواسطة المقربين منه من قادة الجيش ولن يكون هناك تواجد لأى وزير أو سياسى. وسوف تقبل جميع احزاب الائتلاف هذه النتائج لأن خطة باراك تحظى بإجماع واسع للغاية. وحتى المستوطنين يفهمون انهم يجب أن يضحوا بعشرات من المستوطنات المنفردة من أجل الحفاظ على الكتل الاستيطانية الكبيرة، أى على استعداد لقطع بعض الأطراف من أجل الحفاظ على الجسد.

وأضفت بالطبع أننى غير شريك فى هذا الاجماع.. حيث أن هذه تسوية عظيمة تساعد على حل الكثير من المشاكل ولكن تنقصها روح السلام بين الشعوب.. سلام الأجيال الذى يستوجب العودة إلى الخط الاخضر وإزالة جميع المستوطنات وتحويل القدس إلى عاصمة للدولتين.. وهذا فقط يضمن السلام الحقيقى الذى يستمر لوقت طويل.

الضربة الحادية عشرة

يديعوت احرونوت
١٩٩٩/٧/١١
بقلم/ ايتان هابر

حتى اليوم، بعد عشرين عاما، أتذكر تلك اللحظات المؤثرة، فقد وقعت ثلاث أو أربع حروب وسقط آلاف القتلى، وعشرات الآلاف من الجرحى، للأسف الشديد؛ من أجل الوصول إلى تلك اللحظة الرائعة: لحظة وصول أول إسرائيليين إلى القاهرة.

ثم نقلنا بأتوبيس من المطار إلى داخل القاهرة وكنا نبتلع بأنظارنا كل منزل وكل شارع وكل شخص، وكأن هذه الفرصة لن تتكرر ابدا. الآلاف، بل عشرات الآلاف احتشدوا فى الشوارع، وكان الكثيرون منهم يصفقون كلما مر الاتوبيس امامهم. وازدادت حدة التأثر، وآنذاك، وربما فى محاولة للتغلب عليها، قلت بصوت مرتفع، بل صرخت (انهم يصفقون، لأنهم يعتقدون أننا أسرى). وانطلق ركاب الاتوبيس، وجميعهم صحفيون فى الضحك.

وتذكرت هذه الواقعة التاريخية، ولكن بدون أهمية، فى نهاية الاسبوع، عندما تكررت نفس المشاهد - الفرقة الموسيقية العسكرية التى تعزف سلام إسرائيل الوطنى (هتكفا)، وحرس الشرف ورئيس الوزراء والوزراء، ورئيس الحكومة باراك يسير وسطهم. نحن نعيش عقدة يهودية معروفة وبخاصة فى اتجاه اليسار فى إسرائيل، ودائما نتهم انفسنا. نحن مذنبون ومتهمون بالسلام البارد مع مصر. نحن مذنبون بالجمود فى العلاقات مع الفلسطينيين.

لسنا معفيين من العبث فى كلامنا وأعمالنا فيما يتعلق بعملية السلام مع الدول العربية، ولكن هذا لا يعنى ان كل عبء الذنب يجب أن يقع على كاهل إسرائيل. بينى وبينكم، وبدون أن يسمع احد، فإن المصريين والفلسطينيين ايضا.. (اننى ابحث فى قاموسى الخاص عن لفظ مهذب. سوف أعود للموضوع).

ليس لدى فكرة أو أدنى فكرة عما قاله باراك لمبارك فى اللقاء المنفرد. اتمنى ان يكون قد توسع جدا فى موضوع كان قد ذكره فى جملة واحدة اثناء خطابه وقت تقديم حكومته للكنيست فى الاسبوع الماضى وهى - تعليم السلام للشعب المصرى والشعب الفلسطينى. اننى اتمنى ايضا أن يكون هذا البند الهام محورا فى اطار المفاوضات مع الرئيس حافظ الأسد. فماذا فعل لنا السلام إذا كانوا ينظرون الينا نحن الإسرائيليين فى شوارع مصر الجديدة والمعادى نظرة سيئة، ويرسمون عنا رسوم كاريكاتورية مسمومه، ويكتبون عنا مقالات شيطانية، ويتهمون منا واحداً على الاقل بالتجسس وهو البرئ ويرمونه فى السجن لسنوات طويلة، ويتعاملون بشراسة مع الإسرائيليين عند المعابر الحدودية، ويمزقون صورة من يجدون معه طلقة رصاص نساها فى حقيبة سيارته أثناء اداء خدمة الاحتياط؟ ماذا يفيدنا هذا السلام إذا كانوا فى المدارس المصرية مازالوا يدرسوننا على اننا الكفار وحلفاء الشيطان، وإذا كان هناك اصحاب حوانيت يرفضون أن يبيعوا منتجاتهم للإسرائيليين وفنادق ترفض استقبالهم؟ نفس الكلام ينطبق على الفلسطينيين - الذين يدرسون نفس الكلام من أول عام دراسى إلى آخر عام دراسى. عندهم بالذات، وهم الذين درسونا وعرفونا من الداخل، حدث تقدم وتحسين فى المناخ. ولكن الطريق لا يزال طويلا، والمهمة لا تزال ثقيلة. كذلك كتبهم الدراسية مازالت بعيدة عن أن

تكون ودودة.
دائما قالوا فى القاهرة: دعوا الوقت يلعب دوره. من غير الممكن أن نمحو اجيال من العداء بمجرد التوقيع على اتفاق سلام. اعطونا عدة سنوات. حسنا. اعطيناهم عشرين عاما وأكثر. والآن؟
قريبا تحتفل مصر بعيد الثورة. هل سيكون من المبالغ فيه ان نقترح على الرئيس مبارك أن يتضمن خطابه للأمة جملة واحدة، أو عدة كلمات لصالح السلام، وكلمة أو كلمتين لمواطنيه بأننا لسنا مرعبين جدا بالصورة التى يصفوننا بها؟ ونحن لسنا ابرياء. بل لدينا أيضا ما يجب ان نصلحه.
ربما ينهضون هناك وهنا ويهتمون بهذا التعليم الهام.

ثرثرة سلام على النيل

هآرتس ٩/٧/١٩٩٩
بقلم/ تسيفى برئيل

بقامته الضخمة نهض الأديب على سالم، ومد يديه إلى الجانبين وقال هل ترى، أنا لست وحدى. أنا موجود فى البيئة الطبيعية التى اريدها. بيئة محبى السلام. انظر إلى عدد المصريين الذين انضموا إلى، وانظر إلى الأردنيين والفلسطينيين جميعهم. لقد نهضت حركة حقيقية للسلام يريد على سالم آن يرى فى اجتماع السلام الذى عقد بالقاهرة هذا الاسبوع دليلا على صحة طريقة وتعويض مناسب عن المعاناة الشخصية التى لاقاها بعد ان كان اول اديب مصرى يزور البلد المحظور، إسرائيل. كان الاستهزاء والنقد الشديد والتهديدات قد اضطرته إلى التحرك بحرس خاص وفرته له الحكومة المصرية، وذلك نتيجة الزيارة اياها حيث أعتبر خائنا. وقد تم استبعاده من أى منصب، ولم يعد يظهر فى المحافل العامة، وقاطعته نقابة الكتاب ووجد نفسه بلا مصدر رزق. بالنسبة له كان مؤتمر السلام فعلا مصدرا للراحة حيث سيعود إلى الحياة الحقيقية خارج اسوار فندق ماريوت على ضفاف النيل بعد انتهاء المؤتمر. العودة إلى الركن الدائم فى الفندق الصغير حيث يجلس مع اصدقائه، وإلى انتقاد الكتاب والفنانين الرسميين، اولئك المثقفون انصار النظام الذين اخذوا على عاتقهم دور حراس االوطن، والمتصدين (للغزو الصهيونى الذى يريد تقويض الحضارة والاقتصاد العربيين).
وقد شارك هؤلاء المفكرين الرسميين فى اجتماع عاجل عقدوه فى فندق مقابل على الضفة الأخرى من نهر النيل. من أجل الوصول اليهم لم تكن هناك حاجة لاجراءات أمنية أو وضع كرنيهات خاصة بها صور. فهم حاليا الأغلبية فى مصر وليست لديهم مشكلة فى أن يضعوا فى مدخل الدخول إلى قاعة المؤتمر علم إسرائيل حتى تدوس عليه الجماهير بأقدامها. وقد اخذوا شعاراتهم من مقالات أحمد الشقيرى وخطب عبدالناصر.
من الوهلة الأولى، ما كان يمكن أن نرى مشهدا افضل للديمقراطية والبرهان النهائى على التعددية فى مصر. فمن جانب هناك اجتماع مؤيدى السلام، ومن الجانب الآخر معارضى السلام. هؤلاء وأولئك من المثقفين، وهؤلاء وأولئك يعيشون فى رعاية الحكومة التى وقعت على اتفاقيات سلام مع إسرائيل، وحبت تقوم قوات الأمن التابعة لها بتأمين المؤتمرين. يقول احد نشطاء السلام المصرى وهو يغلى من الغيظ وطلب عدم ذكر اسمه (أن الفارق عميق. هؤلاء المعارضون للسلام يتولون كافة المناصب الممتازة، ويحصلون على تمويل لتأليف كتب، وإنتاج افلام أو اصدار شرائط. الجامعات مفتوحة أمامهم، وهم فى نظر الجماهير حاملو شرف الأمة. ونحن، الذين حضرنا للماريوت، مازلنا فى حاجة لأن نستخدم لغة مزدوجة، وأن نكون حذرين وأن نثبت طوال الوقت أنه على الرغم من تأييدنا للسلام فإننا لانهدم وحدة الامة العربية. أن حجم الشجاعة المطلوب لنا لا حدود له وأكبر من المطلوب لمن يجب أن يقول فقط أن الصهيونية هى عار. كنت سأتفهم حجم الجهد الذى يجب ان نقوم به لو كانت مصر وإسرائيل فى حالة حرب. ولكن بعد عشرين عاما من توقيع اتفاقيات السلام، يؤسفنى أن اقول، اننى اشعر بأنه مسموح لى ان اتهم حكومتى تماما مثلما اتهمت حكومات إسرائيل بعدم دفع عملية السلام".
وإذا كان هناك مشاركون مصريون كانت لهم نفس افكاره، فإنهم لم يعبروا عن رأيهم فى المؤتمر الذى خصص فعلا لأن يكون فقط حماية لدعاة السلام. لم يستطع أحد، وربما ايضا لم يرغب فى أن يقدم تفسيرا مريحا للعقل، لماذا لم يجد وزير الخارجية عمرو موسى انه من الصواب الحضور والقاء خطاب. لقد تحدد موعد المؤتمر من البداية كى يتناسب مع جدول اعماله ويضمن مشاركته. وما ان بدأت علامات النقد العام ضد المؤتمر فى القاهرة، حتى وجد موسى حجة بقوله أنه اجتماع لمنظمات غير حكومية ولذلك ليس هناك ما يدعو لمشاركة مندوب رسمى من الحكومة ووعد بإرسال خطبه تأييد يتلوها نائبه. ولكن حتى هذه الخطبة لم تصل. لو حكمنا وفقا لبعض الممثلين الفلسطينيين، فإن مصر قد طلبت ايضا من السلطة الفلسطينية عدم ارسال ممثلين رسميين، وبالفعل لم يحضر

هؤلاء. وقد مورست ضغوط ضخمة على الوفد الفلسطيني لارسال ممثل للمؤتمر المضاد ولكن عندما علم رئيس المؤتمر المصرى للسلام، السفير السابق صلاح بسيوني، بالنية الفلسطينية لارسال مندوبين إلى المؤتمر المضاد اعلن أنه سوف يسحب مساندته للوفدالفلسطيني، الذى تراجع عن نيته.
صراعات القوى هذه ليست مختلفة اليوم عن تلك التى صاحبت حركات السلام فى بدايتها عندما كانت اللقاءات تتم سراء وكأنها فعلا منظمات سرية. ومن توقع أن يكون هذا المؤتمر بمثابة طفرة، يتبنى مفهوما جديدا أو يعطى مضمونا لمفهوم (السلام بين الشعوب) على النقيض من (السلام بين الحكومات)، لم يخرج إلا ببعض الكتيبات. إذا كان كل جانب قد حافظ على حدوده داخل القاعات المزركشة بالنقوش الشرقية بفندق الماريوت، فإن السلام قد اخذ ترجمة عملية فى حديقة الفندق فى وقت متأخر من الليل. فقد تساءل مندوب أردنى بقوله (هل كان السلام سيحظى بقوة دفع أكبر لو كات فى إسرائيل حكومة شرقية، أى حكومة يهود عرب؟) - حاول الإسرائيليون ان يثبتوا انه لم يسهم أى ممثل شرقى فى حكومة إسرائيل فى إفادة السلام، ولكن الأردنى فسر اسباب سؤاله وقال (من السهل علينا نحن العرب أن نتكلم ونتحدث ونتعاون مع من يبدون على شاكلتنا ويتكلمون مثلنا. شخص اسمر يعرف كيف يلقى نكتة بالعربية. شخص تعمق فى الثقافة العربية ويعترف بأهمية مفهوم الكرامة. ولكن ليس هذا فقط الموضوع الخارجي أو الحضارى. أن اليهود الاشكناز هم زرع غريب فى هذه البيئة الشرق أوسطية ومن الصعوبة علينا كعرب أن نتقبل هذا الاجنبى. انظروا إلى رسوم الكاريكاتور التى نصف فيها اليهودى، إنه اليهودى الأوروبى ذا الانف المعقوف، وهذا هو الشكل الذى كرهناه. اليهودى المغرور، الذى يعرف كل شئ، تلك الشخصية التى افرزتها بروتوكولات حكماء صهيون).
فى نظر الأردنى لا يوجد يهودى جديد أو إسرائيلى آخر، وهو يريد يهودى معروف. وينهى داعية السلام الأردنى كلامه بقوله (من الصعوبة بمكان أن نتخيل وضعا تستطيع فيه المجتمعات العربية تبنى مجتمع إسرائيلى ممثلوه هؤلاء اليهود. قد نضطر للاكتفاء بسلام اقتصادى، سلام مصالح). ولكن عندما نتكلم عن (هذا القليل)، أى السلام الاقتصادى والمصالح، مع مندوب اردنى آخر، رجل البورصة والأعمال، فإنه يحطم هذا الطموح إلى شظايا صغيرة. يقول (منذ توقيع اتفاقية السلام بين إسرائيل والأردن، إزداد وضعنا سوءا. لقد اصبحنا نصدر اقل إلى السلطة الفلسطينية والتى كانت تمثل المؤخرة التسويقية لنا.

لقد ازدادت البطالة، والمساعدات الخارجية هامشية رغم أننا قد تمنينا أن تأتى الينا استثمارات ضخمة، والتقشف يصاحبنا منذ خمس سنوات، ومن الصعوبة أن نرى مخرجا. ولكن الآن مع استئناف العلاقات مع سوريا سوف تنفتح افق جديد للتنمية الاقتصادية فى الأردن). قبلها بوقت بسيط كان شيمون بيريز قد رفع الجماهير إلى عنان هوس السلام. الحديث مرة أخرى عن جهاز كمبيوتر لكل طفل عربى وعن الاستثمارات وبيع وشراء مستقبل افضل كثيرا وإلغاء الحدود القومية. وهمس مفكر مصرى كان ينصت بحرص للخطاب وقال (لمن يريد أن يبيع الانترنت؟ هل لأطفال الدلتا الذين يفتشون فى أكوام القمامة ليعثروا على شئ يبيعوه أم للموظفين الذين لا تزيد رواتبهم عن ٥٠٠ جنيه شهريا؟ هذا هو الأسلوب الإسرائيلى الجديد لحبس العرب أمام الكمبيوتر فى المنزل بدلا من وضعهم فى السجون).
ما أن انتهى شيمون بيريز من خطابه حتى صفق له هذا المفكر المصرى مثل الجميع، ولكنه التفت الى مرة أخرى وقال (هذا هو الكلام الذى اصابنا باكبر الضرر. انظروا ماذا حدث للأردنيين الذين صدقوا بيريز. انظروا ماذا حدث للفلسطينيين. لقد اعتقدنا أن الزعماء اليهود مختلفون عن زعمائنا، أى يحترمون وعودهم، وأن نهيئ مديرى البنوك للخير الذى سيأتى مع السلام. ولكن لم يحدث أى من هذه الأمور، وها هو بيريز مازال يواصل الوعود ونحن ايضا لا نصدق).
يصدق أو لا يصدق. فصناعة السلام ستظل موجودة. قال مندوب إسرائيلى (كثير من الناس يعيشون من جراء حلول السلام بدلا من الذين يموتون فى الحرب. المهم اننا نتكلم ونلتقى)، وامتلأت حديقة المطعم فى هذه الفترة من الموسم بمئات السياح الذين جاءوا من دول الخليج. مرة أخرى تستمتع مصر بحركة سياحية بعد الضربة القوية التى تلقتها بسبب معارك الأصوليين، كما آن مؤتمر السلام اضاف ١٥٠ سائحا آخرين. وهذا الاجتماع الأكبر للسلام يترجم هنا إلى دولارات. يقول أحد منظمى المؤتمر (انها مساهمة غير صغيرة لدولة يحترس وزير خارجيتها من التقارب إلى رجال السلام ويوصى مندوب إسرائيلى بالقول (انها مرارة مؤسفة) سيمر عام آخر، وسيعقد اجتماع جديد. لقد فعلنا ذلك على مر ٢٥ عاما، وسوف نفعله. اننا نفعل ذلك بدمائنا، ونحن نمتهن مهنة صنع السلام. وفعلا إذا كان هناك شئ جديد فى كل مؤتمر، فذلك هو الثقة والاحساس بالاستقرار بأنه فى كل مؤتمر سنشاهد نفس الوجوه.

لماذا تراجع وزير الخارجية عمرو موسى؟

ملحق معاريف ٩/٧/١٩٩٩
بقلم/ عوديد جرانوت

قطرات من العرق البارد غطت جبين رياض المالكي، الاستاذ بجامعة بيرزيت. فقد ثقلت رأسه امامه، وهاجمته الآلام في صدره وفي ذراعه الأيسر، فتم إستدعاء طبيب فورا للمكان من أجل إنقاذ الضلع الفلسطيني في مربع السلام لمؤتمر القاهرة.

والثلاثة أضلاع الأخرى هم: ديف كمحي - وشيمون شامير من إسرائيل، مصريان، وأردنيان من كبار المسئولين المحترمين، تابعوا بفزع اعمال الطبيب، الذي قرر أن هناك خوفا من أزمة قلبية خفيفة، ونصح رياض بالانسحاب للراحة. ولكن الأستاذ الفلسطيني رفض الانصياع. فلا يبتعدون هكذا في وسط الطريق عن معركة السلام. وظل في غرفته.

لقد كانت الأزمة القلبية الخفيفة للبروفيسور مالكي، بمثابة ذروة الدراما التي حدثت خلف الكواليس لمؤتمر القاهرة للسلام، في الوقت الذي استمر فيه في قاعات المفاوضات عشرات الممثلين الإسرائيليين،الفلسطينيين، المصريين، والأردنيين في التخبط بينهم وبين أنفسهم كيف يعلمون ويثقفون للسلام، كيف يتغلبون على العنف وماذا يفعلون في قضية المستوطنات.

والقصة، بكلمات مختصرة، بدأت كما نتذكر، قبل أكثر من عامين عندما بدأت مجموعة خاصة من الإسرائيليين ومن المصريين وبتمويل من حكومات الدنمارك، في التفكير في كيفية إنقاذ عجلة السلام من المستنقع. وتقابلوا مع وزير الخارجية المصري، عمرو موسى، والذي بارك اللقاء وكذلك أيد النشاط.

فقد أدرك موسى، أو تنبأ، بأن نتنياهو ينوي تعطيل المسيرة السلمية، وشجع الإسرائيليين والمصريين على توسيع دائرة كوبنهاجن لتحتوي أيضا بداخلها أردنيين وفلسطينيين.

وفي خبر واضح بأن موسى يؤيد هذه الخطوة وأنه يوجد لهم "مظلة حماية جوية" تم في القاهرة، وللمرة الأولى منذ سنوات، تنظيم لحركة سلام مصرية والتي صمدت أمام الهجوم الشديد للمعارضة لإسرائيل ولاتفاقية السلام.

وهكذا بدأت اللقاءات بين ممثلين إسرائيليين، فلسطينيين، مصريين وأردنيين، جنرالات سابقين، رجال فكر، مستشرقين، أكاديميين وآخرين، حيث تم التخطيط لأن يكون مؤتمر القاهرة أكبر تلك اللقاءات. وقد تم التنسيق بدقة متناهية مع وزير الخارجية المصري عمرو موسى فيما يتعلق بالجدول الزمني للمؤتمر، وقد كان مقررا أن يلقي موسى كلمة الافتتاح.

إلا أنه حدث أن تعقبت تنظيمات المعارضة المصرية، إسلاميون ناصريون وغيرهم - أخبار المؤتمر وكشفوا ترتيباته، وعرفوه على غير حق، كمحاولة لتمرير التطبيع بين إسرائيل ومصر من الباب الخلفي. فهاجت صحف المعارضة ودعت لمؤتمر "مضاد لمحاربة التطبيع والصهيونية"، في نفس اليوم وفي نفس الساعة.

لقد حضرت ذلك المؤتمر، للمعارضة واستمعت للخطب الملتهبة. وقد كان هناك بين الحضور مثقفين مصريين، ممثل سينمائي مشهور، وصحفيين مرموقين. وقد إلتهب الجو العام، وكذلك أيضا الأصوات المحذرة من "السلام مع القتلة الإسرائيليين".

وكان من الممكن أن ينحصر الضرر على هجوم الصحافة، لولا - حسب قول المنظمين - تراجع الوزير عمرو موسى. ففي البداية أعلن أنه لا يستطيع أن يشارك في مؤتمر السلام، ولكن إقترح أن شخصا آخر يقوم بقراءة كلمته. وبعد ذلك تراجع أيضا عن هذه الخطوة. وكذلك ألغى ظهور رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشعب، والذي كان من المفروض أيضا أن يلقي كلمة.

لقد أربك قرار موسى الوفد المصري في مؤتمر السلام، وجرت على الفور سلسلة من ردود الأفعال. فقد ألغى كذلك شخصيات من السلطة الفلسطينية حضورهم. أما الفلسطينيون الذين حضروا المؤتمر للسلام رغم ذلك، فقد فسروا غياب عمرو موسى على أنه سحب للتأييد المصري "لمبادرة كوبنهاجن" وقرروا أنه في ظل هذه الظروف فمن الجدير أيضا إرسال وفد من طرفهم "لمؤتمر الرفض" المعارض للسلام على طريقة "إمسك هنا ولا تترك ما هناك".

وفي هذه المرحلة كان مؤتمر السلام على وشك التفكك، والانهيار، ولكن الوفد المصري إجتاز برغم ذلك مفاجأة موسى وأعلن للفلسطينيين: إذا ذهبتم للجلوس مع المهرجين (أي المعارضة المصرية) فسوف ننسحب وستضطرون لحل مشاكلكم مع الإسرائيليين بمفردكم. فقد صنعنا معهم سلاما بالفعل".

رياض المالكي الفلسطيني سمع تلك الأمور، ومن شدة الضغوط اصابته الأزمة القلبية. ولكن التهديد نجح، فقد بقي الفلسطينيون ولم يرسلوا ممثلين عنهم إلى المعارضة.

ولكن قليلا من الروح خرجت مع مفسري "مبادرة كوبنهاجن" بسبب غياب موسى وهجوم المعارضة، وعلى الرغم من البيان الختامي، والذي كان بمثابة محاولة لبلورة حل وسط بين مطالبة الفلسطينيين لإرساء عاصمة في القدس، وبين المعارضة الشديدة من الوفد الإسرائيلي. على الرغم من ذلك فقد إنشغل المنظمون في جنبات المؤتمر في محاولة لتفهم ماذا حدث لموسى.

والتفسيران السائدان هما: الأول، موسى أيد مبادرة كوبنهاجن طالما كان نتنياهو في السلطة بإسرائيل، ومع تغيير الحكومة بطل السبب، والتفسير الثاني، أن موسى يفكر بجدية في السعي نحو رئاسة مصر بعد مبارك. فما هو المبرر للدخول في نزاع مع المعارضة المصرية، ذات الصوت العالي والتي مع كل ذلك سوف يحتاج لأصواتها.

والدرس الأول الذي يمكن إستخلاصه من مؤتمر السلام بالقاهرة، هو أن الساسة هم دائما أكثر حكمة وبحثا عن الفائدة من العامة الطيبين، والذين يحاولون أن يؤثروا على مسيرة السلام. والدرس الثاني هو: إذا ما تقدمت مسيرة السلام بمساعدة ايهود باراك، فربما لن يكون هناك أي ضرورة لمبادرة كوبنهاجن.

ولكن في الوقت الحالي، فطالما يوجد مصريون، إسرائيليون، فلسطينيون وأردنيون مستعدون للقاء والحوار بصفة إنسانية، والحوار حول أي قضية في العالم - فإنه لا يوجد أي سبب لائق لتفكيك صناعة السلام.

بعد فوز باراك وعودة حزب العمل للسلطة
طموحات الوسط العربي في المساواة داخل إسرائيل!..

١

رؤية

علاء سالم

كانت نتائج انتخابات ١٧ مايو ١٩٩٩، بمثابة مفاجئة حقيقية وكبيرة، ليس على صعيد انتخابات رئاسة الوزراء والأغلبية الكبيرة التي نالها مرشح حزب العمل أيهودا باراك بفعل تكتل الأصوات العربية ورائه، ودعم الجمهور اليهودي لبرنامجه الاقتصادي - الاجتماعي فحسب، بل وأيضاً على صعيد التركيبة السياسية للكنيست الجديد، توازن القوي الحاكم له خلال الولاية الخامسة عشر .ولذا بات "الانقلاب السياسي" هو التوصيف الأكثر دقة لما نجم عن تلك الانتخابات من نتائج وتحولات، إذ شهدت عملياً ثلاثة انقلابات رئيسية: أولهما، كان ذا طابع عربي تمثل في تزايد الحضور السياسي للوسط العربي داخل الكنيست إلى مستوي يكاد يعادل كثافته السكانية، ولكنه هنا ليس قاصراً على قوائم هذا الوسط الحزبية فحسب، ولكنه شمل أيضاً الأحزاب الصهيونية اليسارية مثل العمل وميرتس .ثانيهما، كان ذا طابع أيديولوجي متمثلاً في زيادة حضور أحزاب الوسط المؤيدة للتسوية السياسية مع الجانب العربي، واختفاء مثيلاتها التي كانت تنادي بإعلاء صيغة الأمن والاحتفاظ بالأرض على التسوية مثل حركة الطريق الثالث بزعامة أفيجدور كهلاني. وثالثهما، الهزيمة غير المسبوقة التي مني بها حزب الليكود، وتراجع حضوره داخل الكنيست إلى أدني معدل له منذ عقود، وتداعيات ذلك على سمة الحزبين القائدين محاور الاستقطاب القادمة في السياسة الإسرائيلية.

ويُعد "الانقلاب العربي "هو الأكثر بروزاً وسط تلك الانقلابات، لصلاته المباشرة بقضايا تمس جوهر المُسلمات التي تقوم عليها الدولة الإسرائيلية، وفي مقدمتها الطابع الصهيوني المميز لبقائها وتطورها المادي .فعلي عكس انتخابات سابقة كان هذا الانقلاب وليد الوعي الحقوقي - الديموقراطي للوسط العربي داخل إسرائيل، وليس مرتبط بالوعي القومي العام الذي ساد في فترات سابقة، والذي كان بمثابة صحوة فلسطينية ذات بعد قومي - عربي زكتها أحداث مثل يوم الأرض، والانتفاضة الفلسطينية . .ويمكن إرجاع ذلك في أحد محدداته إلى سياسة الاستبعاد المتعمدة التي قامت بها إسرائيل والسلطة الفلسطينية معاً في سلسلة تسوياتهم السياسية في أوسلو وما بعدها، واعتبارهم خارج الجماعة الفلسطينية التي يبحث مصيرها في التسوية، مثلهم في ذلك مثل لاجئى عام ١٩٤٨ ،وبعد هذا الاستبعاد بات الوسط العربي يبحث عن تطوره وحقوقه السياسية والثقافية، بمعزل عن جماعته الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، ومعه أيضاً باتت إسرائيل تواجه بتحدي تقرير شكل ومضمون هذا التطور .وبدا أمام زعمائها خيارين أساسيين في سبل التعاطي مع هذا التحدي ..فأما الاستمرار في السياسة الراهنة القائمة على التطور اللامتكافئ بين جماعتين يهودية مهيمنة، وأخري عربية محرومة من الخير العام للدولة، ومدي ما يمثله ذلك من تحديات ليس على الديموقراطية الإسرائيلية فحسب، بل وأيضاً على الأمن والسلام الاجتماعي .أو أن يتم استيعابهم كجزءٍ عضوي في نسيج المجتمع المدني وفقاً لمفهوم "الجماعة الإسرائيلية"، لينالوا حقوق المواطنة الكاملة والاعتراف بهم كأقلية ثقافية داخل الدولة، وما يترتب عن ذلك من حقوق جماعية، وتضيق للفجوة الطائفية القائمة مع الجماعة اليهودية.

وعملياً حسم الوسط العربي توجهه السياسي لصالح الخيار الثاني مجبراً، وأصبح التساؤل هو ..كيفية فرض هذا الخيار على الوسط اليهودي، لا على مستوي الشعارات كما يحدث دوماً في كل انتخابات، وتجلي في الانتخابات الأخيرة حينما أغدقت كافة القوي السياسية الصهيونية علمانية كانت أو دينية من وعودها على هذا الوسط من أجل كسب أصواته الانتخابية بل على مستوي الممارسة الفعلية بعد هذه الانتخابات .ولذا كانت انتخابات ١٩٩٩ فرصة مواتية لجعل هذا الخيار أكثر إلحاحاً على أجندة الوسط اليهودي، ومن ثم لم يكن ترشيح عزمي بشارة لنفسه لمنصب رئاسة الوزارة، وانسحابه من حلبة التنافس بعد تلقي ضمانات من حزب العمل بالسعي الجاد لبدء تطبيق معطيات الخيار الثاني، إلا أبرز مظاهر تحدي الطابع الصهيوني للدولة الإسرائيلية، وإثبات أن ناخبي وتأييد الوسط العربي ليس ضمانة تلقائية بدون شروط لأحد القوي الصهيونية بما فيها حزب العمل. وهي العملية التي جري إعادة إنتاج مضامينها بعد استبعاد رئيس الوزراء المنتخب باراك للقوي السياسية المعبرة عن هذا الوسط في مفاوضات تشكيل حكومته الائتلافية، حينما تقدم

زعيم الجبهة التقدمية للسلام والمساواة "حداش "محمد بركة للترشيح لمنصب رئيس الكنيست، والدكتور أحمد الطيبي من "التجمع الوطني الديموقراطي "لعضوية لجنة الشئون الخارجية والأمن بالكنيست في سابقة هي الأولي من نوعها أيضاً.

غير أن ما تحقق فعلياً على أرض الواقع، كان بمثابة سابقة هي الأولي من نوعها أيضاً .فقد تم اختيار أحد النواب العرب من القائمة العربية الموحدة عضواً في أحد أهم لجان الكنيست وهي لجنة الشئون الخارجية والأمنية، وهي المعنية بمناقشة أبعاد وتوجهات السياسات الخارجية والأمنية والعسكرية للدولة، والتي كانت حكراً على الأعضاء اليهود .وقد قررت القائمة أن تكون العضوية بالتناوب بين ثلاثة من أعضائها: هاشم محاميد (يساري)، وطلب الصانع (ليبرالي) وتوفيق الخطيب (إسلامي) .كما أصبح النائب الإسلامي عبد المالك دهامشة من نفس القائمة رئيسياً للجنة مكافحة المخدرات، وبذلك يصبح أول عربي يسند إليه رئاسة لجنة برلمانية بالكنيست .وهي سابقة تم إعادة تكرارها مع انتخاب صالح طريف من حزب العمل رئيسياً للجنة الإجراءات، وهي أيضاً من أهم اللجان لكونها تقرر النظام الأساسي للمناقشات، ورفع الحصانة عن الأعضاء، وذلك على غير رغبة باراك. وأخيراً تم تعيين أحمد الطيبي المستشار السابق لعرفات، ليكون أداة الاتصال والتنسيق بين الكنيست ومجلس حلف شمال الأطلسي .

جدلية المقاربة بين عمليتي الأسرلة والفلسطنة :

ألقي الحضور والتأثير السياسي الذي مارسه الوسط العربي في الانتخابات الأخيرة بتداعياته على عملية الجدل الذي لم ينقطع حول نمط وطبيعة التطور الذي يشهده هذا الوسط وفي علاقاته بالأغلبية اليهودية، وكيفية توصيف مجموعة التحولات القيمية والبنائية التي تم داخله، وهل في ظلها مازال يحافظ على هويته وخصوصيته الحضارية العربية ـ الفلسطينية ؟ .. أم أنه بفعل عمليات التحديث القسري تحول إلى إسرائيلي ؟ ..أم أنه يمر بعمليتين متوازيتين أسرلة، وفلسطنة في آن واحد ؟ .

ويشير مفهوم الأسرلة Israelization لمجموعة العمليات الثقافية والاجتماعية التي أخذت في بداياتها الطابع الاضطراري، ولكنها سرعان ما شكلت تحت ظروف سياسية واجتماعية معينة جزءً لا يتجزأ من الثقافة القائمة والتي يتعرض لها المواطن الفلسطيني بإسرائيل، وتدفعه إلى تبني قيم وتوجهات إسرائيلية في أساسها ومضامينها العامة بقصد تسهيل عمليات التعامل اليومي ـ الحياتي مع هذا الواقع القائم، مثل اللغة، تعريف ذاته أمام الآخرين، التعليم، الاندماج بالمؤسسات والقوى الاجتماعية والثقافية والسياسية المعبرة عن الواقع الإسرائيلي ..والأسرلة بهذا المفهوم لا تعني إطلاقاً تهويد الفلسطينيين بإسرائيل، أو تخليهم عن ثقافتهم، وإنما تعني أساساً تعديل هذه الثقافة وتغييرها على نحو يلبي الأهداف الإسرائيلية، ويجعل تأطيرها في الإطار الإسرائيلي ممكناً .مما يقود في التحليل النهائي لتشويهها .وعند تلك المرحلة يبرز لدينا كما يصف عزمي بشارة العربي ـ الإسرائيلي كمرادف لمفهوم الفلسطيني ـ العربي .ويعكس هذا التحديد الجديد مأساة الهوية المشوهة، لكونه لا يحافظ على توازن النقائص، ولكنه يخضع الأول العربي للثاني الإسرائيلي .

أما مفهوم الفلسطنة Plastenization فهو مناقض تماماً لمفهوم الأسرلة، لكونه يعني ببساطة عملية النهوض بالوعي القومي الفلسطيني لدى الوسط العربي، وحفاظهم على هويتهم الثقافية والحضارية بمعزل ومنأى عن التأثيرات الصهيونية التي تفرض عليهم قسراً .

وتظهر صيرورة الواقع الفعلي الذي يعايشه الوسط العربي بإسرائيل بكل تجلياته، الإعلاء من مفهوم الأسرلة بمضامينها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ......، مقابل مفهوم الفلسطنة الذي تراجع نسبياً في عقد التسعينات، بعد أن شهد أفضل مراحل تأججه في عقدي السبعينات والثمانينات .وقد بدا ذلك بوضوح من خلال عمليات تراكم الثقل والحضور العربي داخل ساحة التفاعلات الإسرائيلية، والقائمة من جانبهم على محدد هام، وهو أهمية الاندماج داخل منظومة هذه التفاعلات، وإثبات أنهم باتوا جزءً عضوياً منها وليس خارجها .وقد بدا ذلك من خلال بعض الأحداث الرمزية، مثل انتخاب ملكة جمال إسرائيل للعام ١٩٩٩ من بين فتيات هذا الوسط، وقبلها تعيين القاضي عبد الرحمن الزغبي نائب رئيس محكمة الناصرة قاضياً في المحكمة الإسرائيلية العليا في مايو ١٩٩٨، ولكن المعضلة التي تقف حجر عثرة أمام إمكانات هذا الاندماج والإسراع من عملية تحقيق المساواة التامة مع الوسط اليهودي، هو أن أولوياته عادة ما تتم وفقاً لمقتضيات الحاجة الصهيونية وليست العربية، بما يعني بالسياق الأخير أن هذا الدمج هو نوع من تهميش الذات فعلاً، وليس الخروج منه.

علاقة الوسط العربي بالواقع الإسرائيلي كما يؤكد بشارة ليست علاقة أداتية فحسب، وإنما هي أيضا عملية اجتماعية مستمرة تختلط فيها الأداة بحاملها فتؤثر فيه وفي ثقافته، كما يؤثر فيها هو .وتؤسس هذه الدينامية لعلاقة التأثير والتأثر، وتفصح عن نفسها في العديد من المحددات التي يمكن إجمالها في :

١- ارتفاع متدرج في مستوى معيشة الوسط العربي بإسرائيل، مقابل تدهور متدرج بالضفة والقطاع منذ منتصف الثمانينات، من دون أن يتزامن مع ذلك تكوين وتطور اقتصاد عربي مستقل أو شبه مستقل، وإنما من خلال عملية اندماج غير متوازنة أو متساوية في الاقتصاد الإسرائيلي.

٢- ازدياد في الوعي الفردي والمؤسسي للحقوق الكامنة بالمواطنة الإسرائيلية، وازدياد التطلع إلى ممارسة هذه الحقوق مع ارتفاع مستوى التعليم والتنظيم وتمايز الوظائف الاجتماعية .

٣- تبلور علاقة فلسطينية ـ فلسطينية يتميز فيها الطرف الذي حظي بمواطنة إسرائيلية بعدد لا بأس به من الحقوق

والامتيازات من ناحية، وتبلور سياسة فلسطينية تعبر عن اندفاع المواطن الفلسطيني نحو الأسّرلة سياسياً باعتبارها أداة ضرورية في خدمة عملية السلام من ناحية أخرى.

٤-التأثير المتزايد لوسائل الإعلام الإسرائيلية في إعادة إنتاج الفضاء الإسرائيلي بكل بيت عربي، وأهمية هذا التأثير تتجه نحو الارتفاع ومع أن هناك وسائل مماثلة عربية ـ إسرائيلية، فإن التعاطي مع وسائل الإعلام الإسرائيلية ومصطلحات خطابها السياسي والثقافي والترفيهي في تزايد مستمر، وتتجه في الوقت ذاته نحو الهيمنة الثقافية.

٥-طور الأوضاع على مستوى المنطقة منذ بدء عملية التسوية السياسية بمدريد، أتاحت للعربي /الإسرائيلي زيارة الدول العربية بجواز سفر إسرائيلي .وتزامن معه رغبة عربية في احتضان قيادة هذا الوسط بقصد التأثير الإيجابي في الساحة الإسرائيلية الداخلية.

وقد بدت عملية الأسّرلة بأبرز صورها في المجال السياسي من خلال سعي الوسط العربي للتكتل الحزبي ـ المؤسسي من أجل زيادة الفاعلية والتأثير في المعادلة السياسية .وإن كان هذا التوجه مفهوماً ومبرراً لدى الأحزاب العلمانية، فإن الجديد فيه هو دخول الحركة الإسلامية فيه وفقاً لديناميات الخاصة، متخلية بذلك عن جزء من شعاراتها "الإسلام هو الحل "من أجل منع التصادم معه .ومن قبلها بدت عملية الأسّرلة في سمة التطور التاريخي لنشوء الطابع الحزبي المؤسسي للوسط العربي بإسرائيل .فتاريخياً كان حزب مابام (يشكل حالياً مع حزب راتس قائمة ميرتس، بعد انفصال الضلع الثالث قبل الانتخابات الأخيرة حركة شينوي)الحزب الصهيوني الوحيد الذي سمح بعضوية العرب بصفوفه .ومن ناحية توجهه تجاه مسألتي المساواة والدمج بين الوسطين العربي واليهودي، تشابه إلى حد كبير مع الحزب الشيوعي الإسرائيلي "راكاح "وهو الآن العمود الفقري للقائمة التقدمية للمساواة "حداش ."أما حزب العمل فقد سمح بالعضوية فيه فقط لأولئك الذين أدوا خدمة بالجيش الإسرائيلي منذ عام ١٩٧٠، ولسائر أبناء الوسط العربي بعد عام ١٩٧٣، أما في الليكود فقد سمح للعضوية فيه بعد وصوله للسلطة في ١٩٧٧، وفي الكنيست العاشر ١٩٨١ ـ ١٩٨٤ انضم أمل نصر الدين لعضوية الكنيست عن الحزب، كأول عربي .وكانت القوائم العربية تعبيراً آنذاك عن وضع اجتماعي تسيطر عليه قوى تقليدية، حولتها السلطة اليهودية إلى أدوات للوصايا . Patronage Politics والانضمام للأحزاب الصهيونية بالبداية لم يتم بدافع الخوف أو الوصاية، وإنما بهدف التأثير وبلورة مصالح الوسط في قضايا المساواة والدمج .وهذا تحديداً هو الفارق الرئيسي بين عملية الأسّرلة الجارية داخل هذا الوسط وبين مجرد فكرة العمالة -Clien cyالنظام .

ومنذ أن نشأ نظام الحزبين بإسرائيل بعد انتخابات مارس ١٩٧٧، بدت إمكانات المناورة أكبر ولم يعد التصويت للأحزاب العربية الصغيرة تصويتاً احتجاجياً فحسب، بل أصبح له أيضاً وجهاً إسرائيلياً، وهو منع اليمين من تشكيل حكومة إسرائيلية .وأصبح الصوت العربي بهذا المعنى صوتاً اندماجياً بالمنظومة السياسية الإسرائيلية، حتى لو كان لصلحة الأحزاب العربية .يضاف إلى ذلك أن الطابع الحزبي الشديد للنظام السياسي الإسرائيلي، بلور مصلحة أيضاً لنشوء وتطور قوائم عربية بعيدة عن وصاية الأحزاب الصهيونية القائمة .إذ جرى استكمال عملية الأسّرلة في مضامين الخطاب السياسي والاجتماعي التي رفعتها هذه القوى المؤسسية الجديدة، والتي جسدت في الوقت نفسه أزمتها الأيديولوجية .فطرح هذه الأحزاب العربية ـ الإسرائيلية لموضوعي التسوية مع الدول العربية، والمساواة مع الوسط اليهودي لم يختلف جذرياً عن طرح اليسار الإسرائيلي، وحزب العمل حالياً .على اعتبار أن القضية الفلسطينية قضية خارجية يتعامل معها الوسط العربي من منطلق كونهم "قوة ديمقراطية داخل إسرائيل "، مع حصر هذه الأحزاب التعامل مع قضية المساواة والدمج فيما يسمح به الخطاب السياسي الصهيوني، وضمن مسلماته الأساسية دون خروج عنها .وقد بدا ذلك حينما بدت معالم الطريق إلى منصب أول وزير عربي في حكومة إسرائيلية، لا تتم عبر قوى هذا الوسط، وإنما عبر الأحزاب الصهيونية أساساً سواء في انتخابات ١٩٩٦ والتي أخفقت بعد فشل بيريز في الحصول على منصب رئيس الوزارة، أو شائعات ما بعد الانتخابات الأخيرة .والتي أخفقت أيضاً نتيجة الاستبعاد المعمد لباراك لقوي هذا الوسط في مشاورات تشكيل حكومته الجديدة.

غير أن تحدي بشارة لهذا المظلة الصهيونية ونجاحه قبل انتخابات ١٩٩٩ في الحصول على مكاسب من حزب العمل، هو ما مكن بركة والطيبي بعد الانتخابات في مد هذا التحدي على استقامته، للخروج من العباءة الصهيونية كأساس لتحقيق المساواة والدمج الثقافي والسياسي في السياسة الإسرائيلية بكافة أطيافها، وإخضاعها لطموحات هذا الوسط .والمعادلة التي سوف تحكم تلك الطموحات مستقبلاً هي " ..أنه إذا كانت عملية الأسّرلة قد أملتها الظروف الاجتماعية والسياسية التي مر بها هذا الوسط خلال تطور بعد العام ١٩٤٨، وصارت واقعاً يصعب تغييره، ثم أتت تسوية أوسلو لتكرس هذا الواقع، فإن تغير الأطر الحاكمة لتلك العملية وفرض أطر جديدة نابعة من المصالح والأهداف العربية، هو المحدد الحاكم لتفاعلات قوي هذا الوسط مع القوي الصهيونية ."وفقاً لمضامين هذه المعادلة، فإنه لا انفصام موضوعي بين مساعي الحصول على المساواة والاندماج في الدولة الإسرائيلية على كافة المستويات، وعمليات الحفاظ على الخصوصية الحضارية والثقافية للوسط العربي داخل إسرائيل.

تعريب الصوت العربي

مثلت انتخابات عام ١٩٩٩ منعطفاً هاماً في مسار تطور الوسط العربي، على الرغم من المساوئ التي صاحبتها وفي مقدمتها الإخفاق في تكوين قائمة عربية واحدة، على الرغم من موافقة ٨٨ %من جماهير هذا الوسط على تكوين قائمة واحدة لدخول الكنيست في استطلاع الري العام قبل

جدول رقم ١
أداء الوسط العربي في انتخابات الكنيست الخامس عشر

القائمة العربية التى دخلت الإنتخابات	عدد الأصوات		عدد المقاعد	
	الإجمالى	٪	الإجمالى	٪
الإجمالي العام لعدد المقترعين العرب	٤٦٥,٠٠٠	١٢,٠	١٥	١٢,٥
عدد المقترعين العرب في الانتخابات	٣٤٥,٠٣٠	٧٤,٢	١٢	١٠
معدل التصويت لقوائم الوسط العربي	٢٥٧,١٢٣	٧٤,٥	١٠	٨,٣٣
القائمة العربية الموحدة *	١٠٩,١٩٩	٣١,٧٢٣,	٥	٤,١٢
القائمة التقدمية للسلام والمساواة "حداش ** "	٨١,٥٥٠	٦٢,٧	٢	٢.٥
التجمع الوطني الديموقراطي "بلد "	٦٢.٥٣٠	١٨.١	٢	١,٦
منظمة العمل الديموقراطي	١,٩٧٧	٠,٦	—	-
الصوت العربي الجديد	١,٨٧٧	٠,٥٦	—	-
معدل التصويت لقوائم الوسط اليهودي				
قائمة إسرائيل واحدة	٢٦,٥٦٧	٧,٧		
ميرتس	١٧,٩٤١	٥,٢		
شاس	١٣,٨٠١	٤,٠		
شعب واحد	٨,٦٢٥	٢,٥		
المركز	٥,١٧٥	١,٥		
المفدال	٤,٨٣٠	١,٤		
الليكود	٤,١٤٠	١,٢		
يهودا ـ هاتوراة	٣,٧٩٥	١,١		
إسرائيل ـ بعاليا	٣,٣١٥	٠,٩		

الانتخابات الأخيرة، والطابع الشخصي الذي غلب على حملات قوي وقوائم هذا الوسط .ولعلنا نتذكر هنا الجدل والانتقادات الشديدة التي تعرض لها عزمي بشارة داخل هذا الوسط، بعد قرار ترشيح نفسه لمنصب رئيس الحكومة .وقد دخلت خمس قوائم عربية انتخابات الكنيست الخامس عشر، استطاعت ثلاثة منها فقط تجاوز معدل التمثيل السياسي وهو ١,٥ %من مجموع الأصوات، في حين أخفق حزب الصوت العربي بزعامة مكرم خوري، ومنظمة العمل الديموقراطي بزعامة خطيب سامية في تجاوز هذا المعدل، مما أهدر أصوات ناخبيهم (أنظر الجدول رقم ١) والقوائم الثلاث التي نجحت تتماثل بشكل تام مع أطياف اللون الأيديولوجي السائد لدي الوسط العربي العشائري ـ التقليدي، واليساري ـ العلماني، والإسلامي ـ المحافظ .وحظيت هذه القوائم الثلاث بعشرة مقاعد في الكنيست (تسعة للعرب، وواحد يهودي وهو تمار جوجنسكي الذي شغل المرتبة الثالثة في قائمة حداش). ولا يقتصر التواجد العربي على هؤلاء التسعة وإنما أنضم إليهم أثنين من حركة ميرتس اليسارية وهما توليد صادق، حسنية جبارة أول امرأة عربية تدخل الكنيست، بالإضافة إلى نواف مصالحة، وصالح طريف من حزب العمل.

*عبارة عن خمسة أحزاب هي :الحركة الإسلامية، والحزب الديموقراطي العربي، وجبهة الوحدة الوطنية، ولجنة القوي الوطنية، والحركة القومية ـ التحالف الوطني .ذات ميول متعددة إسلامية ويسارية وقبلية .وأتى ترتيب القائمة على النحو التالي :عبد الملك دهامشة، طلب الصانع، هاشم محاميد، توفيق خطيب، ومحمد كنعان.

**ذات ميول شيوعية، وأتى ترتيب القائمة على النحو التالي :محمد بركة، عصام مخول .

***عبارة عن تحالف التجمع الوطني الديموقراطي بزعامة عزمي بشارة، والحركة العربية للتغيير بزعامة أحمد الطيبي. ذا ميول يسارية ـ علمانية .ويمثلها في الكنيست بشارة والطيبي.

وقد عكس "الانقلاب العربي "نفسه في العديد من المؤشرات الأخرى التي صاحبت انتخابات العام ١٩٩٩، والتي يمكن بلورتها في مستويين رئيسيين:

*أولاً :متعلق بعمليات الاقتراع في هذه الانتخابات .والتي هيمن عليها ما بات يوصف بـ "*تعريب الصوت العربي*" ولكونه جزءً من عملية شاقة لفلسطنة هذا الوسط والحفاظ على خصوصيته الثقافية، وتهميش عملية الأسرلة التي تحكمت في سلوكه الاجتماعي والسياسي طوال الفترة الماضية .وبدت عملية التعريب في الاتجاهات التالية:

١ـ لم يعاني جمهور *الوسط العربي* في *انتخابات* ١٩٩٩ من مأزق الاختيار السياسي الذي عاناه في الانتخابات السابقة، وإنما كان هناك شبه إجماع على التصويت لمرشح حزب العمل باراك، وإسقاط نتنياهو، الذي تدهورت في عهده طموحات الوسط العربي في المساواة، وتراجعت المخصصات المالية للبلديات العربية من جراء تخفيض الموازنات الاجتماعية التي وجهت إلى الاستيطان إلى مستوي غير

مسبوق، وفقاً لتأكيدات عمانوئيل سيفان فإنه في العام ١٩٩٧ كانت ٤١ من البلديات الـ ٥٠ التي نالت أدنى مخصصات مالية هي بلديات عربية .ولذا فقد دعي كافة قادة الوسط العربي جمهورهم الانتخابي لترشيح باراك، على عكس الانتخابات السابقة التي قرر فيها قيادي التجمع الوطني، وحداش الامتناع عن ترشيح أياً من بيريز ونتنياهو، والاقتراع السلبي "البطاقة البيضاء ." وهو ما انعكس على معدل التأييد الذي ناله من هذا الوسط والذي بلغ ٩٥,٣ % مقابل ٤ %لصالح نتانياهو .وهي نسبة أقل من تلك التي نالها في الانتخابات الماضية والتي قدرت بـ ٥,٢ %ومعظم هذا التأييد أتي من التجمع الدورزي حيث يتمتع الليكود بنفوذ تقليدي فيه (أنظر جدول رقم ٢).غير أن خيبة الأمل داخل هذا الوسط كانت في عدم بلوغ الاقتراع العربي في هذا الانتخابات معدل الـ ٨٠ %الذي كان مستهدفاً من قبل.

٢-حصدت القوائم العربية ما يعادل ٧٤,٥ %من الأصوات العربية في هذه الانتخابات، في حين لم تحصل الأحزاب الصهيونية سوى على ٢٥ %من تلك الأصوات .ويدعم ذلك الاتجاه الصاعد في مؤشرات الاقتراع العربي منذ سنوات، وتحديداً إذا ما قارنا هذه النسبة بمثيلاتها في انتخابات سابقة والتي كانت كالتالي 70 % :عام ١٩٩٦ .و٤٨ %عام ١٩٩٢ ،و٥٨ %عام ١٩٨٤ ،و٥١ %عام ١٩٨١ و٣٠ %عام ١٩٧٧ .

وإذا ما تم استثناء حزبي العمل وميرتس، فإن تصويت الوسط العربي للأحزاب الصهيونية بشقيها الديني والعلماني يمكن إرجاعها بشكل جوهري إلى محدد التعريف الضيق للمصلحة لبعض قوي هذا الوسط، التي تعتبر تأييدها لتلك القوي الصهيونية بالأخص الدينية مثل شاس ورقة هامة للحصول على موارد مالية أو مناصب إدارية بعد الانتخابات نظراً لسيطرة تلك القوي على وزارات الشأن الداخلي الهامة مثل الداخلية والتعليم .

3ـ تدعيم الاتجاه المتسارع نحو تعريب الحزب الشيوعي الإسرائيلي، على خليفة أزمة الهوية التي يعاني منها منذ بداية عقد التسعينات .وزيادة مساحة الحضور العربي في قائمة حداش التي يقودها الحزب بدءً من توفيق زيادة في انتخابات ١٩٩٢ ، وهاشم محاميد في انتخابات ١٩٩٦ ، ومحمد بركة في انتخابات ١٩٩٩ .

*ثانياً :الاتفاق العام على مستوي المطالب السياسية الداعية للمساواة والحد من الفجوة الطائفية مع الوسط اليهودي .إذ تكاد تتماثل المطالب السياسية ـ الاجتماعية التي ترفعها تلك القوائم على مختلف أطيافها الأيديولوجية .وهي تتركز على:

١-جعل إسرائيل دولة ديموقراطية، وهي دولة مواطنيها العرب واليهود معاً، وبالتالي إلغاء القوانين والنظم والممارسات التي تكرس صهيونية إسرائيل (قانون العودة، قوانين الأرض، الاتفاقيات القائمة بين إسرائيل والوكالة اليهودية). وهي تلك القوانين التي تميز بشكل عنصري في توزيع الخير العام للدولة بوصفها دولة الرفاه لليهود.

٢-الاعتراف بالفلسطينيين في إسرائيل كأقلية قومية تتمتع بجميع حقوق الأقليات العرقية والثقافية والسياسية.

٣-الاعتراف بحق الأقلية الفلسطينية في الحكم الذاتي الثقافي في القضايا التي تخصها وعلى رأسها التربية والتعليم.

ولذا فإن مساومات قادة الوسط العربي مع باراك قبل الانتخابات الأخيرة وما بعدها تمحورت حول مساعيهم لتضييق الفجوة الطائفية بين العرب واليهود لمقدمة لحصولهم على كافة حقوقهم كأقلية ثقافية، وكأساس لتقديم الدعم السياسي له في الكنيست .وقد أفلح هؤلاء وفي مقدمتهم بشارة في انتزاع العديد من المطالب من باراك قبل الانتخابات، ويأتي في مقدمتها:

*إعادة أراضي الروحة قرب قرية أم الفحم إلى أصحابها الفلسطينيين، وتالياً معظم القرى العربية غير المعترف بها.

*إعداد خطة شاملة لتشغيل أبناء الوسط العربي في مؤسسات الدولة.

*الحد من عمليات التميز التي يتعرض لها أبناء هذا الوسط في النواحي الاجتماعية والثقافية والسياسية.

*إعداد خطة لبناء مساكن لذوي الدخل المحدود.

*زيادة المخصصات المالية المقدمة للقرى والبلديات العربية للتطوير والتنمية .

وتدعمت عمليات الشعور بالهوية والذات الوطنية من الحسم الذي افتقده فلسطيني الوسط العربي طوال السنوات الماضية التي لخصها بشارة في مقولته " .بعد أن حل الإعجاب القائم على الهزيمة في السبعينات محل تخوين الأقلية العربية في إسرائيل، أو تجاهلها في أفضل حالات الخطاب السياسي العربي، عاد الارتباك من جديد ليحكم تقويم أوضاع ودور هؤلاء العرب في إسرائيل، الذين غدوا يطلون على الدول العربية المجاورة من على الهامش الديموقراطي للتلفزة الإسرائيلية إنهم يقاطعون رؤساء

جدول رقم ٢

معدلات تصويت قطاعات الوسط العربي

لصالح مرشحي رئاسة الحكومة

قطاعات الوسط العربي	باراك	نتنياهو
معدلات الاقتراع الإجمالي العام	٩٥,٣	٤
المدن الكبيرة	٩٦,١	٣,٣٣
القرى الكبيرة	٩٤,٨	٥,٠
القرى الصغيرة	٩١,٣	٨,٦
وسط البدو	٧٩,٣	٢٠,٦
الدروز	٥٠,٧	٤٩,١

الحكومات والوزراء في جلسات الكنيست، فهل هذا دليل على وطنية فلسطينية أم دليل على توطد الجانب الإسرائيلي الواثق في النفوس المبتورة، أم هو تقليد عربي للإسرائيلي الواثق بنفسه في دولته ؟. " .

الوسط العربي ..تفسيرات مختلفة لنمط التطور

يكاد يماثل وضع الوسط العربي بإسرائيل، مثيله الديني - غير الصهيوني، إذ تتمتع الأقلية العربية بحق المحافظة على خصوصيتها الحضارية وهويتها المتميزة، وهي تملك ضمانة المؤسسات بالمحافظة على وجودها .والمساحة الديموجرافية التي يشغلها الوسط العربي مقارنة مع مثيله اليهودي في تزايد مستمر بفعل معدلات الزيادة الطبيعية لديهم، إذ كانت تلك المساحة في عام ١٩٦٠ تقدر بـ ١١,١ %من عدد سكان إسرائيل، ارتفعت في عام ١٩٩٤ لتصل إلى ١٨,٨ %أي ما يعادل ١,٠٢٩ مليون نسمة ثم إلى ١,٢ مليون نسمة حالياً، يشكلون ١٩ %من السكان (يشكل المسلمون ٧٩%، والمسيحيون ١٢ %و الدروز والبدو ٩ %) وعملياً يمكن بلورة إشكالية العلاقة بين الوسط العربي والنظام السياسي في محددين أساسيين:

١- يعتبر الوسط العربي منشق، ورافض لأيديولوجية النظام الأساسية .إذ أنه خارج الإجماع الوطني في مجالين: الصهيونية، وتسوية الصراع العربي - الإسرائيلي .فهو يعارض الطابع الصهيوني للدولة بمختلف أوجهه، وهو يتحفظ من أو يرفض فكرة أن تكون إسرائيل هي أداة الحركة الصهيونية وأهدافها، وأنها استمرار السيادة اليهودية بعد خراب الهيكل الثاني، التي فيها يتحقق حق تقرير المصير للشعب اليهودي فقط، وأنها وطن اليهود دون سواهم .وهو يعارض الفرضية القائلة بأن إسرائيل مفترض بها أن تحقق رفاهية اليهود، وأن مؤسساتها وشعاراتها وأبطالها وأعيادها الرسمية يهودية .ويرفض حقيقة أن اللغة اليهودية - العبرية هي اللغة السائدة والمهيمنة عملياً على الساحة، وأن اللغة العربية ليست موضع الاستعمال اليومي، على الرغم من مكانتها الرسمية كلغة ثانية .ويرفض أيضاً قانون العودة والجهود الكبيرة التي تبذلها الدولة لتشجيع الهجرة والاستيطان في كافة المناطق، وتركيز التطوير بالوسط اليهودي.

كما يجد الوسط العربي نفسه خارج هذا الإجماع في قضية الصراع العربي - الإسرائيلي، فهو يؤيد فكرة العودة الكاملة إلى حدود ما قبل الخامس من يونيه ١٩٦٧ لتسوية هذا الصراع على المستوى العربي .أما فلسطينياً فهو يؤيد إنشاء دولة فلسطينية في الضفة والقطاع عاصمتها القدس الشرقية، والاعتراف بالحق للاجئين الفلسطينيين منذ عام ١٩٤٨ بالعودة إلى ديارهم داخل الخط الأخضر.

٢- يعتبر الوسط العربي معادى وغير مخلص للدولة، ولا يدين بالولاء الكامل لها .ولذا فإن نظرة النظام إلى هذا الوسط تقوم على أساس الافتراض بأنهم غير مخلصين، ولذا فإن أبنائه لا يجندون بالجيش (عدا الدروز للفروض عليهم هذا الواجب الإجباري، والبدو المسموح لهم التطوع بالجيش) .وهو يخضع لرقابة خفية ومتواصلة، يحرم عليه الاشتغال في بعض الوظائف وتحديداً في الصناعات المرتبطة بالمؤسسة العسكرية، أو الوظائف الأمنية .

على الرغم من استمرار المضامين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لهذه الإشكالية، فإن الوسط العربي ووضعه ليس ثابتاً، لكونه جزءاً من عملية التطوير المستمرة التي بدأت منذ عام ١٩٦٧ وبدت معالمه في ازدياد معدلات الاستثمار، وارتفاع المستوى الثقافي، ومعدلات الاستهلاك. ولكن يجب الانتباه لكون هذا التطور المستمر، يتم أيضاً في إطار استمرار سياسة التمييز مقارنة بالوسط اليهودي ويعكس ما هو سائد لدى بعض منظري وباحثي الوسط العربي أمثال البروفيسور أسعد غانم، من ربط هذا التطور بوجود حزب العمل في السلطة والمقارنات العديدة التي تحدث لإظهار هذا الربط، مثل الميزانيات المخصصة للسلطات المحلية محسوبة بالنسبة إلى الفرد والتي وصلت خلال وجود حكومة حزب العمل السابقة إلى الثلث، بعدما كانت بالسبعينات لا تتجاوز عشر المخصصات للفرد اليهودي، وهكذا فإن التغيير في وضعية هذا الوسط هو عملية مستمرة بالتدريج منذ أن نشأ بإسرائيل نظام الحزبين السياسيين (منذ انقلاب انتخابات مارس ١٩٧٧)، وهو النظام الذي جعل من الوسط العربي أهمية في المنظومة السياسية، كما يذهب إلى ذلك بشارة، وبنيامين نويبرج .ولكن هذا التغيير والدينامية في أوضاع الوسط العربي لم تطل ثلاثة محددات أساسية :

*أولهما ، استمرار سياسة التمييز في توزيع الخير العام والثروة الاجتماعية بين الوسطين العربي والإسرائيلي. استناداً إلى أن دولة إسرائيل هي دولة الأكثرية اليهودية في طابعها العام وجوهرها وسلم أولوياتها القومية، كما بين ذلك القانون الصادر عام ١٩٨٥ , مما قاد إلى وجود فجوات في مجالات التعليم والعمالة وتركيبة اليد العاملة، والتميز في شغل الوظائف القيادية ..فعلي سبيل المثال يورد عمانوئيل سيفان أنه من مجموع ٦٤٠ من كبار موظفي الدولة أو مدراء القطاع العام لا يزيد عدد العرب عن ٣ فقط، كما لا يتجاوز عددهم ١٥ شخصاً بين الأعضاء الـ ١٠٦٠ المعينين في مجالسي إدارات شركات القطاع العام، وأن الحال لا يختلف كثيراً في القطاع الخاص.

*ثانياً، أن الوسط العربي ما يزال لا يتمتع بحقوق جماعية، وبحقوق الأقلية الجماعية، باستثناء الجانب الديني حق التعبير عن نفسه كطائفة وملة .

وثمة العديد من الاجتهادات النظرية التي حاولت عقلنة وتفسير ظاهرة التمييز والتطور اللامتكافئ بين الوسطين العربي واليهودي في دولة تعرّف نفسها بأنها دولة ديمقراطية .وتحمل هذه الاجتهادات في طياتها مدارس للفكر السياسي - الاجتماعي السائدة بإسرائيل، وهي :

*أولا، تفسير منظري المؤسسة الإسرائيلية - التقليدية .والتي تعاملت مع ظاهرتي التمييز والتطور اللامتكافئ من منطلق نظرية التحديث، التي تقول بوجود فجوة بين مجتمع

المستوطنين اليهود صاحب الحداثة الأوروبية، ومجتمع السكان المحليين الفلسطينيين، الذي يمر بعملية تحديث وافدة عليه، وتكاد تكون الجامعة العبرية بالقدس وأساتذتها من أشد أنصار هذه المؤسسة التقليدية والمحافظة في نفس الوقت.

وقد تعرضت القوة التفسيرية لمدرسة التحديث للعديد من الانتقادات من داخل وخارج الوسط اليهودي ومجملها أن عملية الحداثة الإسرائيلية كانت بالنسبة إلى الفلسطينيين كشعب إجهاضاً تاريخياً لعملية تحديثهم، التي بدأت بدون شك قبل عام ١٩٤٨، ثم سد طريق التحديث أمام الوسط الفلسطيني - العربي بعد هذا التاريخ وطوال عقدين كاملين، وذلك بفقدان هذا الوسط نخبه الاقتصادية والسياسية والثقافية والأهم فقدان المدينة الفلسطينية، وبقائه مجتمعاً قروياً يتعايش عن طريق العمل مع المدينة اليهودية التي لا تستوعبه .ثم فقد القرية بفقدانه الزراعة، فبقي لا هو مدني ولا هو قروي .مع فقدان الهوية المكانية باتت الحداثة اليهودية هي الحداثة الوحيدة التي يعرفها، وفرضت عليه قسراً والتي انضم إليها مقلداً ومهمشاً ومطالباً بحقوق المساواة في أفضل الحالات .وفضلا عما قاد إليه هذا التحديث القسري من آثار مشوهة على المواطن الفلسطيني داخل الوسط العربي.

*ثانيا، تفسير منظري المدرسة الليبرالية - الاجتماعية .التي تسعى إلى تجاوز المعضلات القيمية التي تطرحها ظاهرة التمييز المتواصلة بحق الوسط العربي على البعد الديمقراطي للدولة الإسرائيلية وخطورة مقولاتها، التي تكاد تنحصر في جامعة حيفا، وبعض إمتداداتها بالجامعة العبرية، في كونها تسعى إلى عقلنة هذا الواقع بقصد تكريسه، وليس العمل على نقده وتغييره، وهي :

*إسرائيل ليست دولة متعددة القومية، ومن ثم فإن ديمقراطيتها ليست من النوع التوافقي Consociational Democracy المحايد بين مجموعات قومية، لكل منها إرادتها المتبلورة جماعياً وحقها في المعارضة والنقض .فهي ليست من الناحية الحقوقية دولة متعددة القوميات واللغات بحكم التعريف كما هو الحال في سويسرا وكندا ..كما أن الأقلية القومية فيها (الوسط العربي) غير معترف له بهذه السمة الجماعية، التي تضع مواطنيه على قدم المساواة مع المجموعات القومية الأخرى، إذ لا يرد مصطلح الأقلية القومية في كافة الإصدارات الرسمية، وفي مقدمتها كتاب الإحصاء السنوي، الذي يشير إليها بوصف "غير اليهود ."

*إسرائيل ليست ديمقراطية ليبرالية - اندماجية، تتعامل مع قاطنيها بالمساواة من مجرد تعريفه كمواطن، ولا تنطلق من تعريف مدني للأمة كما هو الحال في فرنسا والولايات المتحدة .فإسرائيل ليست دولة لجميع مواطنيها، وإنما دولة اليهود .كما أن العرب الذين يعيشون فيها لا يشكلون مع اليهود أمة إسرائيلية ديمقراطية واحدة فشعب إسرائيل يعني الأمة اليهودية فقط .

*إسرائيل ليست ديمقراطية أسياد Herrnevolk Democracy حيث تقتصر لديمقراطية على فئة سكانية بعينها .فالوسط العربي ليس مستثنى من الديمقراطية الإسرائيلية، مع أنها ديمقراطية اليهود .

وإزاء هذا الواقع المعقد والمتعدد، بلور منظري هذه المدرسة، وفي مقدمتهم البروفيسور سامي سموحا أستاذ علم الاجتماع بجامعة حيفا نموذجاً حاول من خلاله محاكاة وعقلنة الواقع، وهو النموذج القائم على ما يسمى الديمقراطية العرقية Ethnic Democracy. فالدولة هنا عبارة عن أداة في يد الأغلبية القومية التي تسيطر عليها، ومن ثم لا مجال للحديث عن أمة مدنية والوسط العربي داخل هذه الدولة إن كان يعامل أفراده وينعموا ببعض حقوق المواطنين كأفراد، فإن أقصى ما يطمحون إليه هو الحصول على حقوق جماعية كأقلية قومية .من هنا تكمن الخطورة التكريسية لهذه التفسيرات وقبل سموحا، حاول كلود كلاين عميد كلية الحقوق بالجامعة العبرية سابقاً طرح فكرة الحكم الذاتي للوسط العربي، لا كخطوة نحو المساواة، وإنما من أجل تجنب معركة المساواة مع الوسط اليهودي بإسرائيل، وهي معركة لابد من أن يعاد فيها طرح قضية الطابع الصهيوني للدولة الإسرائيلية والمميز لتطورها .

*ثالثاً، تفسير المدرسة القومية .التي تستحضر في تعاملها مع الوسط العربي المحددات المحيطة بالصراع العربي - الإسرائيلي إما بالإيجاب أو السلب .فهو يستحضر إيجابياً لدى أولئك الذين مازالوا يعتقدون باستمرار الصراع القومي وبعدم ولاء الوسط العربي للدولة، من أبرز منظري هذا التيار أفنير ريجيف، والبروفيسور أرنون سوفير أستاذ الجغرافيا السياسية بجامعة حيفا .ومن الناحية الأخرى، فهو يستحضر سلباً عند التيار الداعي إلى التسوية السياسية واندماج إسرائيل داخل منطقة الشرق الأوسط، وأن الوسط العربي أثبت ولاءه لدولة إسرائيل بصفة عامة .وهذا التيار بمثابة امتداد موضوعي للمدرسة الليبرالية - الاجتماعية، والتي ينتمي معظمها إلى المعسكر المؤيد للعملية السلمية .ومقولات كلا التيارين ما هي إلا إعادة إنتاج بصورة أخرى لمثيلتها السائدة لدى المدرستين السابقتين المحافظة والليبرالية.

وإذا تجاوزنا في النهاية هذه التفسيرات النظرية التي حاولت تأصيل طبيعة التطور السياسي والاجتماعي والثقافي لدى الوسط العربي بإسرائيل ومداه المتوقع، إلى الرؤية الواقعية وخبرتها التاريخية فسوف نجد أن كافة الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة عمالية وليكودية، قد كرست تمييزها ضد أفراد هذا الوسط، وسيطرتها ورقابتها عليهم عن طريق تسخير جهاز الدولة لخدمة الأكثرية اليهودية .دون أن ينفي ذلك الطابع النسبي المتزايد لهذا التمييز الذي يبلغ مداه في حالة الحكومات الليكودية، بينما يتداعى بشكل كبير في حالة الحكومات العمالية .وتكاد تكون سياسة استثمار الدولة كأداة لخدمة اليهود هي المسئولة عن كافة الفجوات القائمة والفاصلة بين الوسطين اليهودي والعربي .ولا شك أن تقويض أركان هذا الاستثمار سوف يكون أحد أهم أهداف هذا الوسط في القرن القادم.

٢

رؤية

التعانق بين الظاهرة الاجتماعية والظاهرة الدينية في الانتخابات الأخيرة : الجذور والمستقبل

عبد العزيز شادى

أولا الجذور :

بلغ عدد اليهود الشرقيين الذين شاركو فى الاقترا ع الاخير عام ١٩٩٩ ١,٤٥٠,٠٠٠ بنسبة ٣٣,٩٪ من الذين أدلوا بأصواتهم ، وهم بذلك قد أعطوا أصواتهم لحوالى ٤١ مقعدا فى الكنيست (١) ، وشكلوا أكبر كتلة عرقية فى الانتخابات مقارنة بالكتل العرقية الاخرى كالاشكناز (٢٧,٧٪) ، والجيل الثانى (١١,١٪) ، والعرب (١٢,٢٪) (٢) .

يعطى هذا التوزيع العرقى للأصوات وللمقاعد الانطباع بأن الشرقيين قد أصبحوا الاغلبية فى دولة اشكنازية الأصل والنشأة ، فالإشكناز هم الذين استوطنوا فى فلسطين وخلقوا أجهزة الدولة وأعلنوا قيامها وخاضوا فى سبيلها الحروب، وشردوا الشعب الفلسطينى من أجل انشاء دولتهم ، فالدولة الاستيطانية الاسرائيلية اشكنازية ثم شهدت هجرات من يهود الشرق الأوسط والذين لقبوا بالسفارديم (الشرقيين) ، واحتلوا دائما المرتبة الثانية فى السلم الاجتماعى / الاقتصادى / السياسى، لدرجة أن البعض تحدث عن اسرائيل الثانية ، ولقد انفجرت ثورات الاحتجاج لدى هؤلاء المضطهدين فى بداية السبعينات فى حركة اطلق عليها "اليهود السود" ، ثم ترجموا هذا الاحتجاج سياسيا فى عام ١٩٧٧ عندما وصلوا بالليكود الى السلطة لأول مرة عام ١٩٧٧ ، وهو العام الذى وصل فيه مناحيم بيجين لمنصب رئاسة الحكومة .

يبدو أن اختيارهم لليكود لم يؤد الى تحسين أوضاعهم ، فانشق بعضهم عن الائتلاف الذى حكمه بيجين عام ١٩٨٢ وكونوا قائمة من المغاربة المتدينين أطلقوا عليها اسم "تامى" أو التقاليد ، وكانت تلك بداية التعانق بين الظاهرة الاجتماعية من جانب والظاهرة الدينية من جانب آخر ، فاليهود المغاربة قرروا الانفصال عن حزب المفدال الحليف الائتلافى فى ذلك الوقت لليكود ، وكونوا هذه القائمة .

ولكن رجوعها الى المفدال مرة أخرى أعطى الانطباع بعدم جديتها ، وهنا نجد أن اليهود الشرقيين اختاروا الانشقاق مرة أخرى عن حزب أجودات المتدين عام ١٩٨٤ وكونوا قائمة "شاس" ، بعد أن لاحظوا مدى الاضطهاد الواقع على مدارسهم وأبنائهم وأحيائهم مقارنة باليهود المتدينين من أصول غربية الذين سيطروا على أجودات منذ نشأته وحتى عام ١٩٨٤ ، ولقد حصلوا على تأييد حاخام أرثوذكس كبير وهو عوفاديا يوسف ، وأصبح هو المرجعية الخاصة بهم، ولمجلس حكماء شاس فتاوى دينية هامة فى مجال الصراع العربى / الاسرائيلى ، فعندما وصل رابين للحكم فى عام ١٩٩٢ ، وبدأ عملية السلام ، أصدر مجلس حكماء شاس فتواه المؤيده لرابين والتى قال فيها بأن الدم اليهودى له أولوية على الأرض اليهودية ، وأصبحت شاس منذ ذلك الوقت المحطة الثانية فى طريق التعانق بين الظاهرة الاجتماعية (الوضع السئ نسبيا لليهود الشرقيين) من جانب ، والظاهرة الدينية من جانب آخر .

شكلت لحظة اغتيال رابين على يد طالب يهودى متدين يدرس فى الجامعة الدينية الاشكنازية (بارايلان) ضربة قوية لهذا التعانق، ودفعت الى السطح بدلا منه انقساما هدد وحدة المجتمع الاسرائيلى ، ذلك الانقسام بين المتدينين والعلمانيين ، فلقد توارى الانقسام بين الشرقيين من جانب والغربيين من جانب آخر ، وأصبح للانقسام الجديد خطورته على شرعية الدولة والمجتمع ، فلأول مرة فى تاريخ اسرائيل كدولة يدعى يهودى عدم شرعية قيادته التى وصلت الى الحكم بطريق ديمقراطى ، ولأول مرة تتناقض الشرعية الدينية مع الشرعية السياسية الاجرائية الديمقراطية .

احتاج المجتمع الاسرائيلى فى ذلك الوقت الى قيادة تحفظ له شرعيته القومية الدينيه ، وتحفظ له مصادر وجوده واستمراريته ، وفى مثل تلك الازمات الكاشفة عن حقيقة الكيانات الإستيطانية تبرز الاختيارات الحقيقية للمجتمع ، بعبارة أدق تبرز على السطح اولويات تفكير المجتمع الاستيطانى فى اختيار من يحافظ على وجوده ، هل يحافظ على وجوده رجل شرق أوسطى صاحب مشروع سلام ؟ أم يحافظ على وجوده رجل ديماجوجى ايديولوجى ؟ ، ومن هنا كان اختيار اغلبية المجتمع الاسرائيلى لبنيامين نتنياهو ليعالج هذا الصراع.

تفهم المجتمع الدولى - الذى يرفض التطرف والعنف ومن يجسده من نظم وشخصيات - لاختيار المجتمع الاسرائيلى لبنيامين نتنياهو ، فلقد أدركت الادارة الامريكية حرج اللحظة

الخاصة بالمجتمع الاسرائيلى، ولم تحاول التدخل فى تحديد أولويات المجتمع الاسرائيلى فى هذه اللحظة التاريخية ، بل لم تمارس أية ضغوط على بنيامين نتنياهو طيلة الفترة الاولى (السنة الأولى من حكمه) من حياته السياسية ، فلقد فهمت الادارة الامريكية خصوصية الحالة النفسية الخاصة بالمجتمع ، ووعيت الاسباب التى حدت بالمجتمع الاسرائيلى الى اختيار الأمن والشوفيتيه القومية على حساب الرفاهية الاقتصادية والسلام، ففى لحظات الانقسام القومى داخل الكيانات الاستيطانية ، يحتاج المجتمع الاستيطانى الى من يعيد إليه ذاكرة العدو الخارجي والخطر المحبط حتى يرفع لدى ذلك المجتمع عنصر الوحدة والتوحد، فيدفع لدى التركيبات العرقية المختلفة الاحساس بالخطر الخارجي كى تتناسى خلافاتها الأيديولوجية السياسية والاقتصادية ، وهذا مافعله نتنياهو خلال السنتين الأولتين من حكمه .

فلقد ضحى نتنياهو بالمسألة الاجتماعية (الانقسام الاشكنازى / السفاردى) لكى يحافظ على وحدة المجتمع فى مواجهة الانقسام الدينى / العلمانى ، فأعلى من شأن ماهو قومى وتاريخى على حساب ماهو اجتماعى ، والمعروف أن ماهو دينى فى اسرائيل هو بالضرورة قومى .

فلقد حرمت فئات كثيرة من اليهود الشرقيين ومن العرب من كافة الخدمات لصالح فئات تؤمن بالاستيطان ومعاداة العرب، فلاصوت يعلوا فوق صوت المعركة ، والمعركة هنا اكتساب مزيد من الأرض بالاستيطان القومى الدينى، وعدم اعادة أرض اسرائيل الكبرى الى العرب، والاستهانه بمشاعر فقراء اسرائيل الحالية من أجل انبياء اسرائيل الكبرى فكانت النتيجة هى مزيد من التوتر ليس فقط بين المتدينين والعلمانيين ، بل ايضا بين الفقراء والمحرومين من جانب اليهود الشرقيين والعرب) والأغنياء والمؤدلجين من جانب آخر (المتدينين والقوميين الاشكناز) .

لذلك لم يكن غريبا أن يثور يسحاق ليفى على نتنياهو ويتحالف مع باراك ، ولم يكن عجيبا أن ينسحب موردخاى من حكومة نتنياهو ويؤلف حزبا وسطا ، وليس من العجائب أن ينافس عزمى بشارة ممثل العرب على رئاسة الوزارة ثم ينسحب لصالح باراك فى اللحظات الأخيرة ، ولا يجدر بناهنا أن ننسى أن للمجتمع الدولى والاقليمى دوره فى التأثير على التطور السياسى وعلى تعانق الظاهرة الدينية مع الظاهرة الاجتماعية فى الانتخابات الأخيرة .

ثانيا : العولمة والتعانق بين الظاهرة الاجتماعية والظاهرة الدينية فى انتخابات ٩٩ :

اذا كانت لحظة اغتيال رابين قد شكلت أزمة كاشفة للطبيعة العنصرية الشوفينية للمجتمع الاستيطانى الاسرائيلى فانها قد أصبحت لحظة انفصام على المستوى الايديولوجي والتطور السياسى فى اسرائيل عن التطور الايديولوجي والسياسى للنموذج الحضارى الغربى الذى يشكل المرجعية الحضارية للمجتمع الاسرائيلى .

فالمجتمع الغربى لجأ على مستوى ايديولوجيته وتفعيلاته السياسية الى اختيار الطريق الثالث لكى يقوده الى القرن الواحد والعشرين ولعل كل من شرودر وكلينتون وتونى بلير خير ممثلين لهذا الوجه ، ويحرص زعماء هذا الاتجاه على تحديد شعوب العالم المستغل بشعارات وبكلمات تخفف من عبء الاستغلال نفسيا ، لذلك نجدهم قد استوعبوا ما حدث فى اسرائيل لمدة سنة حتى يواصلوا بعد ذلك مسيرتهم فى اعادة تشكيل خريطة المنطقة (الشرق الاوسط) لكى تتسق وتتفق مع عقائدهم ، وفلسفاتهم ، ونجحوا فى ذلك فى مصر وايران ، وأعادوا رسم خريطة منطقة الخليج وباتت شعوب المنطقة مهيأة لجنى ثمار التحالف بين نظمهم من جانب ، وزعماء الطريق الثالث من جانب آخر ، إلا أن استمرار نتنياهو فى ممارسة خطاب مناقض فى مفرداته للخطاب الدولى ، بل وكاشف لعيوب التحالف بين نظم المنطقة والنظام الدولى ، قد أدى الى إحساس هذا التحالف بالخطر ، فلقد انكشفت ورقة التوت التى كانت تستر عورة هذا التحالف بتصريحات وممارسات ذلك الزعيم المخلص لشعبه ولايديولوجيته ، لذلك كان لابد من اسقاطه ، ولقد تم ذلك الاسقاط على مرحلتين

أ - مرحلة اسقاط الحكومة :

لو لم يغتال رابين لما وصل نتنياهو الى السلطة ، ومن أجل استمرارية استراتيجية القوة المغلفة بقفاز الحرير لابد من ازاحة نتنياهو عن السلطة، تلك كانت كلمات أحد الخبراء المتخصصين فى البعد الحضارى لعلاقة اسرائيل بدول الغرب (٣) ، وبالفعل أحضر كلينتون نتنياهو ومعه عرفات الى واى ريفر بالولايات المتحدة، وأجبر نتنياهو على التوقيع على اتفاقية تعيد للفلسطينيين بعضا من الكرامة المفقودة ، وكانت الاتفاقية بمثابة قبلة الموت لحكومة نتنياهو ، فلقد شكلت انتهاكا لتعهدات نتنياهو امام حلفائه المتدينين ، وأصبحت تضحيات الفقراء لصالح الأمن أكذوبة ، فهاهو الرجل الذى عبأ الأمة خلف شعار الأمن والأرض بكافة مواردها يتنازل لياسر عرفات عن بعض الأراضى ، وهاهو الذى اتهم رابين بالخيانة يخون ، لذلك كان لابد من معاقبته فى الكنيست عندما عاد فتخلوا عنه فى أول تصويت بالثقة على بحكومته ، وسقطت حكومته قبل موعدها حوالى سنة ونصف ، وتم تحديد موعد لانتخابات جديدة .

ب - إسقاط نتنياهو من الساحة السياسية

بعد أن سقطت حكومة نتنياهو ، كان لابد من اعادة اسرائيل الى مكانتها فى المشروع الحضارى الغربى ، لذلك كان لابد من قيادة جديدة تحرص على مصالح التحالف بين نظم المنطقة وأنصار الاتجاه الثالث فى النظام الدولى، وعلى رأس أولويات هذه القيادة ضرورة الموازنة بين اعتبارات الأمن القومى الاسرائيلى ، ومصالح التحالف، وشكل باراك التجسيد الحى لهذه القيادة، لما يجمعه من خبرة عسكرية، وتنشئة سياسية فى احضان رابين / بيريز ، ومن هنا بدأ الاعداد لتولى باراك السلطة .

كان لابد من تغيير المعادلة والاستجابة لهؤلاء الذين عانوا من سياسات نتنياهو من اليهود الشرقيين والعرب داخل

اسرائيل وخارجها ، ومن الأرقام والنسب التى تم ذكرها سالفاً شكل هؤلاء حوالى ٥٦,١٪ من أصوات الناخبين فى اسرائيل عام ١٩٩٩ ، وهى نسبة من صوتوا لصالح باراك وضد نتنياهو فى تلك الانتخابات.

ليس معنى ذلك أن كافة اصوات اليهود الشرقيين قد حصل عليها باراك وحزب العمل ، فباراك فى سباق رئاسة الوزارة حصل على نسبة عالية من أصوات اليهود الشرقيين غير المتدينين ، بينما حصل نتنياهو على أصوات اليهود الشرقيين والغربيين الأرثوذكس المتدينين (الحريديم) ، بينما اختلف الوضع فى انتخابات الكنيست .

فلقد توجهت نسبة ١٣,١٪ من أصوات اليهود الشرقيين المتدينين لصالح قائمة "شاس" المتدينة الشرقية لترتفع حرارة التعانق للمرة الثالثة بين الظاهرة الدينية من جانب ، والظاهرة الاجتماعية من جانب آخر ، ومقابل ذلك التعانق المتزايد بين هاتين الظاهرتين، نجد تحالفا لأول مرة منذ عام ١٩٧٧ بين يهود شرقيين غير متدينين من جانب، وحزب العمل الاشكنازى الأصل من جانب آخر ، فلقد تحالف باراك مع قائمة جينشر (الجسر) التى تزعمها اليهودى الشرقى ديفيد ليفى وزير خارجية اسرائيل السابق، كما دعا اسحاق موردخاى وزير الدفاع الأسبق فى حكومة نتنياهو أنصار للتصويت لصالح باراك .

فى مقابل ارتفاع نسبة التأييد "لشاس" نجد هبوطا فى الوزن النسبى للتيار الدينى الاشكنازى الذى جسده فى الانتخابات الأخيرة حزبى المفدال ، ويهود التوراة ، فلقد حصلا على ٤,٢٪ ، ٣,٩٪ على التوالى ، والمعروف أن المفدال ويهود التوراة مثلا التيار الدينى الارثوذكسى فى الائتلافات الحاكمة منذ انشاء الدولة وحتى عام ١٩٨٨ (٤) ، ويعكس ذلك التغيير فى الاوزان النسبية للأحزاب الدينية الارثوذكسية حقيقة ذلك التعانق بين الظاهرة الدينية من جانب ، والظاهرة الاجتماعية من جانب آخر .

فالمتدينين فى اسرائيل شكلوا أحزاب وقوائم انتخابية .
لا تعكس خلفياتهم الايديولوجية ، وانما تعكس أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية ، ولذلك جذوره التى ذكرناها آنفا ، إلا أنها هذه المرة قد أصبحت أكثر وضوحا وصراحة ، وتغلبت فيها كفة اليهود والارثوذكس الشرقيين والمعروف أن نسبة الخصوبة لدى اليهودية الشرقية أعلى من نسبة الخصوبة لدى الاشكنازية ، ومن ثم فيالديموجرافية السكانية للحريديم الشرقيين أعلى من الحريديم الاشكناز ، ولقد أعطت مشكلة "ارييه درعى Aryeh DERI" زعيم الحزب دفعه لتركيز أصوات الحريديم الشرقى لصالح "شاس" .

فلقد أتهم درعى زعيم الحزب بإحدى تهم الفساد السياسى ونجح درعى فى تجسيد الأزمة على أنها اضطهاد ضد اليهود الشرقيين ، ولا سيما وأن هناك كتابات برزت فى أعقاب الانتخابات تؤكد أن فوز "شاس" بهذه النسبة هو تقويض للموسسة القضائية ولشرعية الدولة القانونية (٥) ، فكان هذا النجاح هو تأكيد للفساد السياسى ، وتغاضى أنصار هذا الرأى عن البعد الاجتماعى / السياسى لهذا النجاح ، فلماذا لم يتوجه اليهود الشرقيون أنصار "شاس" الى حزب آخر ؟ لأنهم آمنوا بان هناك مؤامرة ضد اليهود الشرقيين المتدينين ، والمعروف أن باراك قد دعى أثناء الانتخابات الى تقليل امتيازات اليهود المتدينين الارثوذكس لاسيما فى مجال التجنيد العسكرى ، فلقد كان هناك اتفاق أطلق عليه "الأمر الواقع" ينص منذ نشأة الدولة على اعفاء المتدينين من الخدمة فى الجيش كغيرهم ، ولكن لهم طريقهم الخاصة، ولذلك شكلت دعوة باراك استفزازا لليهود المتدينين، فصوت جزء منهم (فى انتخابات الكنيست) لصالح حزب الوسط ، ولصالح الليكود ، وصوت الباقى لصالح شاس والمفدال، وليس لصالح الليكود الذى لم يقدم لهم خدمات أثناء توليه السلطة منذ عام ١٩٩٦ .

أضف الى ذلك ان مسألة الفساد السياسى ليست تهمة قاتلة فى الكيانات الاستيطانية ، فتاريخ اسرائيل حافل بقادة تم اتهامهم بالفساد السياسى ، ثم عادوا الى السلطة أقوى من ذى قبل عندما احتاج المجتمع اليهم ، فرابين Rabin على سبيل المثال تم اتهامه بالفساد عندما اتضحت فضيحة زوجته عام ١٩٧٦ والخاصة بحساباتها فى البنوك الامريكية ، لكنه عاد فى عام ١٩٩٢ أقوى من ذى قبل ، بل أصبح رمزا من رموز الشرعية السياسية فى اسرائيل ، وبناءا عليه لا يعد اتهام زعيم حزب شاس السياسى Aryeh Deri بالفساد ضربة قاتلة، بل لقد نجح فى تحويلها لصالحه ، وحصل حزبه على نسبة عالية من الانتخابات .

وعندما أعلنت نتائج الانتخابات قفز الى ذهن البعض أن هناك تصاعدا فى الوزن النسبى لليمين الدينى مقابل تدهور الوزن النسبى لليمين القومى (الليكود) ، ولهؤلاء بعض المصداقية عندما ننظر الى الجدول التالى الذى يوضح الوزن البرلمانى لليكود وللعمل مقابل الاحزاب الدينية مجتمعه :

جدول رقم ١ الوزن البرلمانى الانتخابى لليمين الدينى والقومى والعمل

القائمة	عدد الأصوات	النسبة
١ – العمل	٦٢٧,٧٧٦	٢٠,٢٪
٢ – الليكود	٤٣٥,٥٤٢	١٤٪
٣– أ– شاس	٤٠٨,٧١٢	١٣,١٪
ب– المفدال	١٣١,٠٦٥	٤,٢٪
ج – يهود التوراة	١٠٩,٠٧٩	٣,٩٪
د – مجموع الاحزاب الدينية	٦٤٨,٨٥٦	٢١,٢٪

مصدر الجدول : مختارات اسرائيلية يونيو ١٩٩٩ ص ٥٩

وبالفعل فإن الاحزاب الدينية مجتمعه حصلت علي ٢١,٢٪ من أصوات الناخبين مقابل ٢٠,٢٪ لقائمة اسرائيل واحدة التي تجسد التحالف العمل مع قائمة جينشر، و١٤٪ لليكود، والارقام تفضي من أية نظرة متعمقة الى القول بصعود اليمين الديني على حساب اليمين القومي (الليكود)، وعلى حساب تحالف العمل جينشر، لكننا علينا أن نضع في اعتباراتنا الآتي:

١ - الدين أحد أسس شرعية الدولة وهو جزء من النسيج الايديولوجي لكافة القوى السياسية من أقصى اليمين الي اقصى اليسار بدرجات مختلفة، ومن اقصى اليمين الي اقصى اليسار بدرجات مختلفة، ومن ثم لا يمكننا القول بوجود تكتل سياسي معين يمثل الديني سياسيا في اسرائيل، وإن كان هناك أحزاب وقوائم دينية سياسية فإنها تعبير عن القوى الاجتماعية التي تسعى الى تسييس للدين وليس تعبيرا عن وجود قوى علمانية تجحد دور الدين في المجتمع، والمجتمع الاسرائيلي هنا شأنه شأن كافة النظم الاستيطانية التي تعتبر الدين أحد عناصر شرعيتها وتكاملها، ويتشابه كذلك المجتمع الاسرائيلي هنا مع كافة المجتمعات المحيطة به، فالمجتمع المصري على سبيل المثال متدين لكن هناك قوى معينة تسعى الى تسييس الدين.

٢ - لا يمكننا اعتبار الاحزاب والقوائم الدينية تكتلا سياسيا متجانسا مؤسسا بشكل متكامل، فهناك اختلافات داخل القوى الدينية الارثوذكسية بين شرقيين وغربيين، وداخل تلك القوى هناك مرجعيات دينية مختلفة، فعوفاديا يوسف يمثل المرجعية الدينية لشاس، وهو أكثر اعتدالا في مواقفه من السياسة الخارجية الاسرائيلية مقارنة بمرجعية المفدال أو يهود التوراة.

٣ - الوزن النسبي لهذه القوائم والاحزاب الدينية داخل البرلمان يعطيهم دورا سياسيا نتيجة للطبيعة الائتلافية للحكومة الاسرائيلية، فدورهم السياسي أكبر بالفعل من وزنهم البرلماني، فحاجة الزعيم السياسي الذي يشكل الحكومة لشركاء في ائتلافه يدفعه الى تقديم تنازلات للاحزاب الصغيرة ومنها الاحزاب والقوائم الدينية كي تدعمه داخل الكنيست في اي حالة من حالات التصويت بالثقة ضده، وتمثل هذه التنازلات مناصب وزارة تعكس عملية التخصيص السلطوي للقيم، وهي عملية ليست دائما لصالح الاحزاب الدينية في اسرائيل، فهي تعتمد على خريطة القوى الحزبية في داخل الكنيست في ذلك الوقت، وطبيعة الضغوط الدولية والاجتماعية الداخلية في لحظة تشكيل الحكومة الائتلافية.

إن خريطة القوى الحزبية - في ظل انتخاب رئيس الوزارة بمعزل عن الكنيست لآخر مرة - أعطت لباراك قدرا كبيرا من الحرية في تشكيل حكومته الائتلافية، فلم يغلق باراك الباب أمام أيا من الاحتمالات، وأمام أيا من الاحزاب والقوائم، فكافة الاحزاب - بما فيها الليكود - سعت الى المشاركة في الائتلاف، ولم يمتلك حزب باراك نسبة من المقاعد تقلل من حاجته لشركاء ائتلافيين مثل شاس أو الليكود، فنسبة ٢٠,٢٪ التي حصلت عليها قائمة اسرائيل موحدة جعلته يحتاج الى ٣٠,٨٪ لكي يحصل على نسبة ٥١٪ داخل الكنيست، وهي نسبة لا تمتلكها الاحزاب الدينية بمفردها، ناهيك عن انقسامها على نفسها، ومن ثم فإن قدرتها على التأثير على عملية تشكيل الائتلاف أصبحت ضعيفة، وذلك لتفككها، وعدم امتلاكها بمفردها للنسبة المطلوبة.

فالتعدد الحزبي وتقارب القوة البرلمانية للاحزاب والقوائم الكبرى اضعف الفرص النسبية للاحزاب الدينية وحولها الى قوى مساندة بدلا من تحولها الى قوى ضاغطة في اتجاه مصالحها، وساعد على ذلك الانقسامات العرقية الاشكنازية / السفاردية والضعف المؤسسي الخاص بتلك القوى.

أضف الى ذلك أن الضغوط الداخلية في اسرائيل الآن قد أوجدت الحاجة الى استثمارات ومساعدات دولية من الولايات المتحدة وأوربا الغربية حتى يستطيع باراك أن يخصص قيما أكثر لكافة القوى التي انتخبته والتي ستنتخبه في الانتخابات القادمة، فالضغوط جاءت من قوى اجتماعية محرومة مثل الشرقيين والعرب، ولذلك سعى باراك الى ادماج تلك القوى في تحالفه وائتلافه الحكومي، وهي قوى ليست متحمسة كثيرا لمعاداة النظام الدولي، وليست متحمسة كثيرا لمزيد من الصدام الاقليمي، بل هي قوى تهتم كثيرا بمصالحها الفئوية العرقية الداخلية، كتحسين مستوى معيشتهم، ومنح مدارسهم مزيدا من الدعم، وإعفاء ابناءهم من الخدمة العسكرية، وخفض نسبة البطالة، ودمج العرب أكثر في الحياة السياسية، كل ذلك يفرض على باراك أن يتجنب الائتلاف مع قوى اليمين القومي المتطرف، مثل الاتحاد القومي بزعامة بن بيجين، أو الليكود، ويضعف من فرص المفدال، وان كان لاينهيها، فباراك يحتاج الى شريك يعطيه مبررا للتشدد أحيانا أمام المفاوض الفلسطيني أو السوري، والمفدال خير من يفعل ذلك، و"شاس" شريك ائتلافي يعطي لباراك حرية حركة خارجيا مقابل امتيازات داخلية تتعلق بالتعليم والخدمة العسكرية، وهي ممكنه، لاسيما بعد أن استقال اربيه درعي من موقعه كرئيس سياسي للحزب، فأعفى باراك بذلك من اشكالية الفساد السياسي وأثرها على صورة الائتلاف سياسيا وقانونيا.

فالصورة الداخلية في اسرائيل الآن تشهد تعانقا متزايدا بين انصار الطريق الثالث من جهة (باراك)، وأنصار التيار الديني الاجتماعي (شاس)، وهو تعانق هام يؤيده التحالف الدولي / الاقليمي المحيط والذي يشكل قمة العولمة والطريق الثالث، فماذا عن مستقبل هذا التعانق بين التيار الاجتماعي من جانب، والتيار الديني من جانب آخر؟

ثالثا: المستقبل:

يصعب الحديث عن المستقبل في الظواهر الاجتماعية والسياسية بشكل حاسم وحازم، لكننا نقول بأنه طالما

استمر أنصار الطريق الثالث دوليا وإقليميا فى دعم باراك، وطالما لم يحدث أى تغير فى البيئة المحيطة لصالح الحركات الدينية الأصولية ، وطالما نجح باراك فى الوفاء بوعوده تجاه القوى التى انتخبته (شرقيين وعرب واشكناز) ، فإن التعانق بين الظاهرة الاجتماعية من جانب ، والظاهرة الدينية سيتوقف عند هذا الحد، ولن نزيد قوته أكثر من ذلك ، والعكس صحيح .

فإذا صعدت قوى يمينية فى الولايات المتحدة وأوربا الغربية ، واذا تزايدت حوادث العنف والارهاب اقليميا وداخليا بواسطة الحركات الدينية الأصولية ، واذا فشل باراك فى حسم المسألة السفاردية والعربية داخل اسرائيل ، فسوف تتزايد قوة "شاس" ، وستزداد درجة تطرفها ضد التسوية السلمية .

المصادر :

١ - مختارات اسرائيلية ، العدد يونيو ١٩٩٩ ص ٥٨

٢ - المرجع السابق

٣ - راجع فى ذلك

- عبد العزيز شادى ، مفهوم الجوار الحضارى : دراسة تطبيقيه على علاقة اسرائيل بالغرب ١٩٧٧ - ١٩٩٨ . (القاهرة : دار الغريب للطباعة الحديثة ، ١٩٩٨) .

٤ - راجع فى سبيل ذلك .

عبد العزيز شادى دور الاحزاب الدينية فى النظام السياسى الاسرائيلى ، كتاب تحت الطبع (القاهرة ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام).

٥ - عامى فدهستور ، اليمين التطرف لعام ١٩٩٩ ، مختارات اسرائيلية ، يونيو ١٩٩٩ ، ص ٢٤ .

٣

رؤية

التنشئة الاجتماعية في اسرائيل ومحاولة صهر عناصر ومكونات الثقافات السائدة

أمين اسكندر

لقد أخذت الحركة الصهيونية على عاتقها . منذ أن بدأت تنظيم دعوتها الموجهة لليهود وحتى قيام الدولة - مهمة صهر العناصر والمكونات المتعددة التى جاءت من الموروث التاريخى لليهود والواقع المعاش فى مجتمعات متعددة ذات ثقافات عديدة بالنسبة ليهود الشتات ، حتى تتشكل ملامح لشخصية الشعب وشخصية الجماعة. ولما كانت شخصية الجماعة - حسبما جاء فى كتاب الشخصية الاسرائيلية "الاشكنازيم" للدكتور قدرى حفنى - الطبعة الثانية ١٩٧٨ - هى مجمل تلك الخصائص المستمرة نسبيا الذى يكفل فهما تفسيريا وتنبؤيا للنشاطات الظاهرة لاعضاء جماعة معينة فى فترة تاريخية محددة، يتسم بالاتساق داخليا وخارجيا".

فقد كان لابد من الدمج بين الدين اليهودى كخصيصة مستمرة لليهود وبين الصهيونية كعقيدة معززة للشعور الدينى وموجهة له قوميا .

لذا كان طبيعيا أن تتصدر قرارات المؤتمر الصهيونى السابع والعشرين المنعقد فى عام ١٩٦٨ ديباجة تنص على ان "محاولة التفريق بين الصهيونية وبين الشعب اليهودى محاولة اجرامية لتضليل الرأى العام".

ويعلن بن جوريون امام ذلك المؤتمر ٢٧ "أن الصهيونية هى أم الثورة اليهودية ، فهى التى جاءت بى وبمن سبقنى وبمن سيأتى بعد ذلك الى ارض اسرائيل . نحن يهود إذن نحن صهيونيون".

وانطلاقا من ذلك الربط بين اليهودية والصهيونية ، جاء فى مقدمة قرارات المؤتمر الصهيونى السابع والعشرين "أهداف الصهيونية هى : وحدة الشعب اليهودى ، ومركزية دولة اسرائيل فى حياة الشعب، تجميع الشعب اليهودى فى وطنه التاريخى ارض اسرائيل بالهجرة من جميع البلاد ، تدعيم دولة اسرائيل القائمة على نبوءة الأنبياء فى العدل والسلام، المحافظة على خاصية الشعب بتطوير التربية اليهودية والعبرية، وبث القيم الروحية والتربوية اليهودية ، الدفاع عن حقوق اليهود فى جميع الأماكن التى يقيمون فيها" .

وهكذا أصبحت الصهيونية هى العقيدة الحاكمة لجمع من الشتات ذات الأصول والثقافات المتعددة، ولم يكن ذلك كافيا يصهر تلك الجماعات المتعددة بل كان لابد من إعادة تنشئة اجتماعية داخل إسرائيل، دولة الحركة الصهيونية ، حتى تتجانس تلك الجماعات وتلتف حول قواسم مشتركة ، ويجد أفرادها انتماء الى تاريخ بعينة ، عندها فقط. يصبح لتلك الجماعات تاريخ مادى تحول الى واقع نفسى ، وهكذا تتشكل خصائص الجماعة والشخصية .

وعن ذلك يقول د . قدرى حفنى فى كتابه "الشخصية الاسرائيلية" لابد لنا هنا من تفرقة بين التاريخ كواقع شخصى للأفراد، والتاريخ كواقع مادى للأمم . فالتاريخ كواقع مادى لشعب من الشعوب هو تلك الاحداث المتتالية التى وقعت لذلك الشعب تاركة آثارها على أفراده، ومن خلال وحدة تلك التأثيرات يتحول ذلك الواقع المادى الى واقع سيكلوجى بأن تقوم الاجيال المتعاقبة لذلك الشعب بنقل تلك التأثيرات فى وحدتها من جيل الى آخر، ومن هنا ينشأ ما يمكن أن يسمى الاحساس بالتاريخ أو ما يمكن أن نطلق عليه التاريخ كواقع سيكلوجى . فالتاريخ يمارس تأثيره على الافراد من خلال نوع من التعليم تتكفل به عملية التنشئة الاجتماعية التى تجرى فى المجتمع" .

وقد قامت الصهيونية بالدور الهام فى تحول التاريخ من واقع مادى الى واقع سيكلوجى ، وكان لابد من تبنى واعتماد استراتيجية شاملة لتنشئة الاجتماعية تعتمد على شبكة من الاساليب والادوات تبدأ بالتعليم والاعلام والابداع والثقافة والسينما والاحزاب والجماعات النقابية والسياسية والثقافية وتستمر بشكل متجدد حتى يتم خلق الروابط والقواسم بين تلك الجماعات ، مما يساعد على ابراز الصفات المشتركة والخصائص المميزة .

والتنشئة الاجتماعية هى العملية التى يتم من خلالها نقل القيم والمعتقدات والعواطف السياسية الى الاجيال اللاحقة وتبدأ هذه العملية فى عمر مبكر وتستمر طوال الحياة عن

طريق مؤسسات الأسرة والمدرسة والمؤسسة الدينية وجماعات العمل والحزب السياسي.
وفي دائرة المعارف الدولية للعلوم الاجتماعية تعرف التنشئة السياسية (ومن المعروف أن الاجتماعية اشمل وأكثر اتساعاً) بأنها "التلقين الرسمي وغير الرسمي".
ويتنبأ كل من العالمين الاجتماعين وليم لامبرت ، وولاس لامبرت "بأن العملية العامة للتنشئة الاجتماعية سوف تعد في يوم من الأيام متساوية مع معطيات الوراثة والنمو الشخصي كأحدى القوى المشكلة للبشر التي تكون كلا من الفروق والتشابهات".
وهذا ما حدث تقريبا في 'اسرائيل " حيث قامت عملية التنشئة العامة بدور كبير في اعادة الصياغة والتأهيل والتشكيل المجتمعي وكان رأس تلك النماذج ، ما اصطلح على تسميته جيل الصابرا، وهو جيل الشباب الاسرائيليون الذين ولدوا في فلسطين ، والذين تحملوا مشاق الاستيطان والدفاع عن مشروعهم الصهيوني الاستيطاني ، مقابل اليهود الصهاينة الذين جاءوا من الغرب المتفوق حضاريا لكي يجدوا لهم وطنا قائما وسط بحر من الاعداء - كما يقولون - .
وهؤلاء الصابرا هم نموذج لفعل مقصود ومبرمج من مخططي التنشئة الاجتماعية، ولعل ذلك ما جعل عالم الاجتماع الفرنسي، والرئيس الأسبق للجمعية الدولية لعلم الاجتماع أن يصدر كتابه المعنون "أهي نهاية الشعب اليهودي" وفيه يخلص الى : 'أعتقد أن ثمة ثقافة فرعية هي ثقافة الصابرا قد اتخذت مكانة راسخة في اسرائيل'.
فهؤلاء الصابرا هم الذين تعرضوا لتلقين منظم لثقافة قوة الجماعة، وحتمية القوة، وتواصل التاريخ اليهودي منذ دعوة موسى النبي، ومركزية التلمود، واحتقار الأغيار، وكراهية العرب، وحتمية الانتصار ، وقداسة اليهود، وقدسية وطنهم الذي عاد اليهم بعد السلب، وبطولة يشوع بن نون القدوة والنموذج.
وقد كشف د. رشاد عبد الله الشامي في كتابه "الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدوانية" من سلسلة عالم المعرفة رقم ١٠٢، عن أهمية حياة الجماعة بالنسبة للصبار عندما ذكر أن 'هناك قصة مشهورة عن 'صبار" نموذجي عاش حياته وسط مجموعة من الأصدقاء ، ثم انتهت حياته بشكل مأساوي ، إنعكست في قصة للأديب الاسرائيلي عاموس كين تحت عنوان "داني - إحياء لذكراه" .
ذات مرة حدثت كارثة، لقد سافرت الجماعة كلها خارج المدينة من أجل خطوبة أحد أعضاء الجماعة، وبقى داني بمفرده . وقد أخذ يتجول بمفرده في الشوارع ولم يلتق بأحد وقد سبب له هذا الأمر اكتئابا نفسيا. وقد انتحر لهذا السبب، ولا يعرف أحد حتى اليوم كيف فعل هذا بمفرده " .
هذا مانقصده بالتنشئة الاجتماعية داخل اسرائيل، والتي تستهدف صياغة جماعية هي أقرب لحالات غسيل المخ عبر مؤسسات عديدة، تقوم كل مؤسسة بدورها المخطط لها طبقا لوزنها النسبي في استراتيجية شاملة طويلة الأمد .

والنصوص التوارتية تدرس في المدارس الاسرائيلية من الحضانة حتى المرحلة الثانوية وبتكثيف مبرمج ، حتى تغذي الوجدان الصهيوني في اسرائيل ويأتي على رأس تلك النصوص سفر "يشوع بن نون" فهو المؤسس لتقاليد العسكرية الاسرائيلية - حسب نظرتهم له - وهو المقدس الذي نفذ وصية موسى النبي ، بحمل "تابوت العهد" أمام الجنود "وقال يشوع للكهنة احملوا تابوت العهد واعبروا أمام الشعب. فحملوا تابوت العهد وساروا أمام الشعب "(سفر يشوع (٥-٢)) ومازال جيش الدفاع الاسرائيلي يحافظ على هذه التقاليد حتى الآن، فكل وحده من وحداته تحمل تابوتا توضع فيه التوراة، وقد نقشت عليه آيه "انهض بالله ودع اعداءك يتشتتوا وأجعل الذين يكرهونك يهربوا أمامك' وقد قام العالم السيكولوجي جورج تامارين بإجراء بحث في جامعة تل أبيب عام ١٩٦٦ . حول ردود فعل الطلاب على سفر يشوع وفظائع أريحا ومقيدة وغيرها من الاماكن المذكورة في التوراة "قتلوا كل ما في المدينة من رجل وأمرأة ، من طفل وشيخ حتى البقر والغنم بحد السيف" و' وكان لما انتهى اسرائيل من قتل جميع سكان عاى في الحقل في البرية حيث لحقوهم سقطوا جميعا بحد السيف حتى فنوا . إن جمع اسرائيل رحل الى عاي وضربوها بحد السيف' "وأخذ يشوع مقيدة في ذلك اليوم، وضربها بحد السيف وضرب ملكها وكل نفس بها ولم يبق شاردا' .
والسيد جورج تامارين أجرى بحثه على عينه من ١٠٦٦ طالب من الصف الرابع حتى الثامن وكان قد حدد ثلاثة اسئلة ننقلها من صفحة ١٧١ من كتاب "الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدوانية"
السؤال الأول : هل تعتقدون أن يشوع والاسرائيليين قد فعلوا الصواب؟
وكانت النتيجة أن ٦٠٪ من العينة أجابوا بأنه قد فعل الصواب .
السؤال الثاني لنفرض أن الجيش الاسرائيلي يحتل قرية عربية بالقتال ، فهل يتحتم عليه أن يفعل كما فعل يشوع مع أهالي اريحا ومقيدة ؟
والاجابة كانت موافقة ٣٠٪ من العينة على عمل المثل ضد أهالي القرية العربية المحتلة.
أما السؤال الثالث فقد درس تأثير التمركز العنصري على الحكم الاخلاقي ، عندما طلب رد فعل العينة على عمل فظيع ارتكبه جنرال لين في الصين ، وحصل هذا السؤال علي رد ايجابي من جانب ٧٠٪ فقط .
من هنا كان طبيعيا أن يصف بن جوريون يشوع من نون قائلا :"إني اعتبر يشوع هو بطل التوراه ، إنه لم يكن مجرد قائد عسكري ، بل كان المرشد لأنه توصل الى توحيد قبائل اسرائيل " .
قول واضح بل سافر في وضوحه ، يشوع بطل لابد من تقديمه كنموذج من اجل توحيد القبائل أو الجماعات التي جاءت من الشتات من كافة انحاء المسكونة " لايجمع بينهم

رابط سوى الرابط الايولوجي الصهيونية).
ولم تكن التوراة تقدم النموذج الموحد لليهود فقط ، إنما تقدم الفتوى المقدسة للحروب التى تشنها اسرائيل ضد العرب، وهاهو - فيدر بوش . أحد منظرى الصهيونية العربية يقول " ان الحروب التى تشنها اسرائيل على الدول العربية هى وفق "الهالاخا" (الشريعة النظرية) حرب مقدسة للدفاع عن "اليشوف" (الاستيطان اليهودى) فى فلسطين ضد الجيوش العربية التى غزت أرض فلسطين لكى تبيد - معاذ الله - الشعب المقاتل من أجل حريته ، وكذلك فإن "إنشاء "جيش الدفاع الاسرائيلي والخدمة فيه هى فى رأى الصهيونية الدينية من تشريعات التوراه الصحيحة ويذكر د. الشامى فى كتابه السابق ذكره أن الحاخام العسكرى موشيه جورن اعلن ان الحروب الثلاثة التى قامت بين العرب واسرائيل ٤٨ ، ٥٦ ، ١٩٦٧، هى فى منزلة "الحرب المقدسة" فأولها لتحرير أرض اسرائيل ، وثانيها لاستمرار دولة اسرائيل ، وثالثها فقد كانت لتحقيق نبوءات أنبياء اسرائيل .

مما سبق يتكشف لنا إن مخططى استراتيجية التنشئة الاجتماعية لأجيال الصهاينة المولودين على ارض فلسطين ، لم يتركوا وسيلة ما أو أداة إلا وتم من خلالها إعادة التنشئة تلك وكانت التوراة هى الاساس والمنطلق الذى خرجت منه تلك المفاهيم المعززة لوجدان الصهيونى - كما يقولون هم - وقد شملت شبكة القنوات التى من خلالها يتم تمرير تلك المفاهيم الموحدة والخالقة لكتلة اجتماعية متناسقة حول أهداف ما وأغراض ما ، بل وماضى ما ايضا - النظام التعليمى التربوى فى اسرائيل والاعلام والادب والسينما .

ويهمنا هنا أن نلقى الضوء على فلسفة النظام التعليمى والتربوى ، والتى تكشف لنا بوضوح كامل استراتيجية التنشئة الاجتماعية وغرضها فى صهر التجمعات والجماعات الصهيونية على ارض فلسطين المحتلة .

النظام التربوى فى اى مجتمع لابد أن يستند على مجموعة من القواعد والمثل والقيم والأهداف التى تستمد من شخصية الشعب وهويته وتاريخه وأهدافه وغاياته، ولما كان التجمع الصهيونى على ارض فلسطين قبل اعلان الدولة مجرد جماعات استيطانية وبعد الدولة مجرد جماعات تحاول الانصهار كان لابد من تخليق تاريخ وهوية وشخصية ، وهنا لعبت التوراة والصهيونية دورا هاما فى منطلقات وأهداف وغايات النظام التربوى الاسرائيلى : وقد ظهر ذلك واضحا فى قانون ١٩٥٣ لتنظيم التعليم فى اسرائيل عندما ذكر المشرع الصهيونى فى ديباجة المشروع مانصه "إن التعليم الابتدائى يعتمد على قيم التقاليد اليهودية وعلى احترام الانجاز العلمى ويعتمد على حب "الوطن" والتضحية والاخلاص للدولة وللشعب اليهودى . كما أنه يركز على التدريب على الأعمال الزراعية والحرف اليدوية وتحقيق مبادئ الرواد الصهاينة الاوائل ، حتى يتحقق فى النهاية المجتمع المثالى".

اذن نحن امام "طبخة" من التقاليد اليهودية والانجازات العلمية والاخلاص للدولة وللشعب ، ومبادئ للرواد الصهاينة الاوائل والمجتمع المثالى !!

ومن المعروف ان النظام التعليمى الصهيونى قبل ١٩٤٨ ، كان تعليما تقليديا يعتمد على تعليم التلمود والتوراة وكان التدريس يتم باليديشية عند يهود اوروبا الشرقية وبالعبرية المبسطة أو اللادينو عند اليهود الشرقيون ، وقد تمت محاولات لتأسيس مدارس من قبل يهود المانيا وفرنسا يتم فيها التدريس باللغة الألمانية والفرنسية إلا أن الرواد من اليهود المستوطنين تمسكوا بالعبرية كلغة تعليم وتدريس وقد ساعد ذلك على سرعة انتشار العبرية بين اليهود ، وفى عام ١٩٠٣ جاء مناحيم يوسيشكين على رأس بعثة من المدرسين الصهاينة الادريين لزيارة فلسطين وأجتمع مع العديد من المدرسين اليهود فى مؤتمر نتج عنه تأسيس جمعية المعلمين العبرية وكان ذلك بمثابة الخطوة الاولى فى تشكيل النظام التعليمى الاسرائيلى حيث استحوذت تلك الجمعية على كل مهمات التعليم بين اليهود فى فلسطين وعن طريقها تم نشر الكتب الدراسية بالعبرية وتنظيم الدورات التأهيلية للمعلمين اليهود، وكانت تلك الجمعية على علاقة وطيدة "بمنظمة الصهيونى التنفيذية" اليد الفاعلة للوكالة اليهودية فى الاهتمام بأمور التعليم وبناء المدارس .

وقد برز من خلال الممارسة التعليمية من كافة الاتجاهات الصهيونية - حسب قول د . سمير هوانه فى بحثه عن نظام التعليم العام فى الكيان الاسرائيلى المنشور فى كتاب "الأبعاد التربوية للصراع العربى الاسرائيلى" والصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية عام ١٩٨٦ - ثلاثة نظم للتعليم

- النظام العام الذى يجمع بين القيم الصهيونية والقيم التقدمية العالمية فى التربية .
- النظام الدينى (المزراحى) الذى ركز بشدة على تعليم وتعاليم الديانة اليهودية .
- نظام الكيبوتزات والذى اعتمد منهج التعليم العام واضاف اليه مبادئ حزب العمل الاسرائيلى واعتبر التعليم الدينى الصرف الذى كان تحت اشراف جماعة أجودات يسرائيل خارج نظام التعليم العام فى فلسطين وذلك لان هذه المدارس لا تدرس سوى العلوم التلمودية فقط. لكن بعد اعلان الدولة فى ١٩٤٨ تم التعامل مع النظام التربوى التعليمى على انه ركن محورى من امن اسرائيل، وعن ذلك يقول جاكوب كلاتزمان - تربوى صهيونى فى اسرائيل "التربية هى ايضا من مستلزمات الدفاع الوطنى " .

وكان أول عمل تقوم به الدولة الجديدة هو فرض قانون التعليم الاجبارى عام ١٩٤٩ ، وقد نظر لهذا القانون على انه قانون استراتيجى لحماية المجتمع من الانقسام ، وذلك

عن طريق تقديم فرصة متساوية لكافة اليهود على ارض فلسطين المحتلة من تعليم اللغة العبرية والتقاليد اليهودية التلمودية فى محاولة لتضييق الهوة بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين (السفارديم - الأشيكنازيم) ، وهكذا تشكلت اول وزارة للتربية عام ١٩٤٩ وترأسها اول وزير لها زلمان شازار الذى أصبح رئيس للدولة الصهيونية فيما بعد. وقد جعل قانون ١٩٤٩ التعليم اجباريا ومجانيا من سن ٥ سنوات على أن يقضوا عام فى روضة الاطفال لتعليم العبرية فى سن مبكرة ، وفى عام ١٩٥٣ قامت وزارة التربية بتصفية الانظمة التعليمية الموازية للنظام العام التعليمى فى اسرائيل وأعطت الأباء الخيار بين إرسال أبنائهم الى التعليم العام الحكومى أو التعليم الدينى الحكومى وظلت مدارس اجودات يسرائيل غير رسمية وفى عام ١٩٦٥ صدر تقرير "برواد" للتربية ، والذى على أساسه تم إحداث تغيير فى سياسة التعليم العام فى اسرائيل ، وأصبح النظام الجديد .

حضانه من سن ٣ - ٤ سنوات

المرحلة الابتدائية من ٦ الى ١٢

المرحلة الاعدادية

المرحلة الثانوية

وقد تم التركيز على تعليم الطقوس العربية واليهودية المتعلقة بالاعياد، التركيز على بعض الحقائق الاساسية الجغرافية لفلسطين (اسرائيل) فى خلال السنة الاجبارية للحضانة والتى تشرف عليها المنظمات الخاصة والاحزاب .

اما المرحلة الابتدائية ، فقد قامت الوزارة عام ١٩٥٤ بوضع منهاج تعليمى خاص بتلك المرحلة وتم تعميمه على أكثر من ١١٠٠ مدرسة ليشمل اللغة والأدب العبرى - التوراة - التاريخ - الجغرافيا - علوم طبيعية، رياضيات - انجليزى فرنسى أو عربى . اشغال . زراعة . موسيقى . فنون . تربية رياضية .

والمهم فى ذلك المنهج أن العبرية والتوراة يتم تدريسها فى عشر حصص كل أسبوع (خمسة لكل مادة منهما) .

المرحلة الاعدادية هى مرحلة اجبارية مجانية تشرف عليها الوزارة إشراف كامل وفيها يتم تدريس التوراة لمدة أربع حصص فى الأسبوع للصف ، السابع وخمس حصص فى الأسبوع فى الصف الثامن بالاضافة الي ذلك يتم تدريس مادة قانون بنى اسرائيل العرقى حصة واحدة فى الأسبوع فى الصف السابع، وسبع حصص فى الاسبوع فى الصف الثامن .

واللغة والأدب العبرى ثلاثة حصص فى الاسبوع فى الصف السابع وثلاثه فى الاسبوع فى الصف الثامن ، والتاريخ ٣ فى الصف السابع وحصتين للجغرافيا فى نفس الصف، اما الصف الثامن فله أربع حصص تاريخ وجغرافيا، وأخيرا حصة واحدة فى الاسبوع للصف السابع تربية وطنية والصف الثامن ست حصص تربية وطنية .

ويتبين من خلال ذلك المنهج التعليمى المقرر على المرحلة الاعدادية انه مكدس بالمادة الصانعة لحالة التكيف الاجتماعى ، اى حالة التلقين المفروضة من اجل خلق كتلة على قدر من القواسم والمشتركات الجامعة .

ولم تكن قناة التعليم هى القناة الوحيدة الفارضة للتكيف الاجتماعى على الجماعات اليهودية الصهيونية المتعددة، بل كانت هناك برامج التنمية المجتمعية التى بدأت بإنشاء النوادى فى المدارس الابتدائية فى عام ٦٨ / ١٩٦٩ حيث كانت هناك نوادى تضم ٤٨٠٠٠ طفل، ومراكز شباب يصل أعداد المنضمين اليها ٦٠٠٠٠ شاب وشابه ، كما كانت هناك النوادى العلمية التى ضمت فى نفس عام ٦٨ / ٦٩ ما يقرب من ٢٣٠٠ طالب ، وتقوم الوزارة بالتمويل والاشراف على هذه النوادى العلمية ويساعدها فى ذلك وزارة الدفاع حيث يتم إعمال برنامج (جادنا) الذى يشمل على رحلات وتدريب بدنى وتشجيع على الاستيطان فى كل ارض فلسطين ، ويعطى الشاب حق الاختيار بين أن ينهى الخدمة العسكرية العامة فى جيش الدفاع، أو ينخرط فى حركة ناحال الاستيطانية ويخدم الفترة نفسها مع هذه المنظمة على الحدود.

كما أن هناك برنامج الوعى اليهودى، ويهدف لتثقيف الصغار، وتعويدهم على الطقوس اليهودية والعادات الخاصة بالديانة اليهودية ، وعادة ما يقدم هذا البرنامج الى معلمى المرحلتين الابتدائية والاعدادية بالاضافة الى الطلاب. ويشمل هذا البرنامج قراءة وتفسير التلمود والاجادة والترتيل والصلاة والفكر اليهودى ومشكلات اليهود المعاصرة .

وفى دراسة "ثقافة السلام لدى الاطفال الاسرائيليين" دراسة تحليلية لديوان "سلامى وأمنى" للدكتورة سناء عبد اللطيف صبرى صادر عام ١٩٩٩ ، تؤكد لنا الدراسة على طفو القناعات الثابتة والابجديات والقوالب الجامدة التى تتشكل منها صورة العربى عند الطفل الاسرائيلى ، فها هى "ليئاه ميلر" فى قصيدة "حلم ملون" تعبر عن شعورها ، وتكشف الكراهية المخبوءة داخل مكنون عقلها حيث تقول عن الجندى المصرى : رأيت فى الحلم جنديا مصريا .. كان يجئ نحوى .. وفجأة استيقظت من حلمى. فى حالة خوف وفزع .

وفى قصيدة "إلياف براند" بعنوان "بعيدا الى الجيش" يمجد البطولة اليهودية الخارقة مقابل جبن المقاتل العربى . حيث يقول .

بعيدا ، الى الجيش ذهب والدى ... أرسل لكى يحرس الحدود

من النقب الى أعلى الجولان ... كان العدو يهرب بمجرد رؤيته .

أما الطفلة "أيليت إبستين" فتكشف عن قناعاتها الثابتة عن العرب فى قصيدة " سوف تعرف" حيث تقول : -

عندما لانخاف الارهابيين

الذين يشنون الغارات بعد

حينئذ سوف نعرف أن السلام قد حل
هكذا تتردد قصائد الاطفال اليهود الصهاينة تلك التصورات عن السلام !! ولعل ذلك يؤكد ما طرحناه عن التكيف الاجتماعي وغرضه .

كما كان للإعلام الصهيوني دورا رئيسيا في استراتيجية التكيف الاجتماعي ، قبل قيام اسرائيل وبعدها . يتبين ذلك من برنامج العمل ذي البنود الاربعة الذي تم إقراره في المؤتمر الصهيوني الاول المنعقد في بال بسويسرا عام ١٨٩٧ ، حيث اكد البند الثالث على ضرورة نشر الروح القومية والوعي القومي بين يهود العالم وتنميتها ، جنبا الى جنب البنود الثلاثة الاخرى :

أ - تطوير الاستيطان اليهودي في فلسطين .
ب - تنظيم يهود العالم وربطهم في مؤسسات صهيونية .
ج - اتخاذ الخطوات اللازمة للحصول على تأييد الحكومات المختلفة من اجل تحقيق هدف الوطن.

وهكذا سار الاعلام الصهيوني موجها على مسارين : مسار اليهودية العالمية، مسار الرأى العام العالمي لكي يوجه لهما رسالته الخاصة بأهمية الوطن لليهود ، وبعد قيام الدولة كان يتوجه للرأى العام بأهمية تلك الدولة للسلام !

وفي مقدمة الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل ٦٠ / ١٩٦١ . قال بن جوريون " ان الطريق الاكثر ضمانة للوصول الى السلام والتعاون مع جيراننا لا يكون بدعوة شعب اسرائيل ووعظه بالسلام، كما يفعل بعض محبى السلام من البسطاء ، ولكن عن طريق الحصول على أكبر عدد ممكن من الاصدقاء .. الذين سيفهمون أهمية اسرائيل وقدرتها على المساعدة في تقدم الشعوب النامية والذين سينقلون ذلك المفهوم الى جيراننا ".

وهكذا كانت استراتيجية الاعلام الصهيوني بين يهود العالم - قبل اسرائيل - توعية وتثقيف وتلقين (التنشئة الاجتماعية) يهود العالم بالصهيونية ، وإعدادهم نفسيا للهجرة الى فلسطين تحقيقا للنبوءة اليهودية باقامة دولة يهودية .

وقد اضاف الاعلام الصهيوني الاسرائيلي الى نفسه دورا بعد قيام الدولة انطلاقا من تلك الاستراتيجية وهو الدعاية والاعلام عن منجزات اسرائيل وتصويرها كملجأ وحيد وآمن من الاضطهاد الذي يعيشه اليهود في الشتات .

وهكذا عمل الاعلام الاسرائيلي من اجل تحقيق استراتيجية من خلال المبدأين اللذين قال بهما بن جوريون ، وسارت عليهم وسائل الاعلام الاسرائيلي ولاتزال .

- التأكيد على ان يهودية اليهودي لا تكتمل إلا بالهجرة الى اسرائيل .
- التأكيد على ان الحليف المخلص الوحيد (لدولة) اسرائيل هو اليهود .

ويذكر الدكتور منذر عنتباوي في دراسة عن "أضواء على الاعلام الاسرائيلي" رقم (٣١) صادرة عام ١٩٦٨ من مركز الابحاث عن المداخل التي اعتمدها الاعلام الاسرائيلي لتحقيق غرض اسرائيل في الوجود.

١ - تقديم اسرائيل كناتج للفكر والجهد والمهارة النابغة عن الحضارة الغربية .
٢ - التأكيد على (المعجزات) التي حققتها اسرائيل في "الصحراء" التي كان اسمها فلسطين والتي أهملها الغزاه العرب .
٣ - التذكير المتواصل بأن اسرائيل هي تحقيق لنبوءة دينية وردت في العهد القديم .
٤ - التذكير المتواصل بفظائع النازية عبر التاريخ لليهود وان انشاء اسرائيل كان حل تاريخي للمشكلة اليهودية .
٥ - تصوير معاداة العرب لاسرائيل على أساس انه نتاج تعصب ديني وعنصري .

من خلال تلك المداخيل نستطيع ان نؤكد ان غرض تلك الرسالة ليس حكرا على الرأى العام اليهودي في العالم وعلى الرأى العام العالمي ، بل أن جانبه الآخر هو توجيه وصناعة الرأى العام الداخلي في اسرائيل من اجل تحقيق الغايات والاغراض الصهيونية .

ولم تفلت السينما الاسرائيلية من استراتيجية التنشئة الاجتماعية، حيث حققت صناعة السينما الصهيونية أهدافها على محورين أساسيين ، الأول منها فرض قضية اليهود وما تعرضوا له من اضطهاد على عقلية المشاهد ، والثاني التركيز على الوطن (فلسطين) كنبوءة مقدسة ، وهكذا كانت الرسالة السينمائية مزدوجة جزء منها (مثله مثل الاعلام - موجه للخارج والرأى العام العالمي ، وجزء منها موجه للداخل الاسرائيلي حيث يتم صناعة الوعي والتاريخ والقواسم المشتركة .

تلك هي شبكة القنوات التي نعبر من خلالها استراتيجية التنشئة الاجتماعية ، والتي تستهدف صهر تلك الجماعات الصهيونية وخلق تجانس ما و قواسم مشتركة من التاريخ حتى الوطن والحلم ، لذا كان طبيعيا ان نجد مفهوم الاطفال للسلام، هو عدم الخوف من الارهابيين ، وهو هروب وجبن الاعداء عندما يو جهون الجندي الاسرائيلي !!

ولم تكن شبكة تلك القنوات شاملة التعليم والتربية والادب والسينما، انما اشتملت ايضا على ادوات مثل الهستدروت والاحزاب والطوائف الدينية والجماعات النقابية والجمعيات التعاونية كلها اجتمعت تحت سقف واحد واسهمت جميعها - كل حسب دوره ووزنه - في استراتيجية التنشئة الاجتماعية.

٤

رؤية

صورة العربي في الأدب العبري قبل وبعد مرحلة السلام

دعاء الشريف

إن أدب أي شعب من الشعوب يعكس حياته وتقاليده ومثله وتياراته الفكرية، لذا فإن الأدب الذي أنتجه اليهود عبر العصور أيا كان نوعه هو بمثابة مرآة صادقة عكست لنا الظروف التي أحاطت بهم وجعلت المفكرين والأدباء يستغلون هذا الأدب في تفسير بعض المفاهيم الحياتية والنفسية لدى الشعب اليهودي .إننا نعرف جميعا ما للأدب من نفوذ قوى وما له من سيطرة علي آراء البشر وانفعالاتهم .إن مجرد القتال بالسيف هو حدث موقوت ، وجراحه لا تصيب إلا الجسد وكرام الناس يصفحون عن هذه الجراح وينسونها ، ولكن جراح القلم تنفذ إلي القلب ، وتنفث صديدها في أنبل الأرواح وتبقي حية في العقل وتخلق فيه حساسية شاذة لأي صدام مهما هان شأنه.

ونظرا لأن الشخصية العربية الفلسطينية كانت وما زالت عنصر التحدي الرئيسي الذي احتك به اليهود منذ احتلالهم فلسطين وحتى الآن ..لذلك سنلقي الضوء علي صورة الشخصية العربية في الأدب العبري رواية - قصة قصيرة - شعر - مسرح، بداية من ظهور الحركة الصهيونية وموجات الهجرة إلي فلسطين، مرورا بالصراع العربي الإسرائيلي والوصول بالمرحلة إلي ما بعد اتفاقيات السلام، من خلال مجموعة من النماذج الأدبية التي عالجت هذا الموضوع لنرى هل أحدث السلام بالفعل تغيير جذري في صورة الشخصية العربية في الأدب العبري في إسرائيل استعداداً للتعايش الفعلي مع العرب ؟ وما هو المنظور الإسرائيلي للسلام من خلال هذا الأدب .

ونظراً لأن فلسفة المجتمع الإسرائيلي التي تقوم علي العنف والحرب قد أدت إلي ربط كل شئ فيه وفقاً لتواريخ نشوب الحروب كمعيار زمني يفصل بين مرحلة وأخرى فإنه اتساقاً مع هذا الربط أصبح هناك ما يسمى بأدب الحروب (١) (١٩٤٨-١٩٦٧-١٩٧٣-١٩٨٢)

لذلك سيتم تقسيم الدراسة في هذا البحث طبقاً لتقسيم أدب الحروب، وطبقا لاتفاقيات السلام التي أبرمت بين العرب وإسرائيل، من خلال منظور أدبي مع عرض مبسط وسريع لأهم الأحداث السياسية علي الساحة العربية الإسرائيلية التي صاغ منها الأدب والفكر الإسرائيلي توجهاته .

صورة العربي في الأدب العبري (١٩٠٠-١٩٤٨)

اتفق الاستعمار مع الصهيونية العالمية على اختيار أرض فلسطين العربية دون غيرها لتكون الوطن القومي لليهود، وظهرت عبر التاريخ دعوات متعددة لتجميع اليهود في فلسطين، وتأمين استيطانهم فيها .

الهجرة الأولى إلي فلسطين عبر السنوات (١٨٨٢-١٨٨٥) وعام ١٨٩٠ :ارتبط أبناء فريق يهودي من الجيل الناشئ في الستينات والسبعينات من القرن التاسع عشر بالحركة الثورية الروسية .وتأثروا إلي مدى عميق بالتفكير "الراديكالي"(٢) للعصر .فشكل فريق منهم حركة "الهاسكالاه(٣)، بينما اتّجه فريق آخر نحو إنشاء حركة يهودية قومية، بهدف استعمار فلسطين، وكان لنشاط اليهود الروس من طلبة الجامعات أثره في ظهور جماعة رواد " أحباء صهيون " - "بيلو"(٤) التي عملت علي تنظيم وتنشيط الهجرة إلى فلسطين علي أساس قومي مستندة إلى تعاليم التوراة، وقد ارتكز برنامجها الأساسي علي ثلاث نقاط هي :محاربة الاندماج، الشعور القومي، استيطان فلسطين .

بقيت الحركة الصهيونية مفتقرة إلى التنظيم والتخطيط، إلى أن تمكن "ثيودور هرتزل (٥)من عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل السويسرية في ٢٨ أغسطس ١٨٩٧ . وظهر هدف الصهيونية في هذا المؤتمر وهو إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام. (٦).

الهجرة الثانية (١٩٠٤-١٩١٤) بظهور الحركة الصهيونية التي تعهدها الدكتور هرتزل، أصبح أمر الهجرة أكثر تنظيماً "الكيبوتزات"، وعندما قررت المنظمة الصهيونية تنفيذ مشاريعها الاستيطانية عام ١٩٠٨ كان عدد المستوطنات قد وصل إلي ٢٥ مستوطنة حيث بلغ عدد سكانها ٦٥٠٠ نسمة .

تكمن أهمية هذه الهجرة في أن زعمائها جندوا أقلامهم وتفكيرهم في خدمة الحركة الصهيونية بشكل بحت، وكانت قيم الصهيونية عندهم أهم من الإنسان، وقد أنتج هؤلاء المهاجرين ما يسمى بالأدب العبري الفلسطيني (٧) ومن سمات هذا الأدب :

الاهتمام الخاص بوصف طبيعة فلسطين وأنماط البشر الذين يعيشون فيها من البدو أو الفلاحين الفلسطينيين.

الاهتمام بوصف الصراع بين جماعات المستوطنين

الصهاينة الذين كانوا يطلقون عليهم اسم "الطليعيين"، وبين أصحاب الأرض من الفلسطينيين، وهو المسمي بـ (الأدب الطليعي).

ظهور القصص الريبورتاجية التي تصف بدقة وثائقية قصص صراع المستوطنين الصهاينة خلال هذه الفترة ضد البيئة وضد عرب فلسطين(٨).

وتوالت هجرات اليهود بعد ذلك إلى فلسطين.(٩) ومما زاد من تشجيع المهاجرين اليهود علي استيطان فلسطين، مقولة "أرض بلا شعب وشعب بلا أرض "التي أطلقها المفكر الصهيوني "إسرائيل زينجويل"(١٨٦٤-١٩٢٦) على أرض فلسطين وكانت هذه المقولة تساند المقولة الأخيرة في المقولات الثلاثة التي يرتكز عليها الفكر الصهيوني(١٠) كما تزيل العقبة التي كانت تعترض الحلم الصهيوني الزائف المتمثلة في وجود شعب عربي علي الأرض، حتى وصل الأمر إلي أن الفيلسوف الصهيوني "ماكس نورداو "الذي كان مقرباً من "هرتزل "وقع في حالة ذهول عندما اكتشف وجود الشعب الفلسطيني فهرع إلى هرتزل ليقول " :أن هناك شعباً يسكن تلك الأرض(١١)" .

أما الأديب "موشيه سميلانسكي"(١٢) فقد ذكر في سيرته الشخصية أنه عندما قابل العرب لأول مرة في طريقه من "يافا "إلى مستعمرة "ريشون لتسيون "كان غير مرتاح، وشعر بالقلق والغضب، وذهل عندما وجدهم هناك حيث يقول " :ماذا يفعل هؤلاء العرب هنا ؟ لماذا هم فقراء وقذرون ؟ بينما الأرض حول قريتهم جيدة وخصبة ..إنهم همجيون ويكونون سعداء ويعيشون في سلام عندما يستقرون، ولكن عندما يهيجون يصبحون قتلة يقتسمون خبزهم التافه مع الشخص الجائع الفقير، ولكنهم يرتكبون القتل من أجل ما يريدونه ولا يستطيعون تحقيقه(١٣)" .

وبسبب تشبع أفكار المهاجرين بروح التعالي والسامية بداخلهم والتي زرعتها فيهم أفكار الحركة الصهيونية، ازدادت دهشة المستوطنين عندما رفض العرب وخاصة الفلاحين أفكار الاستيطان وممارسات المستوطنين، و يقول شموئيل يوسف عجنون(١٤) في دهشة بالغة "تلقّوا هذا البلد الصغير من يد الواحد العظيم .لم نأت لفرض سيادة ولا للحكم، بل للحراثة والزرع والبذر، من أجل المحافظة على قوانينه وحماية تعاليمه(١٥)" .

وهنا اتضح زيف الأحلام الصهيونية وتحطمت مقولة "زينجويل"، وما زاد من تخبط المهاجرين هو أن هذا الشعب العربي الموجود بالفعل على أرض فلسطين الرافض للاستيطان هو شعب مقاتل لا يرضخ للحلم الصهيوني ويدافع عن أرضه .

منذ ذلك الحين تحول العرب الفلسطينيون إلى سؤال كبير ومؤرق بالنسبة للحركة الصهيونية، وبالأخص على مثقفيها وكتابها وأدبائها الذين تباينت إجاباتهم على هذا السؤال في فروع الأدب المختلفة .

الرواية و القصة القصيرة

في هذه الفترة ظهرت تيارات فكرية مختلفة تعالج مشكلة الوجود العربي على أرض فلسطين، وكانت كالآتي :

تيار تجاهل وجود العرب تماما، ومضى يتحدث عن مجتمع اليهود الجديد في الأرض الجديدة القديمة، بوصفهم أبناء هذه الأرض العائدين إليها، كما هو شأن عدد كبير من الكتاب الذين تخلو كتاباتهم من أي إشارة إلى وجود عرب في فلسطين بالرغم من أن عدد اليهود بالنسبة للعرب الفلسطينيين في هذه الفترة لم يتعدى الربع(١٦)، ويتضح هذا في كتابات "حاييم هزاز"(١٧) و"شموئيل يوسف عجنون" "اللذين قلما تحدثا عن العرب الفلسطينيين في أعمالهما الأدبية .

اتجاه انتهجه بعض الكتاب الذين سحرتهم تلك الحياة الوحشية البدائية لعرب فلسطين، ووجدوا في ملامح هذه الجماعات ونمط حياتها صورة أجدادهم العبرانيين القدماء، كما في رواية "عماسي هاشومير "التي طبعت لأول مرة عام (١٩٣٠)، ليعقوف رابينوفيتش(١٨)ويسجل فيها حياة البدو والحرية التي يمارسونها كل يوم من خلال عدم الاستقرار في أرض معينة والتنقل إلى أماكن جديدة على الدوام" .الصحراء مهد الإنسانية ومصدر الطهارة والنقاء قبل أن يفسدها الإنسان "وهو يرى الحياة مع البدو مثل "الحياة في جنة عدن قبل أن يأكل الإنسان من شجرة المعرفة ."ويصف رابينوفيتش البدوي بأن "شعره أشعث طويل، عيونه غريبة، وصرخاته، وهو يمر بين العرب بقافلة جماله مرعبة" .. "الإنسان لغز والحياة لغز ولكن الصحراء تبقي أكثر الألغاز، فهي مهد الإنسان (١٩)" .

كان هناك تيار بين المستوطنين الأوائل دعا إلى "ضرورة إقامة علاقات بين الشعبين، وعلى ضرورة فهم اليهود للعادات العربية."(٢٠) ودعا "موشيه سميلانسكي"، وهو أبرز ممثلي هذا التيار اليهود إلى "أن يقبلوا بالسلوك الاجتماعي والعاطفي للعرب من أجل كسب صداقتهم."(٢١) وهي فكرة سادت لدى كثير من السياسيين والمثقفين اليهود والصهاينة أمثال "حاييم وايزمان "و"آحاد هاعام"(٢٢) وغيرهم.

لكن دعوات هؤلاء جميعاً لم تترجم إلى سلوك على المستوى الاجتماعي أو إلى تفهم ومعرفة على المستوى السياسي والفكري أو التعاطف على المستوى الإنساني .فعلي سبيل المثال نجد أن "حاييم وايزمان "والذي كان يتحدث دائماً عن "يوتوبيا(٢٣) فلسطينية يعيش فيها اليهود والعرب بانسجام، كانت نظرته لا تتعدى نظرة السيد للمسود، فقد رأى أن "الاستيطان اليهودي في فلسطين سيحسن التطور الاقتصادي فيها، ويرفع مستوى معيشة سكانها العرب"، وقاده هذا التفكير إلى الاعتقاد أن العرب نتيجة لذلك سيقبلون طواعية سيادة اليهود على الأرض، "حيث يمكن أن يتمتعوا هم بحقوق مدنية، ولكن دون أن تكون لهم قوة اتخاذ قرار في الدولة(٢٤).

أدرك زعماء الحركة الصهيونية مدى العلاقة بين الحياة والأدب لذلك عمدوا إلى نزع الهوية الفلسطينية عن عرب

فلسطين في قصصهم ورواياتهم، وكانت صورة البدوي العربي في فكرهم هي صورة البدوي المتخلف والفلاح الجاهل.

كما حرصوا على أن ينسبوا للعربي الفلسطيني الأعمال البسيطة حتى يعطوا انطباعاً بأنه لا يصلح للقيام بأعمال تتعلق بالتحكم في مقاليد الأمور ولا في اتخاذ القرارات السياسية ولا في الفكر والثقافة ولو برمز بسيط لذلك كانوا يرمزون للعربي الفلسطيني إما بالبدوي أو الفلاح فهو لا يعرف مهنة غيرهما، فعلى سبيل المثال نرى سميلانسكي يذكر في هذه الفقرات (ص ٤١-٤٢) من قصة "محمد: "

عندما جاء الربيع، حمل أهل الجنوب خيامهم، ورحلوا جميعاً من الجنوب إلى الشمال. حملوا الخيام والممتلكات على ظهور الجمال ..لم يقتربوا من القرى .نظر الفلاحون إليهم، وكأن كلمة "الجوع "المخيفة قد علقت على ظهورهم .. نصبوا خيامهم مؤقتاً على بعد مسافة من القرية ..وعلى الطريق كانوا يجمعون الخضار العفن والفواكه .وما جمعوه أكلوه على الفور . لقد انتقل من أيديهم إلى أفواههم .بدأت النسوة يطبخن، والرجال جمعوا الأشواك والأعشاب الجافة، وأشعلت النيران .. وبدأوا يوزعون الخبز ويأكلونه وهو لا يزال حاراً(٢٥).

كما أراد " موشيه سميلانسكي " توضيح أن العرب غير جديرين بملكية الأرض ولا بزراعتها حيث يصف شخصية "عبد الله بن الشيخ العجوز "في قصة "عائشة: "

إنه شخص صغير ودميم، روحه شريرة مليئة بالغيرة والكراهية وانفعالاته العاطفية مبتذلة .إن عبد الله يلهث وراء النقود ويحسبها، ولا يمكن أن يكون محل ثقة، ولا يصون كلمته أبداً . إنه يصون فقط الكراهية تجاه أي شخص يعترض طريقه(٢٦).

ولم يقف المفكرون الصهاينة عند هذا الحد بل تمادوا في تشويه صورة العربي، فيصف "إسحاق شامي(٢٧) العربي في قصة "انتقام البطاركة "بالعنف "بدأ يفك في بطء زراير صدريته، وينزع الكوفية من حول عنقه البدين الذي اختفى تحت قفطانه، فظهر صدره الأسود اللون، وكان شعره الأسود طويلاً خشناً ..وحينئذ حول جسمه العريض تجاه الباب المؤدي إلى الرواق"، كما يصف البدو فيقول " :يمكنك أن تلمح جفاف الصحراء، ووهج الشمس في سمرتهم ووجوههم المتجعدة، وتبرز أنوفهم الخطافية من بين أغطية الرؤوس الملونة كمناقير الطيور الحادة، وعيونهم متوهجة وكأنها كانت في النار (٢٨).

وإذا كان " موشيه سميلانسكي "قد وصف العرب بأنهم همجيون، وقذرون، ووصفهم "شامي "بالعنف وحدة الطبع فإن "إسرائيل زارحي(٢٩) وصفهم بأنهم جانحين أفظاظا، عديمو الشفقة ولا توجد رحمة في قلوبهم حيث يصف عرب إحدى القرى أثناء المعارك التي دارت بين الأتراك والقوات البريطانية في قصة "قرية السلوان "بقوله :

يدخل عرب القرى بين النيران ليجردوا القتلى، وليسرقوا الجثث فيقطعون الإصبع الذي به خاتم أو يأخذون السنة الذهبية من الفم(٣٠).

وهكذا فإنه يريد أن يصور الشخصية العربية الفلسطينية بأنها شخصية بشعة تتصف بالإجرام واللصوصية

أما في قصة "انتقام الآباء"(٣١) فقد تركز اهتمام الأديب اسحق شامي علي حالة البطل "أبو الشوارب " النفسية، كما تظهر في سلوكه وقد مثلت صفاته السلبية الموروثة منذ الولادة من جهة ووفاته من جهة أخرى، أساسين لذلك التصوير، وبينما يتابع القارئ حركة البطل الصاعدة منذ انتخابه زعيما ثم امتلاكه للثروة والنفوذ، وحتى ارتكابه جريمة القتل هنا بعد وصول الأحداث إلي ذروتها، يبدأ هبوط البطل و يزداد انحداره ويفقد قوته حتى يصل مرحلة الانهيار الكامل والموت المحتم . كان أبو الشوارب أسير رغباته، التي كانت تسيره وتقيد عقلانيته ومسئوليته المعنوية، ولم يستطع أبدا الإفلات من تلك الرغبات كان ضحية الغباء الذي يؤدى إلى ظلام العقل الإنساني ويشل الدماغ.. " "أصبح ضحية لمزاجه السريع العاصف (٣٢).

أما سكان المدن من الفلسطينيين فقلما نجد لهم ذكراً في الأعمال الأدبية على وجه الخصوص، أو في كتب المثقفين والكتاب اليهود من الرواد خاصة .وإن وجدوا فمن قبيل أن " سكان المدن جميعاً مغرورون وسيئون، مراوغون ومخادعون، وهم بلا رحمة(٣٣).

وهكذا نرى أن الشخصية العربية سواء في المفهوم الإسرائيلي أو الفكر الصهيوني أو الأدب النثري العبري في بداية هذا القرن هي شخصية البدوي أو الفلاح، الجاهل المنحط، القذر، المتوحش، الذي تلتصق به كل الصفات السيئة وكل العادات الذميمة، وشخصيته أيضاً هي شخصية الإرهابي الذي يثير الرعب والفزع.

المسرح

معظم المسرحيات التي تعرض العربي في المسرح الإسرائيلي هي نصوص سياسية تجيز هذه الشخصيات لغرض طرح الأفكار الصهيونية .وعموماً فإن العربي في كل المسرحيات التي عُرضت أو نُشرت في تلك الفترة يظهر فيها "عبداً(٣٤).

أن عملية "استيعاب "العربي في الدراما العبرية والمسرح الإسرائيلي فيما بعد كانت بطيئة ومترددة .وهذا هو ما تشهد عليه الإحصاءات بين الأعوام ١٩١١-١٩٤٨ حيث ظهرت شخصيات عربية في ١٧ مسرحية وفي بعض مسرحيات الفصل الواحد وغالبيتها لم تعرض على خشبة المسرح وظلت في بطون الكتب والدوريات (35)وفي هذه النصوص ظل التطرق إلى شخصية العربي في الحدود الدنيا.

إن الفكرة الأساسية التي دأبت الأيديولوجيا الصهيونية على ترويجها وزرعها في منابت رؤوس المهاجرين اليهود إلى فلسطين، هي أن فلسطين لم تكن سوى أرض قاحلة، خالية من السكان، و" قد تركزت النصوص المسرحية في هذه

الفترة علي الحديث حول شخصية البدوي "المتنقل"، وليس العربي الفلسطيني، مع التأكيد علي افتقار الروابط بين البدوي وبين أرضه، وبما أن البدوي يفتقر إلي الروابط القوية بالأرض فـإنه يفـتـقر إلي الروابط القـوميـة بالوطن"(٣٦).

ويشير" دان أوريان(٣٧) إلي أن الفلاح العربي شخصية متخلفة ولا تستحق الأرض حيث يقول في هذا الصدد " : السمات الجماعية للعرب سلبية دوما .الافتراض المستتر في المسرحيات يذهب إلى انه بالإمكان التوصل إلى تفاهم وتعاون مع العرب كأفراد لكن من الصعوبة بمكان تقريب المجتمع العربي من المجتمع اليهودي . العرب هم مجموعة متخلفة مناقضه للعصرنة اليهودية .إنهم دوماً إما فلاحون أو رحّل وليسوا عرباً مدنيين (٣٨) ولا تنتهي اتهامات اوريان عند هذا الحد بل يسوق أدلة واهية يحاول من خلالها أن يبرر بها موقف كتاب المسرح حيث يقول " يجد المؤلف المسرحي إثباتات عديدة تسوغ تصوير المجتمع العربي بانه مجتمع متخلف .لا توجد لديهم خدمات طبية وهم لا يعرفون حتى ما هي الوقاية الصحية . وفي مسرحيات مثل ")نمر أبي زروع "لأهارون بولاك عام ١٩٤٢، التي تتظاهر بمعرفة المجتمع العربي القروي وتبدي وداً حيال ثقافته، فإنهاتبدأ في أحد بيوت قرية عربية جميع من فيه يحكّون جلودهم تحت وطأة لسعات البراغيث، الطب العصري يجلبه اليهود إلى المنطقة . وفي مسرحيتي "العين " ليعقوب يافيه عام ١٩٣٢ و" المحكمة " لشوليت بتدوري عام ١٩٢٩ يجلب اليهود المياه إلى المناطق المقفرة وينقذون الأولاد العرب من الأمراض، بينما العرب متسربلون بمعتقدات خرافية ومخاوف ويعارضون التقدم، الذي فيه رجس من عمل الشيطان(٣٩) .

الموقف الرائج في المسرحيات هو أن التقدم والثقافة والازدهار الاقتصادي، الذين جلبهم اليهود مع قدومهم، سيرجحون الكفة لجهة "تهويد "العرب أو على الأقل لجهة تحويلهم إلى أنصار للاستيطان" بعض مسرحيات العقدين الثالث والرابع هي ذات نهاية تسعى لعقد المصالحة مع الاستيطان في أرض إسرائيل . والمصالحة هنا عادة ما تكون ناتجة عن اقتناع الطرف العربي بالخيرات التي جلبها الاستيطان اليهودي(٤٠).

الشعر

عبأت الصهيونية الفراغ الفكري بمغالطات فكرية مستعينة بلباقة الأدباء وبلاغتهم لخلق الأجواء القابلة لتلقي الإيحاء وقد أدرك هذه الظاهرة الكاتب الصهيوني "آحاد هاعام" وأصر في مقالاته على الوحدة الفكرية قبل الانتقال إلى استعمار الأرض حيث حدد وظيفة الأدب "بزرع بذور الأفكار والرغبات الجديدة (41)" ولم تظهر شخصية العربي بوضوح في تلك الفترة، حيث أن الأدب الصهيوني أهتم بالوقوف أمام التسامح بقوة منذ البداية مقاوماً أي تطلع جدي لحل المشكلة اليهودية والهجرة إلى فلسطين حتى ولو سُفح دم، وهذا يتضح في شعر الأديب " بياليك"(٤٢) الذي لا تخلو أشعاره بشكل عام من روح العنصرية اليهودية والاحتقار لسائر الشعوب غير اليهودية (الجوييم) بما فيهم العرب .يتضح ذلك في قصيدة منبت شعب (٤٣)

الشعب لا يتزحزح، لا يضطرب، لا يخاف
عدوه، ليس أسداً غاضباً
الأصوات لا ترعب ..والرجال رابطو الجأش
وسط ذلك يخلق البطل
يتحدى الجحيم ..قدرة الحياة
يحطم أغلال شعبه ويسمو بهم
رغبة القلب اشتياق كموج البحر
تنتشر كالنار في الهشيم
ولو سفح الدم
هذا شعبنا يده العليا دائماً

صورة العربي في الأدب العبري في الفترة (١٩٤٨-١٩٦٧).

قبل ٤٠ يوماً من إعلان قيام دولة إسرائيل شنت القوات الصهيونية هجوما شمل منطقة الساحل الفلسطيني والمناطق الأخرى الواقعة غرب القدس .وقد ارتكبت القوات الصهيونية العديد من المجازر والمذابح مثل (مجزرة سعسع، مذابح الرملة، مجزرة الدويمة)، ومذبحة "دير ياسين(٤٤) الرهيبة، وفي نفس الفترة شنت القوات اليهودية هجومها على مدينة يافا فسقطت ولحقتها حيفا وطبريا، وهكذا نجحت الحركة الصهيونية في إنشاء دولتها على معظم أراضي الساحل الفلسطيني . ونتج عن هذا اقتلاع حوالي ٣٠٠ ألف مواطن فلسطيني من مدنهم وقراهم (٤٥).

وفي يوم ١٤ مايو ١٩٤٨ كان (دافيد بن جوريون) رئيس أول حكومة مؤقتة لإسرائيل يعلن عن قيام الدولة اليهودية في أرض إسرائيل.

شهد الكيان الإسرائيلي بعد عام ١٩٤٨، مجموعة من التغيرات الديمغرافية الجذرية التي أثرت بدورها على عمليات الاستيطان اليهودي في فلسطين. فأصبح الإرهاب والقتل الجماعي وهدم المنازل وتدمير القرى وتشريد السكان العرب ومصادرة الأراضي سياسة إسرائيلية رسمية معلنة.

بالرغم من الانتصار الذي حققه الجيش الصهيوني وفاجأ به الجميع إلا أن التفاخر بهذا النصر لم يكن هو النتاج الأدبي شعرا أو نثرا بعد حرب ١٩٤٨ .لقد كان الموضوع الرئيسي تقريبا فيما عدا إستثناءات الأدب المجند (٤٦)، هو تخبطات ومعانات المحارب الصهيوني الذي وضع بواسطة مخططات الصهيونية أمام اختيار صعب إما أن يتراجع عن فكرته ويأتي من حيث أتى، وإما أن يواصل ويخوض حرباً دموية إنساناً ضد إنسان وشعباً ضد شعب، لذلك فقد أصبح العالم الداخلي والفردي لدى الجندي الإسرائيلي بكل صراعاته هو الموضوع الرئيسي لأدب حرب ١٩٤٨ (٤٧).

الرواية والقصة القصيرة

بالرغم من أن الأدباء قد تميزوا في كتاباتهم بوجود عقدة الإحساس "الزائف " بالذنب لما أحدثوه من طرد وتشريد وقتل العرب إلا انهم تمادوا في تشويه صورة العربي الفلسطيني وتحقيرها، وإظهارها في صورة بشعة متوحشة تجسيداً للرؤية الصهيونية للشخصية العربية التي ترى بأنها شخصية تحمل قدراً هائلاً من الرغبة في الانتقام والوحشية والتعطش للدماء وهذا نراه مثلاً في قصة (خربة خزعة) للكاتب "يزهار سميلانسكي (٤٨) حيث يقول "جابي "أحد الجنود الذين اشتركوا في احتلال القرية ليأخذهم الشيطان "العرب سكان القرية " كم لديهم من الأماكن الجميلة .لو كان رجالنا "اليهود "أصحاب هذا المكان لقاتلوا قتالاً وأي قتال .هؤلاء يهربون، بل أنهم لا يحاولون القتال ..

ويجيبه آخر .. : دع هؤلاء العربوش (٤٩)، أنهم ليسوا رجالاً (٥٠).

كما يصور الطفل العربي الصغير حين يكبر ويكون رجلاً بأنه سيكون مثل الحية السامة وذلك على لسان " شلومو ويهودا: " رأينا كذلك ذلك الشئ الذي كان يدور، والذي لا يمكن أن يكون حين يكبر إلا حية سامة، ذلك الذي هو الآن (٥١).

أما في قصة "الرسام والراعي "فإن "يوسف أريخا"(٥٢) يبين سبب القلق الذي كان يعيش فيه الرسام بعد أن تركه الراعي قائلاً :

كان يتوقع أن يرى خلف ظهره خنجراً مصقولاً، وعينين فيهما القتل، وقدمين حافيتين لينقلا الراعي من الكمين رويداً رويداً كحية مفترسة(٥٣).

ويصف " مردخاي طبيب (٥٤).الشباب العرب في قصته "قيثارة يوسي "قائلاً :

" فإن يوناه اليوم كما هي ضعيفة وواهنة جسدياً ونفسياً، أما هؤلاء الصغار الذين يثيرونها فإنهم متوحشون بطبيعتهم(٥٥).

وحرص الأدباء الإسرائيليون أيضاً على أن يظهروا العربي الفلسطيني في صورة المتسلل واللص ورجل العصابات وذلك حتى يبرروا لأنفسهم مطاردته، ومعاملته بقسوة وعنف وطرده من أرضه، وقد تكررت هذه الصورة كثيراً في كتابات الأدباء الإسرائيليين مما يؤكد شيوع المفاهيم الخاصة بتشويه صورة العربي الفلسطيني فنجد أن "س .يزهار" يتحدث في قصة "خربة خزعة "عن التعليمات التي تلقاها من قيادته :

ولا يمكن تقدير هذه الخاتمة النزيهة حق قدرها إلا بعد أن تعود إلى البداية، وتستعرض فيما تستعرض ذلك البند الموقر "معلومات "الذي سرعان ما يحذر من خطر متزايد لـ "متسللين "و"نوى عصابات (٥٦).

أما " ناتان شاحم (٥٧) فيصف أحد الشباب العرب في قصة "تراب الطرق "قائلاً ":شاب نحيف قذر، ولكن كتفيه عريضان، وعلى رأسه قبعة عسكرية قديمة (٥٨).

كما يصف الشباب العرب عندما كانوا يصعدون على العربة ويلعقون المربى :

كانوا يقفزون على العربة، ويلعقون المربى التي تسيل على حروفها، كان " كفتوروفيتس " يقذفهم بالشتائم، ويهددهم بالسوط، ولكنهم التصقوا بالعربة كالذباب ."

ثم يصفهم مرة أخرى :

كانوا يجرفون بأصابع قذرة ذلك الطين العكر من فوق العربة ويضعونه في أفواههم (٥٩).

وفي قصة "علي سن الطلقة "يتحدث "اسحق أوزبار"(٦٠) عن "إبراهيم " عندما ذهب ليخطب الفتاة التي أحبها فيقول:

ذهب يطلب يدها ولكن أباها طرده كالكلب"(٦١) ونفس الشئ نجده في قصة "أبو يوسف "حيث يذكر " حييم هزاز " على لسان "أبو يوسف " وهو يوجه كلامه إلى المساجين بعد أن قص عليهم قصة الرجل الذي عطف على الكلب فأثابه الله على ذلك :

"أنهى "أبو يوسف " كلامه وقال :ولكن أنتم يا أولادي اعطفوا على كلب مريض مثلي حتى تنالوا العطف في العالم الآخر (٦٢).

ليس غريباً أن نجد إشارة الأدباء الإسرائيليين إلى الأعمال التي يقوم بها العرب منصبة على نمطي البدوي والفلاح وحتى إذا تخطت الإشارات حدود هذين النمطين فإنها لا تخرج عن الإطار العام لهما .فإذا كانت الإشارة إلى عربي يعمل في مجال التجارة - نجده يعمل في تجارة الغلال الزراعية التي ينتجها الفلاح من الأرض، أو أعمال القطف والانتقاء والتعبئة التي ترتبط بالزراعة، وإذا كانت الإشارة إلى عربي يعمل عملاً يدوياً - نجده لا يقوم إلا بالأعمال الحقيرة المضنية التي لا يقوم بها عادة إلا الأعراب البدو في المناطق التي يتمركزون فيها (٦٣) ففي قصة " الحاج إبراهيم "يصف "أشر براش"(٦٤) عمل "الحاج إبراهيم" فيقول :

محله، محل الخضراوات لم يكن إلا مخزنا كبيراً خالياً، بابه المزدوج والمرتفع مغلق ويقوم على عتلتين كبيرتين من الحديد، وهو نفسه يجلس على عتبة حجرية (٦٥).

وإشارة إلى ما يسمى بالأعمال التافهة أو الحقيرة التي يقوم بها العرب يقول "أهارون ميجد (٦٦) على لسان "سليمان" في قصة "الكنز : "

أخذت زوجتي والأولاد على الجمل وذهبت، وأخذت هي تجمع السيقان وتشعل النيران لتخبز، بينما نحن نجلس في السقيفة ونشرب القهوة."

ثم يقول على لسان "سليمان "أيضاً عندما تخيل أنه يجلس مع زوجته في المنزل :

هناك كانت "أمينة "تهف القمح . هنا كانت تخبط لتنقي

العدس (٦٧).

ويقول "يوسف حناني (٦٨) في قصة "مزمار أحمد "عن "أحمد: "
إنه يسكن في العزبة المجاورة وهو ذاهب الآن إلى أمه التي تعمل في الموشافاه عند اليهود (٦٩).

والمقصود هنا أن "أم أحمد "تعمل خادمة لدي اليهود، وهذا من سلسلة الأعمال الحقيرة التي ينسبها الأدباء الإسرائيليون إلى عرب فلسطين والتي كانت شائعة أيضاً لدى أكثر من كاتب حيث نجد أن "أشر براش "يقول على لسان "صفية "في قصة "صفية المسيحية"
" أنا وزوجتي نعمل بالسمسرة فقط . ففي الحقيقة كل هذا المحصول ليس ملكنا . العرب يحضرون لنا عينات أو عدة عبوات ونحن نبيع ما عندهم (٧٠).
المسرح
بين السنوات ١٩٤٨-١٩٦٧ زاد عدد الأعمال المسرحية إلى ٢٦ نصاً مسرحياً (٧١) جرى التطرق فيها إلى العرب من باب الإشارة أو التلميح فقط وفي القليل منها ظهرت شخصيات عربية جميعها في أدوار ثانوية، حيث أصبحت "المسألة العربية "في حكم المواضيع الغائبة وفي مجموعة المسرحيات المكتوبة خلال مرحلة كتّاب "جيل الدولة "ظهرت الشخصيات العربية فقط في مسرحية واحدة هي "إنهم يصلون غداً " لنتان شاحم (١٩٥٠) وكانت شخصيات شاحبة بلا أسماء ومن غير "هوية فردية."
ففي هذه المسرحية نلتقي بعربيين أسرتهما القوات الإسرائيلية المحاصرة في تل محاط بأراض مزروعة بالألغام ..

جوني:
- دعك من المزاح !هل حكوا لك شيئاً ؟

أليكس:
- أبداً .. إذا لم يتكلم العربي بعد أول لكمة في وجهه فلن يتكلم البتة . لا فائدة ترجى من استمرار التحقيق معه .ولا أريد أن أفتح دكاناً للجزارة هنا .

جوني:
- وماذا فعلت مع هذين الاثنين ؟

أليكس:
- لا شئ ..أصدرت الأوامر بالقضاء عليهما.

جوني:
- يصرخ (يا أبله) ! يهدأ قليلاً (أرجو أن تسامحني، أي غباء !هل تم القضاء عليهما ؟

أليكس:
- كلا، لقد سلمتهما إلى جدعون.

جوني:
- يصرخ عبر النافذة (يا جدعون، أرسل الاثنين إلى هنا، وتعال أنت) . لأليكس من قال لك لا أبغي القضاء عليهما ؟
قصدت أنه لا يقضى على عربوشين هكذا ونحن في مثل هذه الحالة . إنه تبذير، هل تفهمني ؟ إنه تبذير .. شخصان يعنيان لغمين على الأقل ..هكذا تسير الأمور عندنا .يوجد ستة ألغام فيبقى أربعة !

وبالرغم من أن الكاتب هنا يحاول وصف المعاملة الغير آدمية التي يتلقاها العرب علي أيدي الجنود الإسرائيليون إلا أن المسرحية لا تخلو من وصف الشخصية العربية بالسلبية والتخلف والاستسلام .
الشعر
في أعقاب الحرب الإسرائيلية ١٩٤٨ نُشرت كتابات ينضح منها التعطش للدماء والدعوة إلى مزيد من الحروب لضمان الوجود الإسرائيلي وحماية أمنه، وإسكات العرب إلى الأبد وبالرغم من ذلك نجد أن اتجاهات الشعر الإسرائيلي في تلك المرحلة كانت تنعي الموتى الذين سقطوا في الحرب فلقد خسرت إسرائيل في حرب ١٩٤٨ ستة آلاف قتيل.(٧٢)
وتحول الشعر من الرومانسية إلى شعر يحمل معاني الصدمة القوية التي واجهها الشعب الإسرائيلي في مواجهة الموت.

صورة العربي في الأدب العبري (١٩٦٧-١٩٧٣)

أسفر العدوان الإسرائيلي عام ١٩٦٧ عن احتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان وشبه جزيرة سيناء، وتجسد الإرهاب والتمييز العنصري الصهيوني ضد سكان المناطق العربية المحتلة في سياسة الضم الزاحف والقبضة الحديدية ومخططات خلق الوقائع الجديدة، والتي استهدفت في مجملها تقطيع أوصال المناطق المحتلة والتضييق على سكانها ودفعهم لمغادرتها والهجرة منها لزرعها بالمستوطنين الصهاينة وتهويدها.

شكلت حرب ١٩٦٧ من نواحي معينة تغييراً هاما فيما يتعلق بالموقف من العرب الفلسطينيين لم يكن ملموساً من قبل، فلقد أثرت الحرب بصورة مفاجئة تأثيراً مزدوجاً على المجتمع الإسرائيلي .حيث أثارت مشاعر متطرفة وأساطير دينية قومية بين قطاع من الإسرائيليين الدينيين، بينما أثارت لدى قطاع آخر "خاصة بين ذوي الوعي والمثقفين "ما يمكن أن نطلق عليه أزمة ضمير، أو عقدة الإحساس بالذنب . فقد ينمو بعد الحرب مباشرة وعي واضح بأن إسرائيل بتعريتها للعرب في أثر الهزيمة قد أخذت على عاتقها على الأقل قدراً من المسئولية الأدبية عن مصيرهم. لقد خلق إحساس لدى الكثيرين من الشباب الإسرائيليين

بالشك تجاه القضية التي يموتون من أجلها لأنهم يموتون من أجل شئ قائم أساساً على الظلم . حيث انطلقت في إسرائيل نداءات حماسية ببذل جهود فورية من أجل توطين اللاجئين الفلسطينيين الذين أصبحوا للمرة الأولى منذ عام ١٩٤٨ تحت حكم إسرائيل (٧٣).

الرواية والقصة القصيرة

النموذج الذي سنسوقه للتدليل على عقدة الإحساس الزائف بالذنب في الوعي الإسرائيلي، قصة "في مواجهة الغابات" (١٩٦٨) (٧٤) للأديب الإسرائيلي "أ .ب . يهوشواع(٧٥). وتحكي هذه القصة التي يدور محورها حول جذرية الوجود العربي على أرض فلسطين. والتشكيك فيما يسمى "الحق اليهودي " في فلسطين كواحد من التعبيرات عن عقدة الإحساس بالذنب حول طالب إسرائيلي يحصل على وظيفة حارس لغابة صغيرة أقامها "الصندوق القومي الإسرائيلي" ، وذلك حتى يستطيع الانعزال لينتهي من أطروحته التي كلفته بها الجامعة عن الحملات الصليبية .وقد أقام في الغابة كشك صغير بالقرب من عربي أخرس "مقطوع اللسان" يعيش مع طفلته الصغيرة، ويكتشف الطالب أن الغابة مغروسة على أنقاض قرية عربية مهجورة، كانت هي قرية العربي الأخرس .كما يكتشف أن العربي يدبر خطة لإحراق الغابة، ويتضح له أنه يجمع صفائح النفط لهذا الغرض. وهنا نجد أن الطالب الإسرائيلي يساعد العربي من أجل تحقيق مآربه . وينفذ العربي هدفه ويقوم بإحراق الغابة، ويرفض الطالب الإسرائيلي الإدلاء بالشهادة ضده، ويقوم في نفس الوقت بالاهتمام بمصير ابنة العربي بعد أن اعتقلته السلطات الإسرائيلية، يعود الطالب الإسرائيلي إلى المدينة دون أن يكمل أطروحته، بينما مشاعر الانحطاط والدونية التي هجر المدينة بسببها قد ازدادت لديه بسبب الموقف السلبي الذي وقفه منه المسئول عن الغابات، وبسبب إنكار رفاقه له لأنهم اعتقدوا أنه سينتهي من أطروحته ويكف عن أن يكون طالباً أبداً .

وفي جانب آخر تابع الكتاب الإسرائيليون وصف العربي بأنه غير متحضر وساذج وغبي ومتخلف وهو يعيش في وسط تنتشر فيه الأمراض.

فيقول عاموس عوز (٧٦) جاء المرض من الصحراء متنقلاً بلعاب الحيوانات المهملة التي لا تخضع لأية مراقبة بيطرية، ومع أننا أخذنا الاحتياطات اللازمة مسبقاً إلا أن المرض أصاب أغنامنا وأبقارنا وفتك ببعضنا(٧٧). وهنا يظهر عاموس عوز جهل العربي وإهماله العناية بحيواناته؛ مما يؤدي إلى إصابتها بمختلف الأمراض .هذا إلى أن العربي لا يعرف الرفق بالحيوان، على عكس غيره من الناس الذين ينتمون إلى الشعوب المستنيرة التي تحيط الحيوان بصنوف العناية والرفق.

ويصف العربي قائلا:

- أنهم يشتمونك بعبارات متقطعة يخنقها الغضب أو الشهوة الداكنة .. وأيديهم تعبث على جسدك وكذلك السكين .ومن ثم الصرخة (٧٨).

أما " موشيه شمير (٧٩). فيعرض علينا صورة ساخرة عندما يحكي كيف يستحم العربي وينظف جسده . فعند حديثه عن صياد سمك عربي يستحم يقول : مازلت أذكر تلك الساعة عندما راقبت عامل البحر العربي وهو يغتسل. لقد فتح صنبور المياه، وأدخل قليلاً من الماء إلى فمه، ثم أدخل أصابع يده في فمه وأخذ يفرك أسنانه .ثم تناول بعد ذلك حفنة من الرمل والوحل وأخذ يفرك بها جسده لمدة طويلة (٨٠). وشمير في هذا يريد أن يصف العربي بأنه متأخر أيضاً حتى في نظافة جسده، فهو لا يعرف فرشة الأسنان، ولا المعجون، ولا يعرف كذلك الصابون ويستعيض عنه بالوحل.

المسرح

كانت من الظواهر الجديرة بالرصد في الواقع الإسرائيلي في أعقاب حرب ١٩٦٧، شيوع ظاهرة المسرح الغنائي الانتقادي الساخر .فقد كان المأمول لدى قادة إسرائيل أن يأتي قادة العرب إلى إسرائيل راكعين طالبين السلام بلا شروط، ولكن طالت فترة الانتظار ولم يحدث ما توقعه قادة إسرائيل، وهنا بدأ الإحساس يعم ذوي الوعي من أدباء إسرائيل بأن دائرة الحروب المغلقة التي تخوضها إسرائيل لن تمنحهم الأمن والسلام أبداً . وتعتبر المسرحية الغنائية " أنت وأنا والحرب القادمة "لحانوخ لفين (١٩٣٤) الكاتب المسرحي الإسرائيلي انعكاساً لهذه المشاعر التي سادت قطاعاً عريضاً من الإسرائيليين الذين سئموا الحروب وسقوط الضحايا(٨١).

إن المشهد الأول الذي يحمل عنوان " استعراض النصر لحرب الإحدى عشر دقيقة " هو عبارة عن خطبة ساخرة على لسان قائد عسكري إسرائيلي يتباهى فيه بالنصر الذي حققه برجال لوائه الذين لم يعودوا من ساحة القتال.

العميد : أيها الجنود وقادة اللواء، رفاق السلاح الأبطال، وأبنائي وآبائي ! منذ إحدى عشرة دقيقة خرجنا جميعاً، كرجل واحد، وقلب واحد لملاقاة العدو، خرجنا للدفاع عن سيادة دولتنا" .لقد نازلنا عدواً أكبر منا وتغلبنا عليه بفضل الروح التي تخفق في قلوبنا . وفي خلال إحدى عشر دقيقة نجحنا في أن ندمر، ونبيد، ونشتت، وندوس. ونحطم، ونقطع، ونقتلع، وننسف ونقضي على عدونا(٨٢).

الشعر

شهدت فترة حرب الاستنزاف مجموعة من ردود الفعل العارمة التي اجتاحت كل قطاعات المجتمع الإسرائيلي بشتي فئاته مطالبة بوضع حد لهذه الحروب لتفادى الموت وزيادة عدد القتلى حتى لو تطلب هذا السلام مع العرب وبأي ثمن، وقد نشرت الملاحق الأدبية للصحف العبرية العديد من الدواوين التي توضح مدى الإحباط النفسي الذي عم جيل الشباب الإسرائيلي بسبب الحرب (٨٣) فعلي سبيل المثال :تقول الشاعرة ."حدفا روتام "في مرثيتها

التي نشرت في جريدة معاريف بتاريخ ٢٧-٢-١٩٧٠
أنت لا تسمع إلا صرخة
ولا ترى إلا وجوها ليست موجودة
ولا تشم إلا رائحة القبور

لذلك أركض مستلقياً على ظهري
وانتظر أن تأتي
لتسد فتحات أنفي
ولتضع أحجار صغيرة في عيوني
أحمل التراب بقدر وزنك
وأهله عليّ - آمين

صورة العربي في الأدب العبري في الفترة (١٩٧٣-١٩٧٨)

رأى قادة إسرائيل بعد حرب الأيام الستة أن هذه الحرب قد أنهت جميع الحروب بين العرب وإسرائيل ويجب على العرب طلب الاستسلام وليس السلام (٨٤).

وفي السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ ذاق الإسرائيليون لأول مرة منذ إقامة دولتهم مرارة الهزيمة، لقد حطمت الحرب بالنسبة إلى الإسرائيليين "أساطير "عديدة منها "إمكانية المحافظة على الوضع الراهن الناجم عن حرب الأيام الستة" و"الاستخفاف بالرأي العام العالمي "و"الثغرة الأبدية "بين القوى العسكرية الإسرائيلية والقوة العربية، لقد ساد في إسرائيل بعد الحرب مشاعر القنوط والكدر على الحكومة الإسرائيلية، كما صب الأدباء جام غضبهم على العرب.

الرواية والقصة القصيرة

وصف أدباء إسرائيل العرب بأنهم متوحشون مجردون من كل القيم الإنسانية ولا يراعون مشاعر الآخرين سواء الدينية أو الاجتماعية، و مثالا على ذلك ما ورد في قصة (افرات) للكاتب والناقد " ايهود بن عيزر (٨٥) وفيها يسرد حوادث وقعت في منطقة صفد سنة ١٩٢١ بين العرب واليهود، فيذكر أن العرب قاموا بأعمال وحشية، جعلته يتصور العربي كائناً حياً لا يعرف الرحمة ولا الشفقة، فالقتل والإجرام غريزة من غرائزه، وهواية من هواياته .وأشهر ما لديه لون الدم الأحمر القاني.

يقول في قصته : أن العرب باغتوا اليهود واعتدوا عليهم كالحيوانات المفترسة، وأخذوا يسرقون ممتلكاتهم ويقتلونهم. (٨٦).

"إن علياً هذا كان يربط ابنته التي رفضت الزواج من رجل غني يكبرها إلى جذع الشجرة حتى تقبل الزواج منه رغم أنفها .وفي هذا يظهر لنا تموز علياً فظ القلب يرضى لنفسه أن يبيع ابنته بالمال دون موافقتها لرجل يبلغ من العمر ثلاثة أضعاف عمرها(٨٧).

هذا ملخص لقصة (افرات)، لكن لم يذكر لنا صاحب القصة الدوافع التي دفعت العرب ليقترفوا مثل هذه الجرائم.

كما ظهرت صورة العربي في تلك الفترة أيضاً على أنه متخلف لا يعرف التصرف وأنه بعيد عن النظافة والتحضر.

حتى "أ .ب .يهوشوع "المعروف بعلاقاته العديدة مع الكتاب والشعراء العرب ساهم أيضاً في تشويه صورة العربي ، فمثلاً في رواية (العاشق) نجد العجوز توجه حديثها إلى نعيم تعال ورجيني إذا ما جبتليش بق (٨٨). وعندما ترى بيجامته تقول له من أين سرقت هذه البيجامة أي أن هذه العجوز ترى في العربي لصاً، وتضيف أنه يهرع إلى سريره دون أن يزيل الأوساخ التي علقت بجسمه .. ولكنها تثور عليه قائلة.. حرام عليك يا ولد ..نحن لسنا في مكة ..اغتسل قبل الدخول في سريرك(٨٩).

ونلاحظ في العبارة السابقة أن العجوز تلقي تعاليمها الدينية المتحضرة حرام عليك يا ولدعلى العربي، وفي نفسه الوقت تسيئ إلى التعاليم العربية "الإسلامية.. "لاحظ مكة، وكأنها تريد أن تقول لسنا في مكة حتى تظل متسخا مثلما تعود أهلها.

وتعبر هذه العجوز عن ارتياحها لأن ذلك العربي تعلم منها فيما بعد أن يذهب ليغتسل قبل النوم متباهية عليه لأنها نقلته نقلة حضارية كبيرة.

المسرح

منذ أوائل السبعينيات حدث تحول هام في توجه المسرح الإسرائيلي إزاء شخصية العربي، حيث ظهرت شخصيات عربية في ٣٠ مسرحية إسرائيلية(٩٠)، معظم هذه الشخصيات لعبت دور مركزي جعل المشكلة التي يمثلها الموضوع الأكثر أهمية في المسرحيات .ويظهر هذا التحول في المسرحية الساخرة "ملكة الحمام "لحانوخ ليفين، التي حاولت تسخيف وتعرية "الزهو القومي الزائد للإسرائيليين وتغاضيهم عن الآخر العربي" ، حسبما يؤكد أوريان (٩١). ومسرحية "ملكة الحمام" ، التي أوقف عرضها بقوة المعارضة الرسمية والشعبية، اشتملت على مشهد بعنوان "سمطوخة " قدّم خلاله المؤلف شخصية العربي من خلال النظرة الإسرائيلية الرائجة له.

ومحاور المشهد الذي يطرحه "ليفين " عبر هذه المسرحية ليقدم لنا الرؤية الساخرة للموقف اللاإنساني الذي ينظر به الإسرائيليون إلى الفلسطينيين كشعب وهي:

أن الفلسطيني برغم كونه إنساناً طبيعياً إلا أن اليهود في إسرائيل ينظرون إليه كمخلوق أدنى منهم، لا يستحق أن يكون آدمياً من حيث كون اليهود هم الآدميين الحقيقيين، بينما سائر البشر، ومن بينهم هذا الفلسطيني يقعون في المرتبة الأدنى منهم .وهو يريد أن يؤكد وجود تلك العنصرية اليهودية التي ثبتها الفكر الديني العنصري التلمودي على اعتبار أن اليهود هم "شعب الله المختار"، وأن سائر البشر هم في مرتبة الحيوانات.

السيدة طوفلا والسيدة يوفيلا جالستان في مقهى على الرصيف .سمطوخه يجمع الأواني القذرة من الطاولات

طوفلا:
هذا هو سمطوخه .إنه عربي .ذكي ومطيع ولا يضر اليهود. يعرف أن يقف على رجلين مثلنا تماماً . سمطوخه، أرهم كيف تعرف الوقوف على رجلين.
سمطوخه، الواقف أصلاً على رجلين، لا يتحرك

طوفلا:
(تأمره) قف على رجلين يا سمطوخه !على رجلين) !
(ليوفيلا) هل ترين كيف يقف على رجلين ؟ إنه يهوى ذلك كثيراً .فهذا يعطيه شعوراً بأنه مثلنا تقريباً .فقط في المنزل يضطر سمطوخه للمشي على أربع ولا يفعل ذلك بإرادة منه وإنما ببساطة، بسبب ارتفاع السقف.

أما الموقف الثاني، فهو أن الفلسطيني إرهابي أيا كان " العربي هو العربي " ويستحق الضرب وتكسير العظام والمعاملة بلا رحمة طالما أنه يقتل الإسرائيليين بعملياته الإرهابية .
(يمر في الشارع صديقان هما شلفا ومنوحا .يتوقفا)

شلفا:
هاهو ذا سمطوخه يقف في الخارج . ماذا سيحصل يا سمطوخه ؟ بالأمس قنبلة في المجمع التجاري واليوم في مكاتب مسرح "الكاميري ."وماذا بعد ؟

(فترة صمت قصيرة)

منوحا:
تعرف أن لا علاقة له بالقنابل.

شلفا:
طبعاً . لكن إذا كنت رجلاً بدائياً فمن الصعب عليّ أن أميز بين عربي يضع القنابل وبين عربي لا يضع القنابل . العربي يظل عربياً . لسمطوخه تعرف أنه بمقدورنا ضربك إذا ما رغبنا في ذلك . صحيح ؟ فترة صمت قصيرتعرف أنه بمقدورنا تهشيم عظامك أم أنك لا تعرف أنه بمقدورنا تهشيم عظامك ؟
اليهود شعب متحضر أما العرب فهم جهلة متخلفون..

شلفا:
عينان .له عينان هذا البندوق "ابن العاهرة ."لا يهمني أن تكون له عينان .لكن ليته يقدر ذلك . يعتقد بأن ذلك طبيعي ويقول في قرارة نفسه : ما وجه الغرابة في أن تكون لي عينان ؟ ولا يخطر على باله أننا شعب حضاري وإنساني ولكوننا كذلك لا ننقر له عينيه بعد تفجير مكاتب المسرح .

الاستهانة بالمقدسات العربية "الإسلامية .. "

شلفا:
أنا متأكد أنه لا يتذكر حتى كيف تبدو مكة.

منوحا:
تعال يا سمطوخه وقل له كيف تبدو مكة وننتهي من ذلك فترة صت قصيرة. هيا، كيف تبدو مكة يا سمطوخه ؟
(فترة صمت قصيرة)

شلفا:
ألم أقل لك ؟

منوحا:
(يختنق صوته) يسألونك يا سمطوخه كيف تبدو مكة ؟
سمطوخه:
تبدو مكة مثل أختي، كلانا خرج من الثقب نفسه.

إن الفلسطينيين، في النهاية يجب أن يقوموا بخدمة الإسرائيليين، لأن هذا هو ما خلقوا له.
يوفيلا:
بوصفي أم لثلاثة أبناء أحدهم جندي محارب، وابنة لأبوين نجيا من " النكبة " من حقي أن أقول : لا توقعوا الأذى بالعربي، لأن هناك الكثير من الأقداح المتسخة في المطبخ، كما أن زوجي مقاول وفي حاجة إلى أمثاله من الأيدي العاملة الرخيصة لكي يبني لكم شققاً سكنية ذات حجرتين، وذات حجرتين ونصف، وذات ثلاث حجرات، وذات أربع مع تدفئة مركزية وتجهيزات تليفونية – أقول لكم هذا لأنني أم لثلاثة أبناء أحدهم جندي مقاتل، وابنة لأبوين نجيا من النازي.
طوفلا:
أوكي "سمطوخا ." بهذا نكون قد انتهينا اليوم، تستطيع الآن أن تعود إلى المطبخ، وبوسعك أن تعود الآن إلى المخزن، وسنطلبك إذا اقتضت الحاجة يبدأ "سمطوخا "في الانصراف.. على قدمين يا "سمطوخا "على قدمين !على قدمين ! هوب، هوب، هوب تضحك السيدة مع السيدة يوفيلا مثلنا تماماً .
غالبية الأعمال المسرحية الإسرائيلية الأخيرة، وإن نجحت في إثارة المسألة العربية أو الفلسطينية، لم تتخلص من اتجاه القولبة حيال شخصية العربي.
ويشعر الكاتب الإسرائيلي المعبأ بالفكرة الصهيونية بأن وجوده على هذه الأرض يتناقض أساساً مع وجود العربي أو يدرك على الأقل أن ذلك يتم على حساب العربي .من هنا يبدأ الصراع الحاد مع ذاته من جهة ومع ذلك العربي من جهة أخرى .وإذا ما اتخذ هذا الصراع اتجاه التعاطف مع العربي "وهو عادة ما يحدث " فإنه يبقى تعاطفاً رومانسياً يتجاوز الواقع التاريخي أو يتجاهله.
الشعر
أعلنت المؤسسة العسكرية الصهيونية بأنها ستدافع عن

مصالحها وأطماعها، وستجد إمكانية للحد من نشاط المقاومة العربية في الوقت الذي تفرض فيه القيود على مغادرة المستوطنين التي أصبحت مغادرتهم ضرورة ملحة للبقاء على حياتهم ..بإيهامهم مجدداً أن العرب هم الأعداء وليست التعاليم الصهيونية التي زجتهم في المشاكل .ولكن إثارة العداء ضد العرب لا يحل مشاكل المستوطنين برأي عالم النفس الصهيوني "سمي دفيني "الذي يقول " :إن سبب الأزمات التي يعاني منها السكان بسببنا نحن وذلك باللجوء إلى تلقين الأبناء أن العرب أعداؤهم (٩٢) .

القوة العربية المتنامية الأصلية باتت كوابيس تجثم على صدر المستوطنين فحين تكبر القوى العربية تضعف القوة الصهيونية كما يصورها الشاعر حاييم ريبنزون (٩٣).

حمامة فوق النهر أنت
مكسورة الجناح
اسمك على المياه
يتلاشى وإياك
كل المقربين

ولكن بعد زيارة السادات إلى القدس والدعوة إلى السلام ظهرت هناك تيارات مختلفة في الشعر حيث ارتفع مؤشر معنويات المستوطنين، فالانتصار الذي حصلوا عليه كان دون ضحايا، فقد كتب "ديدي منوسي (٩٤) قصيدة بعنوان "الرياضة الأسبوعية " مسجلاً الشروط الصهيونية ومؤكداً أن هذا الحدث انتصار لم تستطع القوات الصهيونية العسكرية تحقيقه :

لتتنفس الصعداء
فإذا لم نكن نعيش حلماً فلنقيد كل شروطنا
ومتطلباتنا
بتأكيد عدم الفصل
(بين ما نريد وما نأخذ)

وهناك تيار آخر اتضح فيه أن مظاهر الاحترام لدعوى السلام ما هي إلا وسيلة لامتصاص ما يمكن امتصاصه والسطو ما استطاعوا، حيث انبثقت تطلعات جديدة إضافة للتطلعات القديمة التاريخية "بروتوكولات حكماء صهيون"، تؤشر السبل للسيطرة الاقتصادية على جميع "الأغيار" وربما يكون "ديدي منوسي " أكثر تعبيراً عن هذه الأطماع بحكم علاقته العميقة " بالهستدروت "وجريدة " يديعوت أحرونوت " التي قلما يخلو عدد منها من نشر نتاجه فهو يقول في قصيدة بعنوان "النشيد السيمفوني (٩٥).

قال رئيس الحكومة ..لكل المخلصين المساعدين
على ماذا يدل كامب ديفيد ..أعلى الملك داوود ؟
العلم الجبار ..والملك الإمبرادلور
فأنا ميال للحذو ..على نهجه
قال وزير الخارجية ..بأساليب ملوية
إذا كنت مجنوناً ..فلن تكون اتفاقية
فهل أنت معتوه ؟
الآن والماضي ..لتنشد الاتفاق الإيجابي
قال وزير المالية ..لندخل الاستحقاقات
(بسرعة)

لتخفيف الكأس ..نماذج كثيرة
أعيدت ..طلباً للنزاهة
وإضافة الصحراء ..على قائمة سادوم
الصيف الآتي من سيناء ..والطور
معاناة كعقوبة سيناء ..لا تخضع للشك
والعيب ..وربما تقرأ الحزن هذا
بين الأمم ..فلا تراه

الاغتصاب هو هدف "بيجن "وقصده . أما وزير الخارجية فلم يحلم أن تحقق وزارته مثل هذا الكسب للأطماع الصهيونية، كما تبلورت خلال المفاوضات مشاعر التعالي من جديد :

في الذكرى الخامسة للحرب
ذهب البكاء
الناس لا يبكون
الأعين لا تدمع
في السنة الخامسة للحرب
الآخرون أصبحوا
كنبع نضب
كجذع شجرة
عارية (٩٦)

ومن هذا السرد لصورة العربي في الأدب العبري الذي تتبعناه منذ بداية هذا القرن وحتى عام ١٩٧٨، اتضح لنا سوء النية والنيل المسبق للشعور بالغضب في الفكر الصهيوني والإسرائيلي الذي استغل العداء الأدبي في مسخ و تشويه صورة العربي ونعته بأسوأ نعوت المعجم العبري، وبالرغم من ظهور مجموعة من الأدباء والمثقفين الذي تعاطفوا مع العرب من خلال الإحساس الزائف بالذنب إلا أننا نجد أن موقفهم السياسي والأدبي لم يتخطى حاجز الوعي لديهم .

(1)لشامي .رشاد) دكتور: عجز النصر الأدب الإسرائيلي وحرب ١٩٦٧، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠، ص ١١ .
(2)راديكالية : كلمة لاتينية قديمة معناها جذر النبات" .الراديكاليين " الذين يردون الوصول بالأمور إلى أقصى أطرافها، انتقلت إلى السياسة ثم إلى علم الاجتماع وأحياناً الفن والنقد .وشاع المصطلح بعد ذلك على المتطرفين من أي اتجاه .
(3)الهاسكالاه : حركة التنوير اليهودي، والنهضة الثقافية التي بلغت أوجها في أوربا في القرن الـ ١٨ وطالبت بنشر العلم والثقافة بين سواد الشعب، وإلغاء الحواجز بين بني إسرائيل وسائر الشعوب، وكان من أهم نتائجها إحياء اللغة العبرية كلغة كتابة وتخاطب.
(4)البيلو : اسم مجموعة من الطلائعيين الذين هاجروا إلى فلسطين عام ١٨٨٢ واتخذوا لهم شعاراً من سفر آشيا ٥،٢ هو : "يا بيت يعقوب هلم فنسلك في طريق الرب ."واخذوا منه الحروف الأولى فقط.
(5)ثيودور هرتزل : (1860-1904) مؤسس الحركة الصهيونية.
(6)عبد المنعم.محمد فيصل ، أسرار ١٩٤٨، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة ١٩٦٨، ص ٧٨-٨٢ .
(7)للأدب العبري ثلاث ،سميات ذو دلالات مختلفة :
الأدب العبري :يقصد به كل الأعمال المكتوبة حتى وقتنا الحاضر بواسطة اليهود باللغة العبرية أو اللغة الآرامية .
الأدب اليهودي :يشمل كل الأعمال التي كتبت بواسطة اليهود عن موضوعات يهودية بصرف النظر عن اللغة التي تكتب بها .
الأدب الإسرائيلي :انتج بعد إعلان قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، وهذا الأدب في معظمه أدب عبري وإن كان بعضه قد كتب بلغة "البيديش "و يغلب عليه الطابع العلماني .
(8)الشامي .رشاد)دكتور(، عالم الفكر، العدد الثالث، ١٩٩٦، ص ١٠ .
(9)الهجرة الثالثة .(1923 - 1919)
الهجرة الرابعة (1924-1926)، وهي هجرة أبناء الطبقة المتوسطة من الصهيونيين.
الهجرة الخامسة)من عام ١٩٢٩ فصاعداً خاصة تلك التي جاءت من ألمانيا.
(10) مقولة الشعب اليهودي، مقولة معاداة السامية أو العداء البشري لليهود، مقولة الملكية التاريخية للأرض العربية في فلسطين.
(11)صميدة . محمود دكتور، استراتيجية الأدب الصهيوني لإرهاب العرب، مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر، أبوظبي، ١٩٨٨، "المقدمة "بقلم إبراهيم البحراوي دكتور، ص ١١ .
(12)ولد الكاتب والقصصي العبري موشيه سميلانسكي في الاتحاد السوفيتي سنة ١٨٧٤، وتوفي في تل أبيب سنة ,١٩٥٣ هاجر إلى البلاد سنة , ١٨٩٠ له عدة مؤلفات، وكثير منها يدور حول حياة الفلاحين العرب واليهود .كان من بين المؤيدين لتقسيم البلاد بين العرب واليهود .من بين مؤلفاته : في حقول أوكرانيا، بين كروم يهودا، بعث وكارثة، آلام الولادة، في ظل البيارات.
(13) Domb. Risa : The Arab in Hebrew prose (1911-1948) London, Vallintine Mitchell, P 23-25.
(14)ولد الكاتب العبري شموئيل يوسف عجنون في شمال النمسا سنة ١٨٨٨، وتوفي في مدينة القدس سنة , ١٩٧٠ هاجر إلى فلسطين سنة ,١٩٠٨ ويعتبر عجنون من عمالقة الأدب العبري .كتب العشرات من القصص والروايات .ونال عدة جوائز أهمها جائزة نوبل سنة ١٩٦٦، كما منح لقب دكتوراه الشرف في الجامعة العبرية سنة ,١٩٥٨ وتنعكس في مرآة أدب عجنون حياة اليهود ومشاكلهم .وله أيضاً لون آخر من الأدب هو أدب الأسطورة . وفي كثير من إنتاجه الأدبي نرى تأثير أسلوب التوراة بارزاً.
(15)دومب .ريزا : صورة العربي في الأدب اليهودي ١٩١١-١٩٤٨.ترجمة توفيق عطاري، دار الجليل للنشر، عمان، ١٩٩٠، ص ,٤٩ .
(16)حزين .صلاح : الشخصية العربية في الأدب الاسرائيلي ، مشارف دورية، دار مشارف للنشر رام الله، دار عربسك للنشر حيفا، العدد (7)، مارس، ١٩٩٦، ص ١٢١ .
(17)حاييم هزاز : ولد في أوكرانيا بروسيا عام ١٨٩٨، وجاء إلى فلسطين عام ١٩٣١، وتوفي في مارس ١٩٧٣كتب عدة روايات صورت بدقة حياة يهود اليمن ومنها رواية "ياعيش "و"الساكنة في الحدائق .(1944) "كذلك كتب عدة مسرحيات عن الخلاص المسيحاني مثل "نهاية الأيام .(1950) " ومن أعماله التي تتناول فترة الانتداب البريطاني في فلسطين " (1942)رحى متحطمة "و"أحجار فائدة (1946) "و"الموعظة"، وعدداً كبيراً من القصص القصيرة التي تعكس نوعاً من التوتر والقلق الناتج عن خوفه من انهيار القيم اليهودية وضياعها .

(18)ولد يعقوب رابينوفيتش في "فولكوفيسك "في ليتوانيا، في عائلة دينية .ثم ذهب إلى سويسرا لدراسة الآداب الألمانية والفرنسية والسكندنافية، استقر في فلسطين عام ١٩١٠، حيث التزم بالعمل مع حزب "هابوعيل هاتسعير"، وأصبح واحداً من الكتاب الدائمين في مجلته الأدبية، كما كتب في مجلات أخرى .

(19)المقتطفات بين الأقواس موجودة في كتاب ريزا دومب، المصدر السابق، ص ١٢٦-١٢٨ .

(20)ريزا دومب، المصدر السابق، ص ٣٨ .

(21)ريزا دومب، المصدر السابق، ص ٣٩ .

(22)أحاد هعام : معناه واحد من الشعب، وهو اسم شهرة لقب به الروائي " أشير جينز برج" ، فيلسوف الصهيونية الثقافية، وهو من أشهر الكتاب والمفكرين في الأدب العبري .

(23)يوتوبيا :كلمة يونانية تعني المدينة الفاضلة .

(24)دومب .ريزا)دكتورة(، المصدر السابق، عمان، ص ٥ .

(25)دومب .ريزا)دكتورة(، المصدر السابق، عمان، ص ١٢٥ .

(26)Domb. Risa : Op. P 96.

(27)ولد اسحاق شامي في مدينة الخليل بفلسطين في عام ١٨٨٨، وتوفي في حيفا عام ١٩٤٩ . أصدر شامي كتابه الأول عام ١٩٠٧ بعنوان " العاقر ." اهتم في كتاباته بوصف حياة يهود الشرق .من مؤلفاته " انتقام الآباء "و"ست قصص." يعتبر من أكثر كتاب الأدب العبري الفلسطيني الذين كتبوا عن العرب شهرة حتى قيام دولة إسرائيل .

(28) Domb. Risa : Op, P 43

(29)اسرائيل زارحي : ولد في بولندا حيث تلقى تعليماً دينياً وعلمانياً، هاجر إلى فلسطين . كان غزير الإنتاج، وخلال السنوات الخمس عشرة من إبداعه، نشر أربعة عشر كتاباً أدبياً، منها ست روايات طويلة .موضوع رواياته هو الصعوبات التي واجهت المهاجرين اليهود في سعيهم للاندماج . وإلى جانب ذلك فقد اهتم بموضوعين آخرين :العلاقة الخاصة بين الرجل والمرأة، والثاني القدس .هذان الموضوعان يظهران في "قرية سلوان ."

(30) Domb : Op, P 99.

(31)شامي .اسحق :انتقام الآباء .تل أبيب ١٩٢٨ .

(32)المصدر السابق، ص٤٩ -٧٢ .

(33)ريزا دومب، المصدر السابق، ص ٤٠ .

(34)أوريان .دان :شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي)باللغة العبرية(، منشورات "أورعام"، ١٩٩٦، ص ١٠ .

(35)شلحت .أنطوان :زحزحة بعض القيم، مشارف دورية العدد ١٣، يناير ١٩٩٧، ص ٩٩ .

(36) شلحت .أنطوان :المصدر السابق، ص ١٠٠ .

(37)دان أوريان :محاضر في قسم المسرح جامعة تل أبيب بكلية "أورانيم ."درس في الجامعة العبرية في القدس وحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة بلجيكا، نشر مقالات ومؤلفات في البحث المسرحي وفي التربية للمسرح .

(38)أوريان.دان :المصدر السابق ص ٢٩ .

(39)شلحت .أنطوان، المصدر السابق، ص ١٠١ .

(40)أوريان .دان، المصدر السابق، ص ٣٠-٣١ .

(41) السعد.جودت : الأدب الصهيوني الحديث بين الإرث و الواقع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٨١ ، ص ٣٠ .

(42) ولد بيالك عام ١٨٧٣ في قرية رادي بمقاطعة فولهينيا الروسية، وتمثلت في حياته كل صور الحياة اليهودية التقليدية التي سادت " الجيتو " اليهودي الواسع في روسيا . وفي عـم ١٨٩١ اتجه إلى أوديسا حيث تعرف على الزعماء الفكريين للإحياء القومي العبري . سعى للحفاظ على التراث العبري الكلاسيكي لكي يضعه في خدمة الإحياء القومي ، هاجر إلى فلسطين عام ١٩٢٥ وساهم في تأسيس الجامعة العبرية .وتوفي سنة ١٩٣٤ ودفن في تل أبيب.

(43)بياليك .حاييم نحمان :قصيدة منبت الشعر، ضمن المجموعة الكاملة لأعمال بياليك، تل أبيب،، الطبعة الأولى، ١٩٣٨ .

(44)بتاريخ 4/1948٩/، نفذت عصابتا "الاتسل وليحي " مذبحة في بلدة دير ياسين العربية، الواقعة على مشارف القدس .حيث قتل ٢٥٤ عربياً، معظمهم من النساء والأطفال والشيوخ .

(45)شفيق ناظم الغبرا، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، العدد ١٢٣، يناير ١٩٩٦ ، صفحة ٥٨ .

(46)الأدب المجند : الالتزام بالبعد عن إبراز أي نوع من التناقض بين الأيدلوجية الصهيونية وبين تجربة الفرد في واقع الحياة .

(47) شاكيد .جارشون :الأدب النثري العبري من (1880-1980)، الجزء الثالث، الأدب الحديث بين الحربين، دار نشر هاكيبوتس هام آحاد، ص ٢٠٨-٢١٠ .

(48) ولد يزهار سميلانسكي في رحوبوت سنة ,١٩١٦ يعمل محاضراً في الجامعة العبرية في القدس .اشترك في حرب عام ١٩٤٨، وكان ضابط الاستخبارات للمنطقة الوسطى وكان لهذه الحرب وقع شديد عليه؛ ويظهر ذلك في أدبه .وهو يعتبر من أعمدة الأدب العبري الحديث .له عدة مؤلفات منها :في أطراف النقب (1945)، قالفة منتصف الليل (1950)، الغابة في التلة (1943)، أيام تسكلج (1958)، أربع قصص (1950)، قصص السهل (1964)، بأقدام عارية (1959)، ست قصص صيف .(1950)

(49)العربوش أو عربوش كلمة استهزاء وسخرية يطلقها اليهود على العرب.

(50)سميلانسكي .يزهار :خربة خزعة، سبع قصص، دار نشر "هكبوتس همتوحاد"، تل أبيب، ١٩٧٧، الطبعة الثانية، ص ٥٥ .

(51)المصدر السابق، ص ٨٥ .

(52)ولد يوسف أريخا عام ١٩٠٧ في أولفنسك بأوكرانيا، هاجر إلى فلسطين عام ١٩٢٥ وعاش فيها حتى عام ١٩٢٩ حيث رحل إلى الولايات المتحدة واستمر هناك حتى عام ١٩٣٢ ثم عاد إلى تل أبيب مرة أخرى ورأس بلديتها حتى توفي عام ١٩٧٢

(53)أريخا يوسف :قصص عبرية من حياة العرب، دار نشر عوفيد، تل أبيب، ١٩٦٣، ص , ٢٣٠

(54)ولد مردخاي طبيب عام , ١٩١٠ نشر قصته الأولى عام ١٩٤٧ في مجلة "عتيم ."من أبناء الطائفة اليهودية اليمنية، ولذا فقد جاهد كثيراً من أجل شق طريقه في مجال الإنتاج الأدبي، يكتب الشعر ولكنه تميز كقصاص .من أعماله الكبرى : رواية "مثل عشب الحقل1948 "، ورواية "المنبوذ.1957 "

(55)طبيب .مردخاي :طريق ترابي، دار نشر عوفيد، الطبعة التاسعة، ١٩٧٠، ص , ١٥

(56)سميلانسكي يزهار :المصدر السابق، ص .٣٧

(57)ولد ناتان شاحم عام ١٩٢٥ في تل أبيب وخدم في " البالماخ سرايا الصاعقة ثم في الجبهة الجنوبية أثناء حرب ١٩٤٨ وبعد ذلك أصبح عضواً في الكيبوتس "بيت الفا " وله إنتاجات أدبية كثيرة في مجال الرواية والمسرحية والقصة القصيرة يصف من خلالها حياة الكيبوتس .

(58)أريخا يوسف، المصدر السابق، ص , ٢٤٢

(59)المصدر السابق، ص , ٣٤٥

(60)اسحاق أورباز :ولد سنة ١٩٢٣ . درس في مستوطنة " مئير شفية ."ما بين السنوات ١٩٤٨-١٩٦٣ . درس في جامعة تل أبيب .بدأ بنشر إنتاجه الأدبي منذ سنة ١٩٤٨ . أول مجموعة قصصية له صدرت عام ١٩٥٩ بعنوان عُشب بري. أما روايته جلد من أجل جلد (فقد نالت جائزة أدبية كبرى سنة ١٩٦٢.

(61)أريخا يوسف. المصدر السابق، ص ٣٣٩ .

(62)المصدر السابق، ص ١٦٤ .

(63)عالم الفكر، المجلد الرابع والعشرون، العدد الثالث، يناير/مارس ١٩٩٦، ص ١٢١ .

(64)ولد أشر براش في جاليسيا عام ١٨٨٩، وهاجر إلى فلسطين عام ١٩١٤ حيث عمل بتدريس اللغة العبرية وآدابها .بدأ حياته الأدبية بكتابة عدة قصائد شعرية ومجموعة قصصية باليديش ثم تحول بعد ذلك إلى الكتابة باللغة العبرية .كتب عدة قصص من واقع الحياة اليهودية في جاليسيا كما كتب أيضاً عن حياة مهاجري الموجه الثانية في فلسطين.

(65)أريخا يوسف، المصدر السابق، ص , ١٢٤

(66)ولد أهرون ميجد سنة ١٩٢٠ في بولندا .نزح مع أهله سنة ١٩٢٦ إلى البلاد واستوطنوا رعنانا .كتب في عدة صحف وله عدة مؤلفات .أشهرها "الحي أفضل من الميت . (1970) "

(67)أريخا يوسف، المصدر السابق، ص ٣٠٩ .

(68)يوسف حناني : كاتب يهودي ولد في فيلنا عام ١٩٠٨، وانتقل إلى فلسطين عام ١٩٢٥ ومنذ ذلك الوقت كانت كتاباته عن الحياة في فلسطين، ومن أهم أعماله مجموعة قصصية بعنوان "في طريق الأحزان.1931 "

(69)أريخا يوسف، المصدر السابق، ص ٢٢٠ .

(70)المصدر السابق، ص ١٢٦ .

(71)شلحت أنطوان، المصدر السابق، ص ٩٩ .

(72)الشامي رشاد)دكتور(، عجز النصر، المصدر السابق، ص ١٤٣ .

(73)المصدر السابق، ص ١٣٤-١٣٧ .

(74)أ .ب .يهوشواع :في مواجهة الغابات ، ضمن مجموعة تسع قصص، دار هكبوتس همئوحاد، تل أبيب، ١٩٧٢ .

(75)ولد أ .ب . يهوشوع سنة ١٩٣٦ . يعتبر اليوم من ألمع الأدباء العبريين .له عدة مؤلفات منها العاشق، مقابل الغابات. وقد صدرت له أيضاً خمس كتب في الولايات المتحدة آخرها (الجلاء الأخير).

(76)ولد الكاتب عاموس عوز سنة ١٩٣٩ ، منذ سنة ١٩٥٣ يسكن كيبوتس حولداه .في المراحل الأولى من إنتاجه الأدبي نرى أنه كانت عنده ميول يمينية .اما في السنوات الأخيرة فقد حدث تحول في مسيرته الشخصية وأصبح ذا ميول يسارية. واليوم يعتبر من مؤسسي حركة السلام الآن. له عدة قصص ومقالات منها :بلاد بنات آوى، ميخائيل خاصتي، هنا وهناك في أرض إسرائيل، وفي الضوء الأزرق القوي .

(77)عوز .عاموس :بلاد بنت آوى، برزيل .هليل، ست كتب ١٦ قصة، دار نشر يحيدين احود موتسئيم، ١٩٧٢، ص ٢٨ .

(78)المصدر السابق، ص ٢٢-٢٣ .

(79) ولد موشيه شمير في مدينة صفد سنة ١٩٢١ .وبعد سنة واحدة من ميلاده انتقل والديه إلى تل أبيب . بعد حرب ١٩٦٧ أصبح من مؤيدي أرض إسرائيل الكبرى . وفي سنة ١٩٧١ أنضم إلى طاقم جريدة معاريف . وانتخب عضوا للكنيست الإسرائيلية في قائمة التكتل سنة ١٩٧٧، ولكنه استقال من الكنيست على أثر الانسحاب من سيناء، وأصبح أحد مؤسسي حزب هتحياة النهضة وهو يعتبر اليوم من اليمين الإسرائيلي المتطرف .

(80)شامير .موشيه :حياة شعب إسماعيل، تل أبيب، ١٩٦٨، ص ١٨٢-١٨٣ .

(81)الشامي :رشاد)دكتور(، عجز النصر المصدر السابق، ص ١٦٥ .

(82)لفين .حانوخ :ما شأن العصفور ما إخبت لتسبور، دار نشر "سيمان قرينا". و"هاكبوتس همئوحاد". و"موعادون هسيفر هعبري"، تل أبيب، ١٩٨٧، ص ١٣ .

(83)الشامي .رشاد دكتور عجز النصر ، المصدر السابق ، ص١٥٣ .

(84)وزارة الإعلام، الهيئة العامة للاستعلامات، نظرات على انتصارات العسكرية الوطنية المصرية.

(85) ولد ايهود بن عيزر في مدينة بيتح – تكفا ملبس سنة ١٩٣٦ . يكتب في صحيفة هآرتس الصباحية .له عدة روايات وقصص أطفال ومقالات في النقد والشعر.

(86)بن عيزر ايهود، افرات، دار نشر مدن مفعالي، تل أبيب، الطبعة الأولى، ١٩٧٨، ص ١٩ .

(87)المصدر السابق، ص ١٩ .

(88)يهوشوع أ .ب.، العاشق، تل أبيب، ١٩٧٨، ص ٢٤٨ .

(89)المصدر السابق، ص ٢٧٨ .

(90)شلحت أنطوان، المصدر السابق، ص ٩٩ .

(91)أوريان دان، المصدر السابق، ص ٤٣ .

(92)صحيفة عل همشمار الصادرة بتاريخ ١-١٢-١٩٧٨ .

(93)السعد .جودت ، الأدب الصهيوني بين الإرث والواقع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١، ص ١٣٨ .

(94)صحيفة يديعوت أحرونوت الصادرة بتاريخ ٢٢-٩-١٩٧٨ .

(95)صحيفة يديعوت أحرونوت الصادرة بتاريخ ١٨-٨-١٩٧٨ .

(96)صحيفة معاريف الصادرة بتاريخ ١٥-٩-١٩٧٨ .

مطابع الأهرام بكورنيش النيل



مختارات اسرائيلية

النشاط والأهداف

أنشئ المركز فى عام ١٩٦٨ كمركز علمى مستقل يعمل فى إطار مؤسسة الأهرام لدراسة الصهيونية والمجتمع الاسرائيلى والقضية الفلسطينية، ثم امتد اختصاصه الى دراسة الموضوعات السياسية والاستراتيجية بصورة متكاملة. ويسعى المركز من خلال نشاطه الى نشر الوعى العلمى بالقضايا الاستراتيجية العالمية والأقليمية والمحلية، بهدف تنوير الرأى العام المصرى والعربى بتلك القضايا، وأيضا بهدف ترشيد الخطاب السياسى وعملية صنع القرار فى مصر.

الدوريات والمطبوعات:

- **التقرير الاستراتيجى العربى:** تقرير سنوى بدأ فى الصدور عام ١٩٨٦، وصدرت أولى طبعاته بالانجليزية اعتباراً من عام ١٩٩٢، ويشترك فى اصداره جميع أعضاء الهيئة العلمية فى المركز، وينقسم التقرير الى ثلاثة أقسام رئيسية: النظام الدولى والاقليمى، النظام الاقليمى العربى، جمهورية مصر العربية، الى جانب مقدمة تحليلية وعدد من الدراسات الاستراتيجية.
- **كراسات استراتيجية:** سلسلة صدرت اعتباراً من يناير ١٩٩١ وتصدر شهرياً باللغتين العربية والانجليزية اعتباراً من يناير ١٩٩٥، وتتوجه الكراسات الى صانعى القرار والدوائر المتخصصة والنخبة ذات الاهتمام بتقديم قراءة متعمقة للتحديات الاستراتيجية التى تواجه مصر والوطن العربى، وطرح الخيارات والتصورات والسياسات البديلة لمجابهتها.
- **الكتب والكتيبات:** أصدر المركز منذ إنشائه عام ١٩٦٨ العديد من الكتب والكتيبات التى شملت موضوعات متعددة تتعرض لمجالات عمل المركز الرئيسية.
- **«ملف الاهرام الاستراتيجى»**، شهرياً باللغة العربية. اعتبارا من يناير ١٩٩٥
- **«مختارات إسرائيلية»**، شهرياً باللغة العربية. اعتبارا من يناير ١٩٩٥

عضوية المركز:

يمكن الاشتراك فى عضوية المركز التى تمنح حقوق الحصول على إصدارات المركز وأوراق الندوات وملخصات لورش العمل والحلقات الفكرية التى يعقدها المركز، وتقديرات المواقف والنشرات التى يصدرها فى لحظات الأزمات، وحضور محاضرات المركز ومؤتمره السنوى، فضلاً عن تكليف المركز بأبحاث تدرج فى خطته العلمية مع تغطية العضو لتكلفتها. قيمة رسم اشتراك العضوية سنوياً (عشرة آلاف جنيه للهيئة وخمسة آلاف جنيه للأفراد).

مطابع الأهرام بكورنيش النيل